الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية(

Republique Algerienne Democratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	Ministere de l'Enseignement Superieur et de la Recherche Scientifique Universite Mustapha Stambouli de Mascara

عنوان الأطروحة: الثقافة الشعبية في الجزائر خلال العهد العثماني

دراسة في موضوعات الخرافة والأسطورة

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم – تاريخ حديث –

إعداد الطالبة: قسيار عبد القادر

إشـــراف أ.د.ودان بوغفالة

لجنة المناقشة:

أ – بليل رحمونة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة معسكر
أ.د – ودان بوغفالة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة تيارت
أ.م أ- عبو ابراهيم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
أ.م أ- زدك ابراهيم	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة معسكر
أ.موساوي محمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة سعيدة
أ.جيلالي حورية	أستاذ باحثة	عضوا مناقشا	كراسك وهران

السنة الجامعية

2023-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بشكري الجزيل وعرفاني الجميل لأستاذي المشرف الأستاذ

الدكتور السيد ودان بوغفالة ، على سديد توجيهاته ورحابة صدره ، وسعة

أفقه التي دوما أجدها تحفزني لبذل المزيد من الجهد ، والصبر لمواجهة

مصاعب البحث ، فجزاه الله كل خير وحفظه الله ورعاه.

كما أقدم شكري وامتناني إلى الزملاء الذين ساعدوني وقدموا لي يد

العون في سبيل إنهاء هذا العمل المتواضع.

ويبقى عظيم الشكر والثناء لله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذا

العمل المتواضع ، وأسأله عز وجل سداد الرأي وحسن الخاتمة.

الإهـــــــــــداء

*إلى الوالدين الكريمين

* إلى زوجتي

* إلى أبنائي وبناتي

* إلى إخوتي وأخواتي

* إلى جيراني

-المختصرات:

1- بالعربية

- تع: تعليق

- تر : ترجمة

- تق : تقديم

- تح : تحقيق

- مج : مجلد

- ع : عدد

- ط : طبعة

- ص : صفحة

- م : ميلادي

- هـ : هجري

- د.ت : دون تاريخ

- د.م : دون مكان

- ط.خ : طبعة خاصة

- تعر : تعريب

- مرا:مراجعة

- ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

- د.م.ج : ديوان المطبوعات الجامعية

- تخر: تخريج

2- باللغة الفرنسية:

-ANEP :Entreprise Nationale D'edition et de Publicite

-**Op-cit** :Opuis ;Citateur(Reference Bibliographie Déjà Cite)

-**P** :Page

-**T** :Tome

مقدمـــــــــة

1- مقدمـــــــة

تعد الدراسات التاريخية للموروث الثقافي ، أبرز ما تقدمت به المكتبات ، لما له من وزن في تحديد الهوية ، ومعرفة سيرورة الأمة ، ومنها تحديد الآفاق المستقبلية ، بالاعتماد على كافة المقومات المكتسبة ، وعلى آثارها تتحدد معالم الأمة المنسجمة في ماضيها والمتجهة بقوة واتزان ووحدة نحو مستقبل أسعد ، تنهل منه كل فئة اجتماعية. وعلى هذا الأساس يتجه هذا البحث نحو دراسة جانب من التراث الشعبي الجزائري ألا وهو الأسطورة والخرافة في الجزائر خلال العهد العثماني، ومن هذا المنطلق فإن الإشكالية التي نتطرق إليها هي محاولة إثبات دور البيئة الجزائرية – عبر تراثها الشعبي - في احتضان الأسطورة والخرافة وذلك من خلال الإجابة على مجموعة من التساؤلات وفي مقدمتها ، هل البيئة الجزائرية قبيل الوجود العثماني كانت قد عرفت واحتضنت الأسطورة والخرافة ؟ ثم الظروف والعوامل التي ساعدت على انتشارها بصورة كبيرة خلال العهد العثماني؟ وهل هي محلية أم مستوردة ؟ ثم هل هي أساطير وخرافات مختلفة الغايات أم لها غرض ديني فحسب ؟ ثم ما تداعياتها على المجتمع الجزائري سلبا وإيجابا ؟.

فالأسطورة كرمز إنساني خالد يبعث على التساؤل عن مواضيع عديدة لها علاقة بهذا الإرث الحضاري كموروث شعبي لا يزال يمارس سلطته على الوعي الجماعي بشكل

مباشر أو غير مباشر في الدول المتقدمة كانت أوالمتخلفة.

ومهما يكن من أمر، فقد اختلف المفكرون والباحثون في الوصول إلى تحديد مفهوم ثابت للأسطورة، فبعضهم يراها حكاية، وبعضهم يرى أنها مجموعة تصورات تتجاوز الفعل الموضوعي أو العقلاني.

ترتبط الأسطورة والخرافة ارتباطا وثيقا بالتراث الشعبي ومصادرها متعددة ومظاهرها متنوعة ولها وظيفتها التي تتحقق من خلالها الغاية التي أنشئت من أجلها. والأسطورة بمفهومها الفلكلوري لها حضور في التراث الشعبي الجزائري كفكرة وكتطبيق ، وكواقع وسلوك وحقيقة تمارس مناسبتيا ويوميا، تؤمن بها الأوساط الشعبية وتنظر إليها على أنها حصلت وذلك عن طريق ممارستها في الواقع المعاش. فرواسب المعتقدات القديمة بشمال إفريقيا عموما والجزائر خاصة مازالت مستمرة تظهر جلية في سلوكياتهم اليومية وطقوسهم وعاداتهم. وهذه الدراسة ما هي إلا لبنة تراثية من موروثاتنا الشعبية تساهم في الحفاظ على الذاكرة الجماعية لمجتمعاتنا القديمة التي تحمل الكثير من القيم الإنسانية والجمالية.

الأسطورة ركيزة أساسية من ركائز التراث الشعبي الذي يستمد ديمومته وحياته منها ، ولذلك يمكن اعتبار الأسطورة بمثابة التعبير الجماعي الصادق عن النفس الإنسانية.

2- أسباب اختيار الموضوع وأهميته

تكمن **أهمية الموضوع**، في جانبين رئيسيين، أولهما ، معرفة منهج كتابات المدارس المختلفة حيال الجزائر، وثانيهما معرفة التراث الشعبي الجزائري خلال العهد العثماني ولا سيما الأسطورة والخرافة ودورهما في حياكة الأمة الجزائرية، ضف إلى هذا أنَّ موضوع

التراث يعتبر حاليا وعند كافة الأمم سواء قويها أو ضعيفها، غنيها أو فقيرها، متخلفها أو متقدمها، غربها أو شرقها، يعتبر من أهمّ المواضيع ، أو الموضوع الحساس، موضوع العصر، لأنَّ الأمّة تكسب احترامها، وتفتخر بما لديها من تراث، وتثبت وجودها بعمق تراثها حيث قال المؤرخ الفرنسي" أوغستين تيري "[1] إنَّ المجتمعات الإنسانية لا تحيا فقط في الحاضر وإنَّما يهمها معرفة من أين انحدرت لتستطيع أن تبيّن وجهتها في المستقبل.

كل هذا وغيره، **دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع**، وجعلنا نعمل وبدقة شديدة ، على فهم وتحليل كلّ الأفكار، وكل كبيرة وصغيرة، سلبية أو ايجابية، من شأنها أن تساهم في فهم ومعرفة واقع التراث الثقافي الجزائري خلال العهد العثماني، لنخرج بفكرة أو رأي خاص بنا، قد يتماشى أو يتناقض مع أفكار وآراء بعض غيرنا.

3- الدراسات السابقة:

التراث الشعبي ، بحر واسع ، تمتد شواطئه إلى آفاق بعيدة، وما الأسطورة والخرافة إلا خيط من بين الخيوط المتداخلة في المخيال الشعبي، وعلى هذا الأساس قد نجد الدراسات قليلة في هذا الجانب ، خاصة خلال العهد العثماني ، بالمقارنة مع محيطها الواسع وعلاقتها ببقية العلوم ، ومن الدراسات التي تقاربت أو تقاطعت مع موضوعنا ، منها ما جاءت على شكل أطروحات ورسائل ، ومنها في مؤلفات ، ومنها من جاءت على شكل فقرات داخل متون لبعض المؤلفين ، أو مقالات في بعض المجلات. ومن أبرز ما جلب إنتباهنا من :

[1] Augustin Thierry مؤرخ فرنسي ،ولد في 10 ماي 1795 في بلوا في فرنسا وتوفي يوم 22 ماي 1895 في باريس.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

- مصطفى أوشاطر،الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه 2002-2003.، وكانت الجوانب الهامة التي إعتمدنا عليها ،هي تعريف الأسطورة والمدارس الحديثة لتفسيرها وكذا الكرامة وعلاقتها بالمعجزة.

- أطروحة دكتوراه ، الطالب أرزقي شويتام، تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، تحت عنوان المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519-1830م ، جامعة الجزائر 2006. ويتجلى تأثيره في مجال التفاعلات المختلفة للمجتمع الجزائري، وكذا التركيبة السكانية.

كان لهاتين الأطروحتين الأثر الكبير في عملنا، نظرا لما وجدناه من معلومات قيمة تتناسب والموضوع المطروح للدراسة.

إلى جانب هذا، اهتدينا إلى عدة مراجع ومصادر وفي مقدمتها كتاب تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبو القاسم سعد الله، وكتاب علم النفس الإكلينيكي في ميدان الطب النفسي، تأليف عبد الستار ابراهيم وعبد الله عسكر، أيضا من الكتابات التي تقاطعنا معها في عدة محاور، وكانت سندا لنا:

- فراس السواح وكتابه الأسطورة والمعنى، والذي قدم مفهوما للأسطورة وأشكالها وأهدافها ، وعلاقتها بالمعارف الإنسانية ، كما حدد دورها في إعداد الشخص وتكوين الجماعة المنسجمة مع النظم الإجتماعية وكل فرد وعلاقته بمجتمعه.

- أحمد زكي ، في كتابه تحت عنوان الأساطير، تحدث عن تطور الأسطورة وعلاقتها بالخرافة، كما تطرق إلى ما هو واقعي في الأسطورة.

إضافة إلى المجلات والدوريات ومنها المجلة الإفريقية ، التي تعتبر كمصدر للأحداث لأن الفترة التاريخية التي كتبت فيها التقارير لم تكن ببعيدة غن العهد العثماني.

وأما عن المصادر والمراجع التي عدنا إليها فمنها ما أنجزته المدرسة الجزائرية ، ومنها ما شملته بعض المؤلفات العربية ، ومنها ما كان من قبل المستشرقين.ضف إلى ذلك بعض الرسائل الجامعية.

4- الأهـــــــــداف:

أ- **أهداف ذاتية**:

أولا ، محتوى الموضوع في حد ذاته كان هو الحافز لي للعمل والاشتغال عليه.

ثانيا ، حب الإطلاع على هذا النوع من المواضيع.

ثالثا ، محاولة تحديث وتحيين معلوماتي من خلال ما كتب مؤخرا حول قضية الأسطورة والخرافة.

رابعا ، معرفة أسباب وعوامل وجودها في الجزائر.

ب – **أهداف موضوعية**:

التاريخ ليس تسجيل لأحداث سياسية أو عسكرية فقط ، بل هو كل ما من شأنه أدى أو سيؤدي إلى تغيير في سيرورة مجتمع ما، وبالتالي فالأسطورة والخرافة هي في حد ذاتها أدت في مجتمعات متعددة إلى التغيير في سلوك المجتمعات والأفراد، ومنه نحاول أن نبحث عن دورها في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني خصوصا، لأن هذه المرحلة حساسة في تاريخ بلادنا ، وعرفت عند المستشرقين بمرحلة الجمود ومرحلة الظلام ، وبهذه المساهمة البسيطة نحاول أن نسلط الضوء على جانب من جوانب تراثنا الثقافي .

5- الإشكالية: نظرا للانتشار الواسع للخرافة والأسطورة في الجزائر خلال العهد العثماني، يجرنا هذا الأمر إلى طرح الإشكالية التالية، ما تداعياتها على المجتمع الجزائري سلبا وايجابا ؟ وما موقف النخبة منها ؟.

بناءا على ما سبق ، اقتضى موضوع الأطروحة التي نحن بصدد معالجتها إلى تقسيمها إلى أربعة مباحث، ويندرج تحت كل مبحث مجموعة من الفصول، وكل فصل يفتتح بمقدمة ويذيل بخلاصة.

وقد عنونت **الفصل الأول**: الأسطورة والخرافة في الجزائر قبل العهد العثماني

وهذا لأمهد للموضوع ، ونتمكن من معرفة الوجود الأسطوري والخرافي ، وهل هو ظاهرة خاصة بالعهد العثماني ، أم كانت لها جذور وسوابق ورواسب، ولمسنا من خلال

دراستنا أن المغرب الوسيط في العصر الوسيط قد مر بمرحلتين، الأولى وشملت القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجريين وهي المرحلة التي كان فيها العلم والعلماء والسلطات السياسية ، السياج الذي حمى الأمة وصانها من كل الأباطيل ، و ما أن حل القرن الثالث عشر والرابع عشر ثم القرن الخامس عشر الهجريين ، حتى زاغ سكان المغرب الأوسط عن السبيل ، متبعين ما أنتجه الفكر الصوفي الشعبوي ، وهذا ما أكده العلامة عبد الرحمان بن خلدون الذي يعتبر شاهد على عصره. ومنه بحثنا عن الكيفية التي تغلغلت بها الأسطورة والخرافة في المجتمع ، وكيف أصبحت من ضمن التراث الشعبي ، وكيف تحولت من حكايات وقصص إلى عمل ميداني فأضحت من الطقوس الممارسة يوميا وخلال المناسبات، وقد بينا دور بعض الحركات الإصلاحية التي نبذتها من خلال مواقف بعض العلماء، الذين ساهموا مساهمة كبيرة في الحد من انتشارها وخطورتها..

كما استعرضنا التعاريف المختلفة للأسطورة والخرافة ،معتمدين على مراجع متنوعة، ثم ما أوجه الشبه والاختلاف بينهما، والنظريات المتنوعة لتفسير الأسطورة ، ومنه انتقلنا إلى البحث عن مصادرهما وطرق انتقالهما ، وكيف تحولت هذه الأساطير والخرافات إلى ممارسات طقوسية ، تمارس خلال المناسبات الدينية والفصلية وحتى اليومية ، لنتحول بعد ذلك للبحث عن مدى حقيقة الأسطورة والخرافة ، ومبررات تواجدها ونتائجها على المجتمع الجزائري

وأما الفصل الثاني فقد كان **تحت عنوان**: الحركات الإصلاحية وامتداداتها خلال العهد العثماني

أي من سنة 1516م إلى سنة 1830م ، بدءا بتقديم صورة شاملة نسبيا عن المشهد الاجتماعي أو ما يعرف بالتركيبة الاجتماعية في الجزائر، ثم المشهد العلمي في الجزائر العثمانية ، منها التعليم والمؤسسات العلمية ، المكتبات ، خزائن الكتب ، مكانة وأهمية المدن العلمية ، مثل تلمسان والجزائر وقسنطينة وعنابة وغيرها ، ثم انتقلنا للإشادة ببعض العلماء ودورهم الثقافي والتعليمي خلال هذه المرحلة ، دون أن ننسى دور الهجرة الأندلسية في الجزائر، ومنه إنتقلنا إلى المشهد الديني باحثين عن دور المؤسسات الدينية بمختلف أشكالها في الترقية الدينية للمجتمع وصيانته وأخيرا المشهد الصحي ،

وهذا حتى نتمكن من معرفة المقاربة بين ما هو موجود من مؤسسات علمية ودينية وثقافية وعلاقتها بانتشار الأسطورة والخرافة وبشكل واسع داخل المجتمع الجزائري.لنبين مدى حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة ومبرراتها ونتائجها.

أما **الفصل الثالث**: فركزنا فيه على الخرافة والأسطورة في الجزائر خلال العهد العثماني ، الخصوصية الاجتماعية.

استعرضنا في هذا الفصل مفهوم الميثولوجيا وخصائصها وأنواعها كانطلاقة وبوابة

لمعرفة الواقع التاريخي للأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري ، ثم التطرق إلى الواقع الميداني لبعض الظواهر التي تندرج ضمن الأساطير والخرافات والتي تجسدت على شكل طقوس ، في الغرب الجزائري والشرق والجنوب.

وأما الفصل الرابع: موقف السلطة والمجتمع من تطور المعتقدات الشعبية ،

حتى نجسد ما جاء حول الأسطورة والخرافة في الجزائر العثمانية، إرتأينا التطرق إلى التأثيرات المختلفة لهما على المجتمع الجزائري، مركزين على التأثير العقائدي، والتأثير الاجتماعي، والتأثيرالنفساني والتأثير العلائقي، مع التطرق إلى موقف العلماء ثم موقف السلطة العثمانية ثم موقف عامة الناس (الأهالي) من الأسطورة والخرافة.لنعرج على دور الأسطورة والخرافة في تقارب وتماسك وانسجام الشعب .

وأخيرا **الخاتمة** ، التي اشتملت على أهم النتائج المتوصل إليها.

6- المنهج المتبع:

نظرا لأهمية الموضوع ، والغايات المرجوة منه ، ارتأينا الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي ، والمنهج الإحصائي.

- **المنهج التاريخي** ، وكان هو الأداة التي ساعدتنا في الحصول على المعرفة وخاصة الحقيقة التاريخية، معتمدين على تسلسل زمني للأحداث زمنيا ومكانيا ،مرورا بالعصر الوسط إلى العصر الحديث ، ومن الدولة الرستمية :أول إمارة أو دولة إسلامية في المغرب الوسيط ، إلى نهاية العهد العثماني بالجزائر.

- **المنهج الوصفي** ، كل الأساطير والخرافات وكافة الطقوس ، لم يكن بإمكاننا أن نعطيها حقها لولا إعتمادنا على هذا المنهج ، وبالتالي فمتابعة الظاهرة زمنيا ومكانيا وإجرائيا ، سمح بمنح صورة ولو بسيطة عن تلك الحقب التاريخية.

- **المنهج الإحصائي** ،والذي استخدم في منع عينات عن علماء الجزائر والقادمين من بقية الدول والاختصاصات المختلفة ، ضف إلى ذلك الوضع الصحي ، وما استلزم من أطباء ومستشفيات ، في ظل مسلسل من الأوبئة والأمراض التي انتشرت.

7- التعليق على المصادر والمراجع:

احتفظت معظم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في عملنا ،على ذخيرة وافية وكم هائل ،سمح لنا بالتعرف على الحياة الفكرية والروحية لأجدادنا وبالتالي ضبط التاريخ الاجتماعي

8- الصعوبات:

أبرز المشاكل التي يعاني منها أي كاتب أو طالب هي قضية هيكلة الموضوع، وخاصة إذا كانت الفترة الزمنية محددة، وعلى هذا الأساس كان ولا بد من الاستعانة بدعم فضيلة الأستاذ الدكتور ودان بوغفالة ، الذي مد لي يد العون ووجهني أحسن توجيه ومهد لي الطريق ، فتيسر عملي وذللت كل الصعاب ، وأما القضية الثانية هي قلة الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية المتعلقة بموضوعنا باستثناء الدراسات الأدبية التي كانت متوفرة. وهذا كان حافزا لنا لننفردة بالعملية وتكون لنا الأسبقية في البحث في مثل عذا التخصص.

الفصل الأول

الأسطورة والخرافة في الجزائر قبل العهد العثماني

تقديم:

أولا: * تعريف التراث

* أقسام التراث

* الأسطورة والخرافة في المغرب الأوسط

* تاريخ نشأة الأساطير وأنواعها

* هل الطقوس مستمدة من الأساطير أم العكس ؟

ثانيا: مظاهر الطقوس في المغرب الأوسط.

* تعريف التصوف ومظاهره الطقسية

* نماذج من الطقوس الصوفية

* نشأة التصوف في المغرب الأوسط

ثالثا: الطقوس الصوفية خلال العصر الوسيط

1- خوارق العادات وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية.

2- تعريف المعجزة وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية.

3- تعريف الكرامة

4- مظاهر المعتقدات الشعبية

خلاصة

تقديم:

أساس ما تعتمد عليه الأمم في تطورها هو ما ورثته عن الأجيال السابقة من تراث مادي أو شفوي ، محمول في المخيال الجمعي أو الذاكرة الجماعية، فيعد حصنا لها ولاستمراريتها في البقاء.

لا يمكن لأية أمة أن تتجاهل أو تتناسى أهمية التاريخ والتراث الوطني بكل أصنافه لما له من أهمية في ترسيخ المبادئ والقيم التي عاش لها ومن أجلها أباؤها وأجدادها، حسب الحقب الزمنية المتتالية، والظروف المميزة التي صاحبت كل عهد، ليشكل تراكما تاريخيا يحدد هوية الساكنة.

ومن بين تلك المعالم الأساسية التي تمثل جزء من الفولكلور ، نذكر الأسطورة والخرافة ودورهما في المجتمع الجزائري خلال العصر الوسيط ، وامتدادها للعهد العثماني وما بعده.

معالم آمن بها الأهالي ومارسوها في جل المناسبات دون البحث في أسرارها، لكن هذا لم يمنع من وجود فئة مناهضة ورافضة لها ، مبررين ذلك بشواهد علمية وأخرى دينية.

أولا: تعريف التراث

لفظ التراث في اللغة من كلمة (ورث) وهو يرادف الإرث والورث والميراث ، ويدل على ما يرثه الإنسان من والديه من مال أو حلي أو عقارأي تعني ما يرثه ابن عن أبيه من مال وحسب ، أو حصول متأخر على نسب مادي أو معنوي ممن سبقه[2] . بمعنى انتقال المال من ذمة شخص توفي إلى ذمة شخص آخر أو أكثر ويقال التراث الاجتماعي

2-محمد ابن منظور، **لسان العرب** ، المجلد 2، ط2، دار صادر، بيروت ، لبنان ، 1992، ص- ص 192-201.

، ويقصد به مجموع العادات والمأثورات الشعبية والأعراف والمنجزات الثقافية التي ورثها الخلف عن السلف[3] .

التراث ليس مرحلة بعينها ، ولا يقتصر على نسق بذاته ، إزاء ما لاحظناه من إهمال الباحثين للتراث القديم ، كما لو كان مرحلة ميتة ، منتهية ، منقطعة الصلة بالحاضر مما أعطانا انطباعا عن سريان اقتناع بانفصالية في تاريخنا[4].كما يعرف التراث على أنه جماع التاريخ المادي والمعنوي لأمة منذ أقدم العصور إلى الآن[5].ويرى فوزي الغتيل على أنه، كل ما تركه ورثة السلف للخلف[6] .بينما يقول جبور عبد النور، أنه أي التراث ، كل ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات ، وفنون وعلوم في شعب من الشعوب ، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والانساني والسياسي والتاريخي والخلقي ، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه[7] .

هذا اللفظ (تراث) لم يرد في القران الكريم إلاَّ مرَّة واحدة في قوله عزَّ وجل" **كلا بل لا تكرمون اليتيم *ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلا لما [8]***

ومدلول الألفاظ في هذه الآية الكريمة يشير للميراث المادي، لذا تجد المفسرين يجددون

3 أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية**،مكتبة لبنان،بيروت،د.ت،ص 193.
4 سيد القمني ، **الأسطورة والتراث** ، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ، 2020 ، ص 18.
[5]غالي شكري ، **التراث والثورة** ، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1973م، ص18.
[6] الغتيل فوزي ، **الفلكلور ما هو** ، دار النهضة العربية للنشر ، القاهرة ، مصر،د.ت، ص77.
[7] جبور جبوري ، **المعجم الأدبي** ،ط1، دار الملايين ، بيروت ، 1979م ، ص69.
[8] قرآن كريم ، **سورة الفجر** ، الآية 19،رواية ورش.

معنى *تأكلون التراث أكلا لما * بأنَّ الله عزَّوجل ينعي على أولئك الذين كانوا يلمون أي يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم.

وفي تاريخنا المعاصر ، نجد منظمة العواصم والمدن الإسلامية تعرف التراث بأنَّــه : ذاكرة الأمَّة بما فيها من أحداث تمت عبر التاريخ ، وتأثرت بالظروف الاقتصادية،

و الاجتماعية ، والمكانية والعمرانية للمقومات الحضارية للإنسان بكل ما فيها من تغيرات.فيما نجد تعريفا أكثر فعالية ، يقول : إن التراث هو كل ما هو حاضر فينا ، أو معنا من الماضي سواء ماضينا ، أو ماضي غيرنا ، سواء القريب منه أو البعيد. فالتراث الشعبي يضم الممارسات السلوكية والطقسية معا ، كما يضم الفولكلور والميثولوجي[9] .

ومن أقسام ومصنفات التراث:

- **التراث الشفوي** : ويضم الروايات والحكايات ، والأمثال والألغاز والشعر العامي أو الملحون والموسيقى ، والرقص الشعبي بكل أنواعه .

- **التراث المكتوب** : وثائق ، مخطوطات ، مكتبات قديمة ، نصوص تاريخية ، رسوم وكتابات على الكهوف .

[9] فاروق خورشيد ، **الموروث الشعبي** ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، القاهرة 1992، ص 12.

- **التراث المبني** : المدن العتيقة ، الأحياء العتيقة التاريخية ، القصور ، القصبات ، المساجد ، الزوايا ، الأبواب ، الزخارف ، النقوش ، الكنائس ، الأضرحة ، الأسواق ، المراكز الصحية ، الحمامات ، الموانئ ، السدود...

- **التراث المنقول** : قطع أثرية كالنقود والحلي ، والأواني الخزفية ، والأسلحة القديمة ، وسائل شخصية لعظماء تاريخيين وغيرها من الأدوات المنزلية والحرفية

وفي الأخير يُمكننا القول : **أنَّ التراث هو كل ما ينقل من جيل إلى جيل، سواء أكان كلاهما لفظي أو طقوسي ، أو حركات أو اعتقادات ، وتشمل العادات والتقاليد والعلوم والأدب والفنون ونحوها** ، وقد تضاف إلى المصطلح بعض الصفات فنقول التراث الإنساني ، والتراث الأدبي ، والتراث الشعبي ، والتراث الثقافي ، ويشمل بهذا المعنى كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية ، وأحاجي وألغاز وقصص وحكايات وحكم وأمثال ، تجرى على ألسنة العامة من النَّاس وعادات الزواج والمناسبات المختلفة والأعياد الدينية والموسمية والأكلات الشعبية ، وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب[10] وأساطير وخرافات...

التراث المـــادي:

[10] تومي عبد الرزاق،**حماية التراث وإشكالية الدخول في مجتمع العولمة**، مجلة الثقافة، العدد 12، جوان 2007،ص 45.

من أبرز الشواهد المادية التي تفتخر بها الشعوب أن يكون لها ماضٍ، وتاريخ وتراث ، حيث تفتخر بما أنتجه الفكر في الخيال وجسدته اليد في الواقع وهذا إن دلّ فإنَّما يدلّ على مدى تطور الفكر، والثقافة في ذلك العصر.

وإذا عرَّفنا التراث المادي بأنَّـه الإنتاج المادي الملموس المتمثل في القصور والحمامات ، والأضرحة ، والحصون والزوايا والقلاع ، والرباطات وغير ذلك من الأدوات المستعملة كالأواني الفخارية والنقود ، واللباس ، والأدوات الحربية ، والصناعات التقليدية ، فكل ذلك يندرج ضمن خصوصية المجتمع وما يميزه عن غيره من المجتمعات.

الأسطورة والخرافة في المغرب الأوسط:

قبل الشروع في التعريف بالمصطلحين ، لابد من التمييز بينهما من حيث الجوهر، أو تصنيفهما من حيث الأهداف المرجو من كلاهما، وبالرغم من إختلافهما، إلا أننا نجد ما هو أسطورة عند البعض ، هو خرافة عند البعض الآخر، أو العكس. وعلى هذا الأساس تكون الدوافع هي المؤشر للتمييز بينهما.

فالأسطورة ، في حقيقة الأمر هي عبارة عن قصة أو مجموعة من القصص ، قد تكون خيالية ، وقد تكون حقيقية إلا أنها مع مرور الزمن ارتبطت ببعض التغيرات بحسب الرواة والمناسبات، فتحولت من الحقيقة إلى الخيال ، فهي تتعلق بأشخاص

متميزين أو أماكن أو ظواهر طبيعية،أو حيوانات منقرضة أو أحداث تاريخية ، فهي تسرد وتروى على أساس أخذ العبرة ، كما يمكن تسميتها باللغة الأجنبية بـ :

Mythe et Legende

فالأول يقصد به الحكايات البطولية ، وأما الثاني يشمل الحكايات الأسطورية.

ومن التعاريف المتداولة، يذكر أن الأسطورة هي مجرد رواية لأفعال إله أو شبه إله ... وقد وجدت كذلك لتفسير الظواهر الطبيعية، بمعنى هي نتاج لطفولة العقل البشري الأول،أي ما توصل إليه العثل البشري ولا تتعدى ذلك .

يعرف كارين أمستونغ أهداف الأسطورة على أنها " لا تروى لغرض الرواية فقط، بل هدفها أن تدلنا على ما يجب علينا فعله[11] .

أما مارسيل ديتيان فيقول " الأساطير هي إذا قصص تتخذ مظهرا مخادعا تفسد به بريق الكلمة المتجذرة في صوت الحقيقة، وهي ليست سوى وهم الحياة الأصيلة، في حضورها المشع[12] .

أيضا، "الأسطورة هي إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي، والغرض من ذلك هو حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق[13] ".

11- كارين أمسترونغ،**تاريخ الأسطورة**،تر: وجيه قانصو،الدار العربية للعلوم ناشرون،ط1، 2008،ص،ص 9، 10.
[12] مارسيل ديتيان، **إختلاق الميثوجيا**، تر:مصباح الصمد، مرا:.بسام بركة،المنظمة العربية للترجمة،ط1،بيت النهضة ، بيروت، 2008، ص 143.

ويعرفها فراس السواح، أنها " ناتج إنفعالي غير عقلاني. أي أنها تصدر عن حالة انفعالية تتخطى العقل التحليلي، لتنتج صورا ذهنية مباشرة تعكس تلك العقلانية الكلانية بين الذات – الوعي – العالم – المادة[14] .

كما عرفت بأنها " عبارة عن حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة أو وقائع تاريخية حدثت وقامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزيينها ".

لم تعد الأسطورة مجرد قصة تقليدية متواترة تتناول الأشخاص من ذوي الطبائع الخارقة، أو الأحداث الخيالية لدى شعب من الشعوب، وإنما أصبحت رمزا يمكن عن طريق التغلغل والولوج إلى مطاويه السرية للكشف عن الجانب المستتر من التطور العقلي لدى الشعب أو الجماعة أو الفرد[15] .

بقيت الأسطورة منذ زمن بعيد وعند كل الشعوب ، أكثر جاذبية واهتمام عند عامة الناس ، وحتى إلى يومنا هذا ، كما بقيت تتطلب تفسيرا بعدما عجزت العلوم والتاريخ في توضيحها وفهمها عقلانيا ،بالتالي بقيت الخرافات والروايات الشعبية هي الحاملة لتاريخها، هكذا علمنا ظاهرها ونجهل باطنها.

يعرفها علماء الإجتماع بأنها قصة رمزية تروي حادثة غريبة أو خارقة للعادة أو الطبيعة ، تمتاز بالإنتشار الواسع وبتواترها وتأثيراتها على الفرد والقبيلة والمجتمع.

---

[13] نبيلة ابراهيم ، **الأسطورة الموسوعة الصغيرة**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1979م، ص 11

[14] فراس السواح، **الأسطورة والمغنى** ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع ،1997م، ص ،ط1،

[15] تقديم المجلة،مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي سورية العدد 197، أوت 1978، ص 5.

وأما عن علماء الأنثربولوجيا ، فهم يرون أن الأسطورة هي حكاية تعيد الحياة إلى حقيقتها الأصلية، مستجيبة لحاجات دينية أو دنيوية، فهي ليست خيال بل حقيقة قائمة بذاتها، يلجأ إليها الإنسان لتعينه على كشف معنى الطقوس والأعمال التي يؤديها على الصعيد الأخلاقي والديني.

ويراها البعض الآخر من علماء الإجتماع مثل مارسيا إلياد[16]، بأنها أحداث تاريخية حدثت في الزمن البعيد الماضي،وهي تروي تاريخا مقدسا، فهي تحكي كيفية حدوث حقيقة ما، سواء أكانت كلية أو جزئية، ويكون أبطالها آلهة.

ويرى البعض الآخر، أن الأسطورة ليست بحثا عن الأسباب وإنما هي كفالة للدين وضمان، وليست غايتها أن ترضي الفضول بل أن تؤكد الإيمان.

لايوجد تعريف موحد أو متفق عليه كما رأينا بين المؤرخين وعلماء الإجتماع والفلاسفة حول الأسطورة، وهذا لتشابهها مع الخرافة والرواية والحكاية وغيرها من حيث عدة جوانب.

والأساطير أنواع مختلفة، صنفها المؤرخون وعلماء الأنثروبولوجيا بحسب المواضيع المدرجة فيها، فهناك الأسطورة الطقوسية، والأسطورة التعليلية، والأسطورة الرمزية، والأسطورة التاريخية.

16 من مواليد سنة 1907م ،توفي 22 أبريل 1986، من رومانيا،مؤرخ وكاتب ومفسر ، رائد للتجارب الدينية، أستاذ بجامعة شيكاغو، أثبتت نظرياته القائلة بأن الظهورات الكشفية المقدسة تشكل أساس الدين، من أهم اسهاماته في الدراسات الدينية نظريته حول العودة الأبدية التي تنص على أن الأساطير والطقوس لا تحي ذكرى الظهورات الكشفية، بل تشارك فيها فعليا.

فالأسطورة الطقوسية،"أو كما يسميها البعض بالأسطورة الدينية ارتبطت أساسا بعمليات العبادة[17]، أي بنظام ديني معين، وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة ، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا إنهار النظام الذي تنتمي إليه وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة، مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية**"**[18] .

وقد ظهرت مع الأساطير الدينية وارتبطت معها الأناشيد والتراتيل التي تتلى ، وتقوم بوصف طريقة وسبب قيام هذه العبادات والطقوس ، التي تتمثل في كونها وسيلة يتمكن الإنسان من خلالها اتقاء شرور الطبيعة وينجو بنفسه وذويه من العواقب الأليمة.

وأما الأسطورة التعليلية، فتعنى بإثبات وجود كائنات حية روحية خفية في مقابل ما هو موجود في الظاهر، وعمل رجال الدين على ايهام الجماعة بأنها على اتصال بهذه الكائنات فوجد السحر،فازدادت الرغبة في معرفة التفسير والمعرفة.ولأن عقل البشر محدود فمجرد ظهور الفكرة المسنودة ببعض الشواهد اضحت الأسطورة مقبولة وجذابة عند بعضهم.لأنها حاولت تفسير الظواهر الكونية التي تدور حول الإنسان والتي أرجعها روادها إلى قوى غير ظاهرة منها أصل الماء والهواء والنار والبرق[19] وغير ذلك...

[17] أحمد كمال زكي، **الأساطير**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة، 1967، ص4.
[18] أحمد زكي بدوي، **المرجع السابق**، ص 244.
[19] أحمد كمال زكي،**المرجع السابق**، ص 4

وأما الأسطورة الرمزية ، فتتضمن خرافات الشعوب التي تحاول أن تلقي ضوءا على الرموز والمجازات والأمثال التي يكتنفها جو من الغموض.وهذه المجازات سواء أكانت دينية أو تاريخية وكمثال ذلك تفسير الأحلام.

وأما الأسطورة الطبيعية ، تفيد بأنها قد وجدت لتفسير الظواهر الطبيعية ، ويستند أصحاب هذا الزعم إلى أن الإنسان القديم جعل البعض من هذه الظواهر آلهة (الشمس ، القمر ، الأرض ، الزلازل ، البراكين، الرياح ، الكسوف ، الخسوف ...) يتضرع إليها لتقيه من شر غضبها.هذا يقودنا إلى أهمية الأسطورة " بأنها تنير جوانب النفس الإنسانية، وأن المجتمع الذي يفقد أساطيره بدائيا كان أو متحضر يعاني كارثة تعادل فقدان الإنسان لروحه"[20]

وأما الأسطورة التاريخية ، تشتمل على الخوارق من ناحية ، "ولأنها من ناحية أخرى تجعل بطلها مزيجا بين الاله والانسان، أو قد تكتفي فترفعه إلى مرتبة " الأولياء " في محاولة تجسيد فكرة الخير ودحر الشر"[21] . وأصحاب هذا الرأي يرون كل أسطورة هي في الأصل حدث تاريخي أحاطته الذاكرة البشرية بطبقات من الأحداث نسجتها مخيلاتهم. فالتراكمات التاريخية من شأنها بعد تداولها عبر الأزمنة التاريخية تحول عن أصلها ومقاصدها.

---

[20] محمد عجينة، **موسوعة أساطير العرب ودلالاتها**،ط1، دار الفرابي، بيروت، لبنان،1994م، ص 41.

[21] أحمد كمال زكي،**المرجع السابق**، ص 6.

وأما الأسطورة الأدبية ، وما تميز به الأدب بفعالية وابداع لإعادة انتاج الوجود البشري بصفة جذرية وشاملة ، فهو يحاكي بشكل أو بآخر جوهر الأسطورة ، فعلى عكس العلم الذي يحاول التعرف على الحتمية التي تحكم هذا العالم ، وتسخيرها لخدمة البشرية ، وعلى عكس الفلسفة التي تتخذ لنفسها موقف المراقب ، من هنا تظهر أهمية الأدب في التعامل مع وقع هذه الحتمية على النفس البشرية وبالتالي تعامله معها ينحصر في استقراء هذا التأثير والتعبير عنه بكل أشكاله.

في الأخير، الأسطورة هي بحق نمط حياة ، عقيدة راسخة ، وأرضية صلبة تسند الإنسان عند الحاجة. لذلك تكتسب أهمية بالغة في كل المجالات المعرفية والأبحاث الإنسانية " وتعدد التعريف يترجم اختلافا حول ماهية الأسطورة كظاهرة ثقافية وينم عن اهتمام متزايد هذه الظاهرة[22] ، فكل ميدان من ميادين العلوم ينظر إليها من زاويته الخاصة ، وبالتالي تعدد الرؤى هذا يفتح المجال واسعا أمام الدراسات الحديثة لمقاربتها من زوايا جديدة.

ذكر لفظ الأساطير في القرآن الكريم

ورد ت كلمة أساطير في القرآن الكريم، تسعة مرات، وكلها مرتبطة بلفظ الأولين، نسردها كما يلي:

[22] -سحاية خيرة، **ترجمة الأسطورة في قصص الأطفال**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012، ص 45.

1- " **يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**"[23]

2- " **لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين**"[24]

3- " **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**"[25]

4- " **لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**"[26]

5- " **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**"[27]

6- " **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**"[28]

7- " **آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين**"[29]

8- " **إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**"[30]

9- " **اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين**"[31]

جاءت كلمة الأساطير من عند المناوئين للرسول عليه الصلاة والسلام ،ويحاجونه بها حتى يعجزونه أو يكذبوا بما جاء به من ربه ، فقولهم أساطير الأوليين معناه حسبهم

[23] -لقرآن كريم ، **سورة الأنعام**، الآية 25،رواية ورش.
[24] -قرآن كريم ، **سورة الأنفال**، الآية 31 ،رواية ورش.
[25] القرآن الكريم ، **سورة النحل**، الآية 24 ،رواية ورش.
[26] القرآن الكريم ، **سورة المؤمنون**، الآية 83، رواية ورش.
[27] القرآن الكريم ، **سورة الفرقان**، الآية 5 ،رواية ورش.
[28] القرآن الكريم ، **سورة النمل**، الآية 68 ،رواية ورش.
[29] القرآن الكريم ، **سورة الأحقاف**، الآية 17 ،رواية ورش .
[30] القرآن الكريم ، **سورة القلم**، الآية 15 ،رواية ورش.
[31] القرآن الكريم ، **سورة المطففين**، الآية 13، رواية ورش.

أنهم على علم بما حدث قبلهم وكلها قصص فيها ما لم يمكن تصديقه من طرف العقل، بل هو تراثا لا يختلف بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي ما دام أن من سبقوهم كان موقفهم الرفض من تلك التعاليم ، فهم أيضا سائرون على منهجهم، كون تلك الأساطير تخالف وتتنافى مع معتقداتهم السائدة وليس بإمكانهم تغيير واستبدال ما ورثوه عن أبائهم وأجدادهم معتقدين أن ذلك هو الصواب.

يتبادر إلى الذهن دوما، التساؤل عن تاريخ وكيفية اكتشاف الأساطير، إذا علمنا أن قدمها قدم التاريخ ، ثم ما مدى صدقيتها ، وما التغيرات التي طرأت عليها.تلك هي الإشكاليات التي تطرح بإلحاح عند كافة المهتمين بالموضوع.

كانت الأساطير تكتب على الألواح الطينية ، وبتراكمها ومرور سنين طويلة دون عليها دون العناية بتخزينه في ظروف ملائمة فعند استخراجها من الأنقاض والأكواخ ، كانت فاقدة لجانب كبير من محتواها بسبب التقادم الزمني والعمليات الطبيعية التي أثرت عليها ، ففي معظمها تكون ناقصة من المحتوى، ويعترف **صمويل كريمر**[32] الباحث المتخصص في علم الأثار والكتابات السومرية بالتقصير عن فهم مقولات الأقدمين قائلا: " سيكتشف علماء عصرنا أننا مقصرون عن فهم المقولات (الأساطير) مقولات أولئك

[32] ولد يوم 28 سبتمبر 1897بمدينة كييف الأكرانية ، سنة 1905 هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تحصل على الجنسية،خبير عالمي في التاريخ السومري،له عدة مؤلفات منها الحضارة السومرية، توفي يوم 26 نوفمبر 1996 عن عمر ناهز 93 سنة.

الأقدمين، أنهم كانت لديهم قناعة كاملة بأنهم يعرفون كيف يعمل هذا الكون، وكيف هي مسيرة الحياة"[33] .

أما الخرافة فهي قصة أو حكاية منسوجة من الخيال، لا أساس لها من الصحة، لا تستند على أي أساس منطقي أو عقلي، وبالرغم من ذلك فهي تمثل إرثا تاريخيا تتناقله الأجيال، ومن أنواع الخرافة، نجد الخرافة الدينية والإجتماعية والفلسفية

و الثقافية والشخصية وغيرها.

لغة: حسب ما جاء في لسان العرب،أصلها من خرف بالتحريك، أي فساد العقل من الكبر[34]

أو هي الحديث الذي لا يصدق، ويكون بعيدا عن الواقع، وجاء أيضا أن خرافة : رجل من بني عذرة، غاب عن قبيلته زمانا ثم عاد فزعم أن الجن استهوته وأنه رأى أعاجيب جعل يقصها عليهم ، فأكثر " فقالوا الحديث المكذوب حديث خرافة. وقالوا فيه (اكذب من خرافة) حتى سمى الحريري الكذب خرافة ، فقال في المقامة الرابعة: (فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته)[35]

[33] -قسم الدراسات والبحوث،**الأسطورة توثيق حضاري**،ط1،جمعية التجديد الثقافية، مملكةالبحرين، 2005م، ص27.

[34] -محمد ابن منظور، **لسان العرب**،مج 7،ط4، دار الصادرة، ، بيروت، 2004، ص

[35] خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم الملايين ، بيروت، 1980، ص 203

أما الزمخشري فهو يتجه نحو الاشتقاق في الكشف عن دلالة اللفظ فيقول: " وأتحفه بخرافة نخلته وخرفتها"[36] .أي ثمر خريفها وهذا ما جعل مدلول خرافة يتطور إلى معنى الحديث العذب والممتع والبعيد عن الحقيقة لإرتباطه بمجالس سمر الليالي.

اصطلاحا:هي الحديث المستملح من الكذب[37]، فالكذب هو نوع من أنواع فساد العقول، يعد شرط لوجود الخرافة...فكلمة الخرافة يحيلنا على زمان التلقي إذ تكون الخرافة حديث الليل[38].

ظلت الحكاية الخرافية محتفظة بحيويتها وجديتها عبر آلاف السنين، فقد عاشت عصر ازدهارها في القرن السادس قبل المسيح في بلاد الإغريق والهند، أما عصر الإزدهار الثاني – وهو يعد بحق أروع عصور ازدهارها – فهو الذي عاشته الحكاية الخرافية في عصر الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر وما تلا ذلك من قرون ، ففي هذا الوقت ظهرت المجموعات الكبيرة للحكايات الخرافية في الشرق ، أما في الغرب فإن مجموعات الأناشيد الدينية الكبيرة قد تضمنت الكثير من الحكايات الخرافية والأساطير[39] .

[36]-محمود بن عمر الزمخشري ، **أساس البلاغة**، دار الفكر بيروت، لبنان، 2004، ص 159

[37]-محمد ابن منظور جمال الدين ، **لسان العرب**،ط1،مج3، دار الفكر بيروت، لبنان، 2008م، ص 3138

[38] ضياء الكعبي، **السرد العربي القديم**،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005 ،ص44.

[39] فريديرتش فون ديرلاين، **الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها**، تر: نبيلة ابراهيم،مرا:عز الدين اسماعيل ،ط1، دار القلم ،بيروت ،1973، ص 19.

وإذا أردنا أن نبحث عن الفرق بينها وبين الأسطورة، فهذه الأخيرة تحمل حقائق تاريخية، بينما الخرافة تحمل خيالا أو كذبا كما يقال عنها " الحديث المستملح من الكذب".

لا يوجد تاريخ محدد لبداية الخرافة، إلا أن القرن السادس قبل الميلاد، هو القرن الحاسم لها، حيث شهدت ازدهارا في بلاد الإغريق و الهند، وازدادت انتشارا في عصر الحروب الصليبية، كما عرفت مصر توسعا لها فكانت رائدة البلدان العربية ومن أمثلة الخرافات، نذكر ما تعلق بالخوارق، والجان، والسحر، والعفاريت... وبهذا تكون الخرافة آداة لما يختلج في نفس الإنسان ، يرويه أو يستمع إليه في سمر الليل.وتقول روزلين قريشي: "وباختصار قصة الخرافة الشعبية قصة اخترعها الخيال الشعبي وأضاف لها جانبا خرافيا للتعبير عن عقيدة خاصة يؤمن بها الناس أو فكرة معينة تتحسس لها الجماهير"[40].

يقول أحمد زكي، "أن أصل الخرافة مجرد شائعة ثم زيد فيها وأصبحت جزءا من تراث الشعب المنقول ...والأمر لاينبغي أن يبدو غريبا لأن هناك من العلماء من يقرن الأسطورة نفسها بالشائعة"[41]

[40] ليلى روزلين قريش،**القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي**،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1999، ص 144.

[41] أحمد زكي،**المرجع السابق**، ص 14

في النهاية نقول ان الخرافة هي نوع من أنواع التعبير القصصي ، وهي منتشرة في جميع أنحاء العالم ، ولقيت عناية كبيرة من قبل الأنثربولجيين ، فهي في اللغة الفرنسية تعرف بـ : (**conte merveilleux**) .

وأطلق عليها العرب في مصطلحاتهم : الحكاية العجيبة، الخرافة ، الحكاية السحرية، حكاية الجن ، وسماها المجتمع الجزائري ، حجاية ، خرافة ، وبالأمازيغية أماشهوش[42]

ارتبطت الأسطورة في أذهان الكثيرين وإلى يومنا هذا بالخرافة أو الحديث الباطل واعتبر كلاهما عند البعض شيئا واحدا، كما ذهب إليه **أرسطو**، لكن الحقيقة هي أن الأسطورة في حد ذاتها حكاية مقدسة يؤمن بها أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيمانا لا يتزعزع فما يميزها عن غيرها هو الإعتقاد فيها ، فجوانبها الحقيقية كانت مدعاة للإمان بها ، والتمسك بها والتعصب إليها.

أما الخرافة، فهي حكاية تميزت بالخوارق وتجري أحداثها بعيدا عن الواقع حيث تتحرك شخصياتها بسهولة بين المستوى الواقعي المتطور، والمستوى الخيالي وتتشابك علائقها مع كائنات غيبية متنوعة مثل الجن والعفاريت والأرواح الهائمة، وقد تدخل الآلهة مسرح الأحداث في الخرافة ولكنها تظهر هنا بأشبه بالبشر المتفوقين لا كآلهة سامية متعالية كما هو شأنهم في الأسطورة. ومن هنا فإن الحدود بين الأسطورة والخرافة

[42] عبد الصدوق ابراهيم،**الموروث الشعبي في التصوير الجزائري**، أطروحة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018م ، ص 34

ليس دائما على مستوى كبير من الوضوح، وقد تشبه بعض الخرافات الأساطير في الشكل والمضمون تثير الإلتباس والحيرة[43] .

فلا نستطيع التمييز بينهما إلا باستخدام معيار الإعتقاد الذي أثبتناه في التعريف، وأما الخرافة فإن رواتها ومستمعيها على حد سواء يعرفون منذ البداية أنها تقص أحداثا لا يعتقد أحد بتصديقها أو الإيمان بها المطلق ، فالخرافة ليست موضوع إعتقاد، بل موضوع تسلية وسمر وهناك معايير أخرى وضعت للتمييز بين الخرافة والأسطورة وإن لم تكن على قدر كبير من الدقة.

أ – توجد الأساطير عادة في التراث بفصيح اللغة، وتوحد الخرافة في عاميتها، باعتبارها جزءا من الحكاية الشعبية ولا يمكن اعتبار هذا المعيار فاصلا بينهما لوجود خرافات شتى باللسان الفصيح .

ب – تنتمي الأسطورة لعهد ما قبل الديانات السماوية وترتبط الخرافة بعهود ما بعد الوثنية" وفي هذا الصدد يكاد يكون ثمة إجماع على أنه إذا تضمنت الحكايات موضوعا دينيا فمن السهل أن نجعلها أساطير للآلهة، وتلك تظل دائما من صميم معتقدات الشعب، ويظل في وسعها أن تلعب دورا مهما في العقيدة، في حين لا يكون للحكاية الخرافية علاقة بالماضي ولا الحاضر على حد سواء[44] .

[43] فراس السواح، **المرجع السابق**، ص 15

[44] أحمد كمال زكي،**المرجع السابق**، ص 23

فإذا اقتربت الخرافة بالأسطورة في بعض الجوانب ، فهذا لا يعني تجانسهما ، فمواضيع أخرى قد تجدهما أقرب إلى الخرافة منها عن الأسطورة ، ومنها الحكاية البطولية والحكاية الشعبية والفلكلور.

يقول العالم الألماني المختص فريديريتش فون دير لاين في كتابه الحكاية الخرافية نشأتها ، مناهج دراستها، فنيتها، محددا توجهات الأسطورة والخرافة، فعن الأولى يقول أن توجهاتها دينية، وأما الثانية فتوجهاتها دنيوية، فكلتاهما قديمة، وعاشتا جنبا إلى جنب رغم إختلافهما في الهدف.

وأما إذا ميزنا بينهما من حيث القدسية ، فالأسطورة هي رسالة لربط الصلة بين العالم الدنيوي والعوالم القدسية ، وبالتالي فهي ملزمة للتصديق بها، وأما الخرافة فهي غير ملزمة أيضا ، فالخرافة هي عرف عند رواتها وسامعيها ، بينما الأسطورة هي خطاب الجد والحقيقة ، نميزها أيضا من المكان، فالخرافة هي وليدة بيئة اجتماعية معينة، تعكس خصوصيته، بينما نطاق الأسطورة أوسع جغرافيا.

أبطال الأسطورة غالبا، هم آلهة، بينما أبطال الخرافة هم أشخاص أو حيوانات وغيرها.

خلاصة القول، الأسطورة وظيفتها خدمة الإنسانية جمعاء، بينما الخرافة وظيفتها محلية أو اقليمية لاتتجاوز القبيلة أو الْإقليم الضيق وأن أوسع دائرتها لا تتعدى الوسط الجغرافي

حيث يقطن الناس ذوي العادات والتقاليد والتاريخ المشترك. وعلى هذا الأساس نسلط الضوء على إقليم الجزائر قبيل وأثناء الوجود العثماني لمعرفة مدى تواجد وتأثير الأسطورة والخرافة عليه.

ساد الفهم والإعتقاد والإتفاق بين المؤرخين والجغرافيين العرب على تحديد كلمة مغرب بالأراضي الإسلامية الممتدة غربي مصر إلى المحيط الأطلسي.وعلى هذا الأساس كانت مدينة الإسكندرية الحد الفاصل بين المغرب والمشرق.

وهكذا نرى أن مدلول لفظ المغرب في العصور الوسطى كان أوسع من مدلوله اليوم بعد أن خرج منه القسم الأوربي" الأندلس" وأصبح قاصرا الآن على بلاد شمال افريقيا فقط أو بما يسمى بالمغرب العربي الكبير... مقسما إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها من مركز الخلافة الإسلامية في المشرق وهي[45]:

1- المغرب الأدنى : ويسمى أيضا افريقيا ، وكان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته مدينة القيروان تحت حكم الأغالبة ، ثم المهدية أيام الفاطميين ، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم.

2- المغرب الأوسط : ويشمل بلاد الجزائر، وكانت عاصمته مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية الخارجية الإباضية ، وتقع تقريبا في مكان تيارت الحالية... وفي أيام

[45] أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،د.ت، ص 13

الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب صارت العاصمة مدينة أشير التي تسمى حاليا **بنيه** بالقرب من مدينة الجزائر، ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري. وأخيرا صارت جزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر الحالية هي العاصمة حتى اليوم.

3- المغرب الأقصى : ويعتبر امتدادا للمغرب الأوسط لميوعة التواصل الذي بينهما، ولذا نجدها في معظم العصور التاريخية يكونان دولة واحدة ، ويعتبر نهر ملوية هو الحد الفاصل بينهما.

وقد ورد حدود المغرب العربي في كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،على النحو التالي ، ومساكن هذه الأمم في القديم جميع المغرب ، أقصاه ووسطه وأدناه ، فالمغرب الأقصى حده من نهر ملوية إل آسفي حاضرة البحر المحيط ، وفيه نهر أم الربيع وهو نهر عظيم ربما وصل إلى سبعين ميلا منبعه من جبال درن ، ويسكن هذا المغرب في الأغلب المصامدة وبرغواطة ونحمارة ، ومعهم عوالم من صنهاجة ومطغرة وأوربة وغيرهم ، والمغرب الأوسط حده من وادي ملوية إلى بجاية ، وكان في الأغلبية به منازل زناتة ومغراوة وبني يفرن ومغيلة معهم ، وكذا كومية ومطغرة وغيرهم ومطماطة ، ثم صار لبني ومانو وبني بلوهى ثم صار لبني عبد الواد ، وتوجين من بني يادين وقاعدته في في القديم تلمسان ولما تملكه الترك صارت قاعدته الجزائر ، ويمر به نهر الشلف منبعه من جبل راشد في الصحراء ثم يدخل التل من بلاد حصين ، ثم يمر

مغربا ، وتجتمع فيه سائر أنهار المغرب الأوسط المقاربة له إلى أن يصب في البحر الرومي ما بين كلميتو (بالقرب من عين تادلس حاليا) ومستغانيم ، وأما المغرب الأدنى فمبدأه بجاية، وهي قسنطينة ، ديار زواوة ، وكتامة ، عجيسة ، وهوارة ، ثم صارت ديار العرب إلا متمنع الجبال ففيه بقاياهم[46] .

على العموم ، يعد **البكري**[47] أول من استخدم مصطلح المغرب الإسلامي في كتابه المسالك والممالك ، ليحدد مجاله الممتد من برقة شرقا حتى طنجة غربا ، جاعلا من تلمسان قاعدة المغرب الأوسط وحدا شرقيا له ، ودار ملك لقبيلة زناتة ، وهي أقوى قبائل المغرب وأكثرها عددا، حتى أطلق على الإقليم وطن زناتة.

وهناك من الجغرافيين من اعتمد المعيار السياسي في تحديده للمجال الجغرافي للمغرب الأوسط متجاوزا بذلك الإنتماء القبلي جاعلا من بجاية قاعدة له، حيث يذكر الإدريسي أن " بجاية مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد المجال الخاضع لحكم بني حماد الممتد من ساحل المتوسط شمالا إلى ورجلان ، والمغرب الأوسط أو الواسطة في إطاره الطبيعي والجغرافي يمتد تقريبا جنوبا من بجاية إلى نهر ملوية وراء تلمسان.

فعاصمة المغرب الأوسط كانت تاهرت على عهد الدولة الرستمية الخارجية ، ثم تحولت أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب إلى آشير،

---

[46] أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتقد: الشيخ المهدي البوعبدلي، ص 452

[47] هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، المتوفى سنة 487 هجرية، من مؤلفاته المسالك والممالك في جزئين، نشر بدار الغرب الإسلامي سنة 1992م.

لتنتقل إلى تلمسان غربا أيام دولة بني عبد الواد أو بني زيان في القرن السابع الهجري ، وأخيرا صارت جزائر بني مزغنة وهي مدينة الجزائر حاليا.

هذه الرقعة الجغرافية عامة ، والمغرب الأوسط بصورة خاصة تميز بإنتاج علمي وثقافي كبير خلال العصر الوسيط ، وهو انتاج أوفر مما أنتجه الفكر خلال العهد العثماني ، فاعتبر مصدرا ومرجعا للخلف ، وبهذا يمكن القول أن مرجعية علماء العهد العثماني كانت في غالب الأحيان مما أنتجه وأنتجته دويلات أو إمارات أو دول العصر الوسيط في المغرب الإسلامي مرورا بالدولة الرستمية ، فالدولة الحمادية ، فالدولة المرابطية ، فالدولة الموحدية فالدولة الزيانية ، ويعود هذا التفوق خلال تلك العصور إلى:

- اهتمام سلاطين وأمراء تلك العقبة بالعلم والعلماء.

- المنافسة بين العلماء.

- حركة العلماء وتنقلاتهم بحثا عن العلم.

وتجسد هذا التطور الثقافي في تأسيس مدن علمية تزخر بالمساجد والمدارس ، نذكر منها ، مدينة تلمسان وبجاية وقسنطينة ومازونة ووهران ومدينة الجزائر وعنابة وبسكرة وغيرها من المدن.

كما عرفت تلك الحقبة عائلات، عرفت بالعائلات العلمية منها عائلة المقري وعائلة العقباني في تلمسان وعائلة ابن باديس والقنفذ في قسنطينة، وعائلة المنجلاني والمشدالي

في بجاية، وعائلة ابن السكات بمدينة الجزائر، وبعض العلماء الذين اشتهرت بهم بسكرة مثل أبي ناصر مزني وعيسى بن سلامة وأبي محمد عبد الله، كما يمكن ذكر فقهاء مازونة وهم موسى بن عيسى وابنه يحي...

وبمرور الزمن ، وخاصة خلال القرن التاسع الهجري الرابع عشر ميلادي والخامس عشر الميلادي ، ساءت الأحوال السياسية والإقتصادية الأمر الذي دفع العلماء إلى الهجرة أو الإنعزال والزهد ، مبتعدين عن الإنتاج الفكري والثقافي، نذكر منهم لا للحصر، فالذين فضلوا الهجرة:

- أحمد بن يحي الونشريسي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، أبي الفضل محمد المشدالي البجائي ، أحمد بوعصيدة البجائي ، أحمد بن يوسف القسنطيني ، أبي القاسم المعروف بابن سالم الوشتاتي القسنطيني ، أبي زيان ناصر بن مزني البسكري ، محمد بن أحمد المعروف بابن صعد التلمساني وغيرهم...

وأما الذين فضلوا العزلة والتصوف والإهتمام بعلوم الآخرة ، منهم عبد الرحمان الثعالبي ، وعبدالله الزواوي الجزائري ، ومحمد بن يوسف السنوسي...

كما انجر عن هذا الوضع ، مجموعة من العادات والتقاليد خالفت الدين في الجوهر ، إلى درجة أن أصبحت الممارسات أقوم مما يتنزل عند فئة من المتصوفة، ومنها:

- انتشار ظاهرة الإعتقاد في الشيخ.

- إنتشار الزوايا والأضرحة إلى درجة خطيرة، أدت إلى تبسيط المعرفة وغلق باب الإجتهاد.

- إلتفاف الناس حول الزوايا بدل الإلتفاف حول المدارس والمساجد، فانتشرت الخرافة.

- انتشار التصوف العملي بما فيه حضرة وأذكار وأوراد، واعتقادات في المرابط وسووا بين المرابط والرسول صلى الله عليه وسلم.

بناءا على ما سبق، حاولنا أن نبحث في التراث الشعبي الجزائري ومدى ارتباطه بالخرافة والأسطورة ، محاولين إثبات دور البيئة الجزائرية في احتضانهما وذلك من خلال التقصي في الظروف التي تميزت بها خلال العصر الوسيط وعن مدى تقبل الجزائريون للخرافة والأسطورة وعن تأثيراتها على الحياة الفكرية ومدى ارتباطها بالعقيدة .

مر المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط بأوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية متباينة بين الإستقرار والإزدهار تارة، والإضطراب والضعف تارة أخرى، وهذا ما أثر تأثيرا بليغا على الفرد والمجتمع، وحتى على الكيانات السياسية التي شهدت مدا وجزرا في أقاليمها وحدودها الجغرافية، مما أدى إلى الإنسياق وراء أساليب منحرفة من المعتقدات الغيبية تخاطفتها المذاهب الفكرية، فتشكلت زمر من المجتمعات مختلفة التكوين العقلي والعقائدي ، بأراء وأفكار مختلفة.

لم يكن المغرب الأوسط بمنآى عن بقية المجتمعات بالمغرب الإسلامي ،حيث شهدت المنطقة التصوف بنوعيه السني ثم الشعبي، فاحتضن الأسطورة كوسيلة لترسيخ مبادىء العقيدة الإسلامية من جهة ومن جهة أخرى كسب المزيد من الموردين، وتجلت اهتمامات العلماء بصورة عامة في القصائد الشعرية، وشملت مؤلفاتهم ما كانوا يؤمنون به، ومنها:

- مخطوط بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار لسيدي أحمد بن يوسف الراشيدي.

- الصباغ القلعي لمحمد بن محمد بن أحمد القلعي.

- ربح التجار للشيخ علي بن موسى الجزائري.

- الفلك الكوكبي وسلم الراقي إلى المراتب لمحمد بن عيسى بن فكون الشلفي، الملقب بالمغوفل.

- صلحاء وادي الشلف لموسى بن عيسى المازوني.

- المنامات الكبيرة والصغرى للثعالبي.

- أنس الغريب وروض الأديب لابن عباس أحمد بن أحمد البجائي.

- عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني.

هذا ما يؤكد، الإنتشار الواسع للأسطورة والطقوس في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، و بالأخص في القرنيين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين وامتد انتشارها على بقية الأزمنة في ما بعد، نذكر منها أسطورة العنصرة في تلمسان، وطقوس الإحتفال بفصل الربيع عند الأمازيغ وغيرهم، وطقوس الإستسقاء، وطقوس التبرك بأولياء الله الصالحين، وطقوس بداية ونهاية البناء، وطقوس الختان وغيرها من الطقوس

وعلى هذا يذكر علماء الميثولوجيا (علم الأساطير) أن الأساطير ولدت مع ظهور الانسان ، وهذا لتفسير المعتقدات والبحث في الأسرار، وبمرور الأزمنة والعصور، نسجت كل أمة أساطيرها الخاصة بها ، وكلها مرتبطة بالدين ، مؤمنة بخوارق العادات ، متمكنة من ترسيخ عادات وتقاليد ، منشأة لخلايا الأسرة ثم العشيرة ثم الجماعة...

إن كلمة " الأسطورة" ترتبط دائما ببداية الإنسانية أو ببدائية البشر، حيث كانوا يمارسون السحر ويؤدون طقوسهم الدينية التي كانت – فيما يقال – سعيا فكريا لتفسير ظواهر الطبيعة[48]... تفسيرا قائما على العقل.

[48] أحمد كمال زكي، **المرجع السابق**، ص 3

هل الطقوس مستمدة من الأساطير أم العكس:

هناك مدرستان تختلفان في تحديد أولهما، فالأولى تؤيد أولية الطقوس وتقول أن كل أسطورة هي مستوحاة من الطقس، ويتزعم هذه المدرسة وليام روبرتسون[49] وجيمس جورج وغيرهم، والفكرة الثانية أن الطقوس نجمت عن الأسطورة ، وأما النظرة الحاكمة في المجتمع اليوم فهي أن العلاقة بين الأسطورة والطقوس إنما هي اشتراكهما في نماذج عامة.

على العموم، الأسطورة هي قصة أو مأثورة أو حكاية تحمل سيمات العصور القديمة وتفسير معتقداتهم في آلهتهم وأبطالهم وخوارقهم ومعتقداتهم الدينية، إلا أن مع مرور العصور تحول البطل من إله إلى انسانا بشريا، وبهذا اتسع نطاقها وشغلت بال الشعوب وأصبح لكل شعب أساطيره الخاصة به، وباتت تراث الجماعة المشتركة لترسيخ سيطرة عشيرة أو أسرة أو نظام اجتماعي.

غالبا ما تكون الأسطورة ملازمة للطقوس، فهما عنصران أساسيان لتعريف الأول بالثاني أو العكس، فهما وجهان لعملة واحدة وكلاهما مرتبط بالدين عبر العصور، "فمثلت الجزء القولي المصاحب للطقوس البدائية"[50]، "وتبعتها أفعالا

[49] مؤرخ انجليزي، كان عضوا في حزب الأحرار البريطاني ، وعضوا في الجمعية الملكية، وعضوا في الأكاديمية الروسية للعلوم،ولد سنة 1721م وتوفي عام 1793م عن عمر يناهز 72 حول.

[50] كاملي بلحاج، **أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة**: قراءة في المكونات والأصول،ط1،اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص17

تعكس حالة المجتمعات البدائية من تفكير يتبعه فعل ، مثل تقديم القرابين للآلهة من رقص وذبح للماعز للتطهير من الذنوب"[51]. فبعض الباحثين يقدمون الطقس على الأسطورة ذاكرين أن نسيج الأسطورة لا يمكن أن يكون إلا من خلال طقوس معاشة، ويرى البعض الآخر أن الطقس نتاج للأسطورة لإحياء شعائر دينية فهو عمل إجرائي ميداني.

ثانيا : مظاهر الطقوس في المغرب الأوسط:

1- تعريف التصوف ومظاهره الطقسية: هو ظاهرة دينية واجتماعية، لم تقتصر على الدين الإسلامي بل وجدت عند المسيحيين واليهود وغيرها من الديانات، فهي تربط الإنسان بخالقه، وبفضلها ينتقل الإنسان من العالم العادي إلى العالم المقدس، مع العلم أن التصوف كان يمارس في البداية عند الأفراد، تحول بمرور الزمن إلى ممارسات جمعوية، ولم يكن المغرب الأوسط خلال العصور الوسطى بمنآى عن هذه الظاهرة .فشملته في الحضر والبادية.

2- نماذج من الطقوس الصوفية:ينقسم التصوف إلى نوعين أو قسمين أو صنفين:

[51] نبيلة ابراهيم،**أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار النهضة،القاهرة، مصر، د ت، ص17

أ- **التصوف العملي الروحي**: هو حالة وجدانية يختار فيها الإنسان نمطا حياتيا يبتعد من خلاله عن ملذات الحياة، ويهدف إلى إدراك الذات الإلهية.

ب – **التصوف الفلسفي**: هو ما اتفق على تعريفه بالتصوف العقلي النظري، وموضوعه العقل، يقوم على التأمل الفكري، فبالتالي هو مزيج بين التصوف والفلسفة.

لقد ظهر هذا النوع الأخير من التصوف ألا وهو التصوف الفلسفي بالمغرب الإسلامي بعد ظهوره بالمشرق العربي بفترة وجيزة، ومن بين أبرز أقطابه محمد بن أبي عمران التيجيبي وعبد الرحمان بن زياد بن أنعم ، ولم يعرف انتشارا إلا خلال القرن 11م، وخاصة خلال القرن 13م.

على العموم فإن الدارسين لموضوع التصوف ينقسمون إلى فئتين أو مذهبين هما:

- **المذهب الأول**: يرى التصوف أجنبيا عن الإسلام في أصله ونشأته وأفكاره. وعليه فهو فكر منحرف كله، وهذا رأي يرفض التصوف جملة وتفصيلا يقابله من يقبل التصوف بكل ما فيه ، ويراه اسلاميا خالصا.

- **المذهب الثاني**: مذهب يرى التصوف إسلاميا في أصله وأفكاره، تلبس بالفلسفة لاحقا، وعليه فمنه الإسلامي (المعتدل السني) ومنه الفلسفي (الغالي البدعي)[52].

3- نشأة الطقوس الصوفية في المغرب الأوسط:

كانت البيئة الثقافية والفكرية بالجزائر بمثابة المهد الذي أسهم في تواصل واستمرارية الأفكار الصوفية التي وفدت إليها من الأندلس خاصة، وقد انحصر تواجد التصوف الفلسفي في بجاية وتلمسان التي عرفت بتقاليدها العلمية، وقد بقي هذا النوع من التصوف منحصرا نخبويا.

بدأت ظاهرة التصوف الفلسفي أو ما يعرف بالنظري في المغرب الأوسط ابتداء من القرن 6هـ/12م، ومع بداية القرن 9هـ/15م توسع على حسابه التصوف الشعبي، وعرف انتشارا واسعا، ومنه تنوعت الطرق الصوفية فنجد القادرية والشاذلية والرحمانية...

من أبرز أقطاب التصوف الفلسفي "ابن عربي" "ت638هـ" وابن سعيد "ت669هـ" بعد استقرارهما في المغرب الإسلامي، فالأول استقر وأقام بفاس وبجاية ، وأما ابن سبعين فأقام في تبسة وبجاية ، والحلوي بتلمسان.

[52] لطف الله خوجة،**موضوع التصوف**: سلسلة البحوث المحكمة، مكة المكرمة، 1432هـ ، ص 10

إضافة إلى العلماء ودورهم في ذلك، هناك تأثيرات الكتب التي وصلت المنطقة ، مثلا كتاب " الإحياء " للإمام الغزالي الذي حاول فيه التوفيق بين الشريعة والحقيقة، بين الظاهر والباطن، قصد إضفاء الشرعية على التصوف عملا وسلوكا[53] ، شكلت هذه الأمور همزة وصل بين بلاد المغرب والأندلس.

بهذا يمكننا القول أن المتصوفة الأندلس كانوا قد ساهموا في نشر الفكر والثقافة الصوفية ببلاد المغرب ، بل أن أغلب المتصوفة المغاربة من أصول أندلسية ، كما لا يمكن تجاهل دور العلماء المهاجرين إلى بلاد المغرب ويعد أبو مدين شعيب " ت594هـ" على رأس هؤلاء.

وبالرغم من ذلك بقي تصوف هؤلاء والمعروف بالتصوف الفلسفي، بقي مرفوضا، وهو ما ذكره عبيد بوداود في كتابه قائلا: كما كان الحال مع ابن سبعين الذي جاء في شأنه ، وحدثني أبي اسماعيل بن أحمد رحمه الله ، قال: كان ابن سبعين قد استقر بمدينة سبتة فشاع عنه أنه فيلسوف فنفاه ابن خلاص منها[54] .

---

[53] حرحيرة مداني،**الرمزية الصوفية في الأزمات الإجتماعية في المغرب الأوسط "ق10-14هـ"** ،رسالة ماجستير، اشراف أ.د بوزيد بومدين ،جامعة وهران،2012-2013،ص 78.

[54] عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين السابع والتاسع الهجريين"13-15م":**دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي، دار العرب للنشر والتوزيع،ص 51

لعل ما أثر على حياة المغاربة ، أنشطة المتصوفة وحركتهم ، فقد كان عامة المغاربة يطلقون عليهم أسماء عديدة منهم العباد ، وينعتونهم بالصلاح والورع والإجتهاد في العبادة ، وينطبق ذلك على الأولياء ، وقد كانوا يخلطون بين الزهاد والمتصوف ، ولا تمييز في نظرهم بين الزاهد[55] و المتصوف ، وأما رأية ابن خلدون في هذا الموضوع فيقول " وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعرية عن هذه المقاصد المذمومة ، وإنما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أذواق أهل العرفان والتوحيد...لأنه إذا نشأت النفس على الذكر كانت أقرب إلى العرفان بالله وإذا عريت عن الذكر كانت شيطانية[56] .

إذا كانت المعتقدات، وما يدور حولها من أساطير، تضع الإنسان في موقف ذهني من القدسي، فالطقس يضعه في موقع عملي.على هذا الواقع نعتمد على الآراء المختلفة للعلامة ابن خلدون حول تلك الطقوس التي سادت المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

ثالثا: الطقوس المؤدات خلال العصر الوسيط

[55] الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا وفي حديث الزهري: سئل عن الزهد في الدنيا فقال: هو ألا يغلب الحلال شكره، ولا الحرام صبره،أراد ألا يعجز ويقصر على ما رزق الله من حلال، ولا صبره عن ترك الحرام،انظر: لسان العرب، **المصدر السابق**،ج21،ص 1876

[56]-عبد الرحمن ابن خلدون،**المصدر السابق**، ص، ص 132،133.

1- خوارق العادات وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية:

بالعودة إلى مقدمة ابن خلدون ، وتصفحها حيث يتطرق إلى الظواهر الغريبة والقدرات الخارقة للعادة التي تميز البعض من البشر بها دون غيرهم ، واسترسل في تحليلها ، دون أن يتجرد من عقيدته الإسلامية ، مؤمنا بما منح الله من قدرات لفئة من الناس ، فيرى أن بعض من تلك القدرات فطري ، ولدت مع الإنسان ، والبعض الآخر اكتسبها الفرد بالممارسة والتقليد والتعلم والبحث في خفاياها ،وما

كتبه ابن خلدون عن الفئات المالكة لقدرات الإدراك بالغيب ليس ناتج عن كتابات، بل عاش معها وفي وسطها ، إلى درجة أن أقر بوجود بعض من هذه الخوارق ، واعترف جازما بوجودها وبخصوصيتها لبعض الأشخاص دون غيرهم. وعند البعض الآخر هذه الخوارق عنده ما هي إلا خدع وحيل يستعملها أصحابها وأخفوا أسرارها.ومن أمثلة ذلك ما يصنعه الدجالون بالتفاعلات الكيميائية. فيقول" واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء من أهل التأثير[57] .

آمن سكان المغرب الأوسط كبقية بقاع المعمورة بالخوارق ، التي ارتبطت في غالب الأحيان بالديانات ، كون هذه الأخيرة تستمد قداستها في مجملها من الإيمان بالغيب ، هذا ما سهل الأمر لانتشار الخرافة والأسطورة التي دخلت فيها ، وأصبحت جزءا منها أي الديانات ، وتمكن أصحابها من التأثير الكبير والعميق في مجتمعاتهم.

[57] عبد الرحمن ابن خلدون ، **المصدر السابق** ،ص 657.

يرى ابن خلدون أن الله عز وجل قد يؤتي الخوارق لمن يشاء ، يستعملونها لتبرير رسالتهم ، مثل الأنبياء والرسل أو حتى بعض الصحابة والأولياء الصالحين ، وقد يمنحها لغير الأنبياء ، ولغير المؤمنين ، كالكفار ، وهي في حقيقة الأمر ليست خوارق بل سحر أو ما يشبه ذلك من طلاسم وغيرها.فمن خلال ما سبق يتبين لنا أن عادات الناس أو المجتمعات متنوعة مختلفة باختلاف مستويات تعلمهم أو تخلفهم أو مكانتهم أو غير ذلك ، فمنها ما يستوي فيه جميع الناس ومنها ما ينفرد به بعض الناس دون البعض ، المشكلة ليست في كون الانسان يمكنه أن يأتي بأفعال وأعمال لا يمكن لغيره اتيانها ، وإنما المشكلة تكمن في مدى تأثير هؤلاء على مجتمعاتهم أو على المحيط الذي يعيشون فيه[58] .

وعلى هذا الأساس ترتب الخوارق إلى ثلاثة أقسام:

أ- خوارق تمنح للأنبياء قصد التحدي وإبراز الإعجاز الديني.

ب – خوارق تمنح للأولياء الصالحين ، وهي ما يعرف بالكرامة.

ج- خوارق يكتسبها الكافر ، وهي ابتلاء الله لعباده ليفرقوا بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان.

2- تعريف المعجزة وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية:

[58] مهداوي ياسين ،**المعتقدات الشعبية في مقدمة ابن خلدون**، -مذكرة تحليلية-، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م،ص 31

المعجزة لغة، ما أعجز به الخصم عند التحدي، وهي أمر خارق للعادة يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الغتيان بمثله، يجعله الله عز وجل على يد من يختاره لنبوته ، ليدل على صدقه وصحة رسالته[59] .

هي كل ما عجز العقل البدائي أو العادي عن تعليله، وتزول بمجرد معرفة أسبابها. وقد اختلف العلماء حولها وانقسموا إلى ثلاثة أصناف.

أ- المقرون بوجود خوارق العادات ومنها المعجزة

ب- المنكرون لوجود المعجزة

ج- المتحفظون بين الإقرار والإنكار.

ابن كثير، يقول بشأن المعجزة ، هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي صراحة أو ضمنا ، يجريه الله على يد من يدعي النبوة. فهي مأخوذة من العجز.

محمد متولي الشعراوي : هي خرق لنواميس الكون ، أو لقوانين الكون.

لابد من التمييز بين الثالوث ، المتقارب حسيا وعقليا،ألا وهم ، المعجزة والكرامة والسحر، هذا الأخير الذي انتشر وبشكل واسع ، وأضحت له مكانة مرموقة داخل المجتمعات إلى درجة أن ظن الكثير أنه من الدين.فشكل أحد الرواسب الثقافية ، وبالتالي

[59] محمد ناصر الدين الألباني ، **صحيح معجزات النبي** جمع وتع: أحمد ناجي، ط1، دار ابن حزم، القاهرة ، مصر، 2010، مقدمة الكتاب، ص5.

موروثا ثقافيا لا يمكن الاستغناء عنه أو نكرانه. مما أدى إلى ظهور فئة الدجالين والكهنة وأسندوا إلى أنفسهم النبوة.فتداخلت هذه المعتقدات الفكرية والدينية والاجتماعية فطمست المعجزة الحقيقية ، وأخلت بالكرامة وقدسيتها.

3 **تعريف الكرامة:** تمثل الكرامة إحدى خوارق العادة الأكثر انتشارا ،تزامنت مع انتشار العباد وأولياء الله الصالحين ، وقد لا تجد منطقة تنعدم بها هذه الأضرحة أو الزوايا، إلا ويقال عن هذا المقام بأن صاحبه امتاز وتميز بكرامة ما، واستنادا إل القرآن الكريم الذي يقر بأولياء الصالحين ، فلم يكن بالإمكان نفي أو سلخ الكرامة عنهم. قال الله تعالى: **"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون *الذين آمنوا وكانوا يتقون* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم"**[60]

رأي بن تيمية: فيقول "أن كرامات الأولياء من آيات الأنبياء"

رأي ابن كثير: "الكرامة أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح".

4- مظاهر المعتقدات الشعبية:

إن الإخبار بالغيب، الذي ربطه بعض الأشخاص، مشعوذين كانوا أو صالحين ، يرجعه البعض إلى الفطرة ، التي فطر الله بها الناس أو عن طريق الرياضة ، ويسمون عند عامة الناس بالعرافون أو بالمنجمون .

[60] القرآن الكريم ،**سورة يونس**، الآية 62 إلى 64،رواية ورش.

وقد ازدادت انتشارا ، خلال العصر الوسيط ، وفصل فيها ابن خلدون، الذي عاصرها، وعايشها، وبحث عن أسبابها. ورأى في ذلك، ارتباط كبير بين الدين وبساطة المجتمع ، حيث تحايل عليه الدجالون جاعلين لأعمالهم وأقوالهم ، الدين كمطية لكسب الناس من حولهم واستغلالهم ، رغم خطورة تلك الأعمال.واستمرت تلك العادات والتقاليد المجتمعية خلال العهد العثماني ، ولازالت مستمرة وبنسبة أقل في عصرنا.

قال ابن خلدون: "واعلم أن من خواص النفوس البشرية ، التشوف إلى عواقب أمورهم ، وعلم ما يحدث من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة، كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر مجبولون عليها ، ولذلك نجد كثير من الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك المنام"[61].

كما يستعرض ابن خلدون ، الوحي وبتفصيل كبير، وبناء على ما ورد في السنة النبوية ، فيقول "إن حالة الوحي هي لحظة جعل فيها الله عز وجل لأنبيائه ورسله القدرة على الإنسلاخ من بشريتهم جسمانيتها وروحانيتها ، لينتقلوا في لحظة الوحي من الحالة البشرية إلى الحالة

[61]- عبد الرحمن ابن خلدون، **المصدر السابق** ،ص 179

الملائكية"[62]. وعلى هذا الأساس فالوحي ظاهرة حصرية للأنبياء والرسل التي اصطفاهم الله ، ومنه فالوحي في معناه هو عدة أنواع منها الإيحاء والإشارة ، أو كما عرفه ابن حجر العسقلاني ، أنه الإعلام في خفاء.

ويرى ابن خلدون أن الرؤيا نوعان ، الرؤيا من الله ، ورؤيا من الشيطان والتخيلات النفسية ، فالأولى تكون دوما صادقة ، وغالبا مبشرة ، وأما الثانية ، فأصلها ومصدرها الأمراض الجسمانية أو النفسانية.

يقول ابن خلدون ، ومن هذا التقرير يتبين لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضغات الأحلام الكاذبة ، لكن إن كانت تلك الصور منزلة في الروح العقلي المدرك ، فهي رؤيا صادقة ، وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياه منذ اليقظة فهي أضغات أحلام[63] .

وبما أن الرؤيا بنوعيها كانت قد ارتبطت بالغيب المجرد ، والبعيد كل البعد عن الواقع الملموس ، أضحى للناس اعتقاد غير محدود بكلاهما، ولا تمييز بينهما ، فهمهم الوحيد الإنتظار لتجسيدها ، مع تفسيرها في غالب الأحيان لصالح لمن رآها . بل هي في نظرهم غيب تمكن منه بسبب تقواه، أو بسبب عصيانه وأخطائه.

---

[62] - **نفسه** ، ص 170

[63] -عبد الرحمن ابن خلدون ، **المصدر السابق**، ص 884

وفيما يخص الكهانة كهن ، كهانة ، وتكهن تكهنا ، قضى له بالغيب ، والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمن، ويدعي معرفة الأسرار[64].

والمتفق عليه في تعريف الكهان ، هم من يسترقون السمع ، فتطابقت آراء العلماء ، على أن كل من يدعي الغيب فهو كاهن ، مهما كانت الوسائل المستعملة لتدارك الغيب.

يرى ابن خلدون ، أن الناظرون في الأجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه ، وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها ، وأهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان ، إلا أنهم أضعف رتبة في أصل خلقهم، لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة ، وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها[65] .

وأما الفرق بين الكاهن والعراف ، فإن كان كلاهما يدعي معرفة الغيب، فالأول يدعي معرفة الأسرار، وأما الثاني ، فمصدر أخباره مما يسترقه من الجن.

[64] -ابن منظور،**المصدر السابق**،ص363.

[65] -عبد الرحمن ابن خلدون ، **المصدر السابق**، ص 186.

لهذا تمسك العرب القدماء بالكهنة والعرافة ، وآمنوا ايمانا شديدا، ولجؤوا إليهم عند الحاجة ، سواء أكانت نفسية أو مادية.فهم الأطباء والمستشارون.

بالرغم من تشابه الأهداف إلا أن طرق معرفة الغيب ، اختلفت من كاهن إلى آخر، فهناك:

- **الناظرون في الأجسام الشفافة.**

- **خط الرمـــــل.**

- **حساب النيـــم.**

- **الزايرجـــــة.**

عن الفئة الأولى ، يقول ابن خلدون ، وأما الناظرون في الأجسام الشفافة وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها وأهل الطرق بالحصى والنوى ، كلهم من قبيل الكهان إلا أنهم أضعف رتبة منهم فيه في أصل خلقهم ، لأن الكاهن لا يحتاج في رفع حجاب الحس إلى كثير معاناة ، وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها[66] .

وفي الحقيقة ، أن هذه الأجسام الغريبة ، ما هي إلا أداة تستعمل لشد الإنتباه ، إلى درجة أن يغيب عن التركيز الحسي والبصري،ويتشكل أمامه

[66] -عبد الرحمن ابن خلدون ، **المصدر السابق**، ص 187

حجاب.وهو ينظر إلى مرآة ، أو إناء من الماء ، أو بلورة ، وأحيانا أخرى تستعمل البخور، مما يؤدي من شدة التركيز إلى ظهور صورا ، يستعملها الكاهن لتفسير الوضعيات النفسية التي يعاني منها الإنسان.

وأما عن الفئة الثانية ، التي تستعمل خط الرمل لإستكشاف الغيب ، يقول ابن خلدون في شأنها ، ويزعمون أن أصل ذلك من النبوءات القديمة، وقد ينسبونها إلى دانيال أو إلى إدريس عليهما السلام ، شأن الصناع كلها وربما يحتجون على مشروعيتها ، بقوله صلى الله عليه وسلم،" كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك" وليس في الحديث دليل على مشروعية الخط بالرمل كما يزعم بعض من لا تحصيل لديه.

ولا تخلو فتاوى الونشريسي من الأمور الغيبية مذكورة في جوانب اجتماعية كثيرة ، حيث سئل عن النظر في الأكتاف والغبار والرصاص الذائب ، وأجاب بأنه لا يحل ذلك لأحد[67] . ومن خلال ذلك يتبين لنا جليا ممارسة المغاربة لهاته الأعمال السحرية المتمثلة في علم الفلك وخط الرمل والرصاص الذائب.

وأما عن الفئة الثالثة ، وهم أهل حساب النيم ، يقول عنهم ابن خلدون، ومنهم طوائف يضعون قوانين لإستخراج الغيب ليست من الطور الأول

[67] عبد الواحد المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،تح: محمد سعيد العريان،ج3، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، مصر، 1963م ، ص247

الذي هو من مدارك النفس الروحانية ، ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ، ولا الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون ، وإنما هي مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول المستضعفة[68] .

وأما الفئة الرابعة ، فهي التي تعتمد على قوانين لإستخراج الغيب ، وهي لا تختلف عن حساب النيم ، وبمعنى بسيط ، هي إستخراج الجواب من ألفاظ السؤال،مع التركيز على ترتيب حروف بعينها ، وقد ساد الإعتقاد عند الناس بأن ذلك من الغيب ، تميزت واختصت به فئة معينة دون غيرها ، فيقول ابن خلدون ، وكثير من الناس يعولون بإفادة الغيب منها بعملها المعروف الملغوز، فيحرصون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه[69] .

السحـــــــر:

كان السحر منذ القدم ، المادة المفضلة للتدريس والمدارسة ، فهو أصل المعتقدات الشعبية وما يتبعها من طقوس آمنت بها الشعوب البدائية لما له من علاقة إجتماعية كربط العلاقات الزوجية والكشف عن الكنوز ، والتعرف عن خوارق العادات وعالم الغيب كالجن واستطلاع الغيب وكل ما يشد فضول الإنسان.

[68] -عبد الرحمن ابن خلدون،**المصدر السابق** ، ص 199

[69] -**نفسه**، ص 203

انتشر السحر في المغرب الأوسط بصفة خاصة ، والمغرب العربي بصفة عامة ، خلال العصر الوسيط ، إلى درجة أن الكثير من العلماء وحتى العامة من الناس يتعاملون به ،فانتقلوا من محاولة التعرف عليه وعن طرقه، إلى الممارسة اليومية ، فكان حب الإطلاع عن أسراره ، مما أدى إلى التوسع في ممارسته ، فيقال كل ممنوع مرغوب ، ولأن كل الشرائع السماوية حرمته،فكانت الرغبة في معرفة أسباب التحريم ، إلا أنهم وقعوا في الحرام ، وأضروا بالعباد وابتعدوا عن الرحمان.يقول ابن خلدون: ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر... فقد كانت كتبها كالمفقودة بين الناس...ولم يترجم لنا من كتبهم إلا القليل[70] .ويعرف العلوم السحرية ، فهي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية.كما يقول ، أن العلوم السحرية يشترط فيها الوجهة لغير الله سبحانه وتعالى من أفلاك وكواكب وأجرام وبمساعدة روحانيات شيطانية بأعمال كفر واعتقاد بغير الله سبحانه وتعالى للقدرة على الوصول إلى أعمالهم السحرية التي يرغبون في تحقيقها وتسليطها على الناس.والسحر ثلاثة أقسام:

[70] عبد الرحمن ابن خلدون ، **المصدر السابق**، ص 924

- الأول: المؤثر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهو الذي يسمى السحر.

- الثاني: المؤثر بمعين من مزاج الأفلاك والعناصر أو خواص الأعداد وهو الذي يسميه الفلاسفة بالطلسمات.

- الثالث: وهو التأثير في القوى المتخيلة ، والتصرف فيها بنوع من المحاكاة والخيالان ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبدة.

وأما عن العلوم المستعملة في هذا الشأن ، علم أسرار الحروف ، وعلم الكيمياء ، وعلم النجوم ، مع استعمال الجن والشياطين.

وقد اهتم المغاربة كبقية شعوب المعمورة بالتنجيم ، معتقدين أن للمنجمين القدرة الخارقة على معرفة ما يحدث للفرد من شر أو خير، وأن بعض الأمراء بنوا سياستهم بناءا على قراءة الطالع ، كونهم آمنوا بقدراتهم، وثبت لديهم ذلك عندما حدثوهم عن امكاناتهم في التنبوء بكسوفات القمر، وبتأثير الكواكب في المصير البشري[71] .

يعود علم التنجيم العربي إلى أصول فارسية ، وقد نبغ بعض المغاربة في علم الفلك والنجوم ، وآمن سكان المغرب الأوسط بالطالع فيدعوهم إلى التفاؤل أو التشاؤم ، من ذلك ما قاله الشاعر سعيد بن واشكل التيهرتي:

[71]- جاك ريسلر، **الحضارة العربية**،تر:خليل احمد خليل،ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1993م، ص 179

هو الدهر والسياف والماء حاكم..... وطالعها المنحوس صمصامة الدهر

تمتع علم التنجيم بمكانة كبيرة لدى عامة الناس وحتى الأمراء ، فقد كان يعتبر على وجه الخصوص أداة من أدوات التنبؤ، وكان يلجأ إليه حتى بعض الفقهاء، ومن أمثلة ذلك مثلا أن ابن الأبار كان يستعمل أبراج السماء في البلاط خلال القرن 13 الميلادي.

اعتبر علم الفلك من جملة العلوم التي تستهوي النفس البشرية ، وتثير فيها حب الاستطلاع للغموض الذي يتغلغله ، وما يربط ذلك وقد كان الحكام في العصور الوسطى لا يقدمون على خوض غمار الحروب أو حتى على الشروع في تأسيس مدينة دون الرجوع إلى آراء المنجمين لتعيين الأوقات التي تتحقق فيها الإنتصارات طبقا لحسابات علم التنجيم[72]

كما أننا نشير إلى أنه في العصر المريني عدد من العلماء الذين اهتموا بالدراسة والبحث في علم الفلك ، ومنهم ابن البناء العددي المتوفي عام 723هـ ، الذي نظر في أحكام النجوم وعلم الهيئة ، ومؤلفاته في مجالي الفلك والجغرافيا تشهد بتفرده في هذين العلمين ، ومن هذه المؤلفات" تنبيه الفهوم على مدارك العلوم" وله رسالة في الرد على مسائل نجومية فقهية

[72] حمدي عبد المؤمن حسين، **التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1997م، ص 388.

مختلفة، ومنهاج الطلاب في تعديل الكواكب ، وله كلام في عمل الطلسمات ، والزجر والكهانة وخط الرمل[73].

عن هذه الظاهرة القرعة يروي البكري عن سكان مدينة مليلة أنهم يقترعون على من يدخل عندهم من التجار فمن أصابته قرعة الرجل كان هو من يتكلف بضيافته والإعتناء به ، فيحميه عمن يريد ظلمه ويؤخذ عنه الأجر وكذلك الهدية ، من نزوله عنده[74] .نستشف من هذه الرواية أن غرض سكان المنطقة مادي وهو حاجتهم للمال.

يرى ابن خلدون أن الفرق بين المعجزة والسحر، هو أن المعجزة قوة إلاهية تبعث على النفس ذلك التأثير ، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك ، وأما السحر ، فإن الساحر يفعل ذلك من لدن نفسه ، وبقوته النفسانية ، وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال ، فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الأمر ، فالمعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير ، أما السحر فيوجد لصاحب الشر وفي أفعال الشر في الغالب.

وهو ما جاء في تفسير الرازي ، أن المعجز يتميز عن السحر بكون المعجز مما يتعذر معارضته ، أما السحر فيمكن معارضته لقوله تعالى **"**

---

[73] -محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ط2، دار القلم، الكويت،1987م، ص347.

[74] -هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، المتوفى سنة 487 هجرية، من مؤلفاته المسالك والممالك في جزئين، نشر بدار الغرب الإسلامي سنة 1992م، ص 88.

فلنأتينك بسحر مثله " ، والمعجزة لا تقع إلا من صادق والسحر لا يقع إلا من كاذب. لكن رغم ما جاء في الدين عن معجزات الأنبياء ، إلا أن سكان المنطقة لم يفرقوا بين معجزات الأنبياء وأعمال السحرة ، معتبرين كل خارق للعادة معجزة.

تعتبر الكرامة أمر خارق للعادة ، تأتي على يد رجل صالح ، فهي من الأمور الضرورية ، مكن الله عز وجل أولياءه الصالحين بها، وأن هذه القوة لن تتأتى إلا عند الإنسان القوي روحيا ، فهي إذن عطاء صادق للواقع[75] .

وميز الإمام أبو اسحاق بين الكرامات والمعجزات في قوله : للمعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي ، كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم في كونه عالما لم يوجد ممن لا يكون عالما، وأن الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء.

ومن المثير للإنتباه ، ظهور بعض البدع الضالة في بلاد المغرب، لاسيما في المائة العاشرة وما بعدها انحصرت بعضها في اجتماع طائفة من العامة على شيخ من الشيوخ الذين عاصروهم أو تقدموهم ممن يشار عليهم بالولاية والخصوصية ، ويخصونه بالمحبة والتعظيم ويتمسكون

[75]- إبراهيم القادري بودشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م، ص 140

بخدمته والتقرب إليه بحيث يرتسم في خيالهم أن هؤلاء المشايخ لهم منزلة عظيمة عند الله ويقولون نحن أتباع سيدي فلان ، وينادون باسمه ويستغيثون به ويفزعون إليه ، معتقدين أن التقرب إليه نافع والإنحراف عنه ضار حتى صارت كل طائفة تجتمع في أوقات معلومة ، ومكان مخصوص على ما يسمى بالحضرة ، فيكثر فيها الغناء والمزامير والرقص وخبط الأرجل على الأرض وإشعال النار على سبيل الكرامة .

تعد فترة العصر الوسيط في التاريخ الإسلامي من الفترات الحضارية، فقد عرفت الحياة تطورا هاما في مختلف مجالات الحياة وكان التركيز على الحياة العلمية وتطوير سبل العيش هما الهدف. إلا أن ما أصاب المغرب الإسلامي قد غير في العلاقات بين الناس وفي نمط العيش وهددهم في وجودهم ألا وهو الوباء والأمراض التي اجتاحت البلاد، وأخطرها ما حدث خلال السنوات التالية:

- طاعون افريقية 543هـ / 1147م أدى إلى هجرة جماعية نحو صقلية.

- طاعون 571هـ / 1176م ضرب مراكش

- مرض الجذام وهو أخطر وباء بعد الطاعون، ضرب جميع أنحاء بلاد المغرب وتميز بسرعة انتشار العدوى ولاسيما في عهد المرابطين، وقد ضرب بجاية بسبب نقص الغذاء وازدياد الجوع وذلك عام 610هـ / 1213م.

- وباء 630هـ / 1232م في عهد الدولة الموحدية حينما سادت الفتن وانتشرت الفوضى.

- وباء 635هـ / 1237م خلال الدولة الموحدية، حيث أكل الناس بعضهم بعضا[76].

- وباء 656هـ / 1258م في افريقية وانتشر بين سكانها.

- وباء 693هـ / 1293م وهوأخطر وباء فقد دام عاما كاملا وامتد إلى خارج البلاد.

- الأمراض التي ظهرت نتيجة كثرة الأمطار خلال الفترة الصيفية.

خلال كل هذه المراحل لجأ كثير من الناس إلى طرق مختلفة تكفل لهم على الأقل حياة مؤقتة، وكان للحضور الصوفي والمجتمعي دور في مساعدة المحتاجين من الفقراء والمساكين في اطار التكافل الإجتماعي[77].

استمد أطباء المغرب الوسيط علومهم وممارستهم الطبية من موروث ثقافي امتدت جذوره إلى عصر أطباء اليونان أمثال جالينوس وأبي قراط وكذا أطباء المشرق والأندلس وقد سجل لنا التاريخ كثيرا من الأطباء الذين عاشوا بالمغرب الأوسط في الفترة الممتدة بين 588 هـ- 927هـ، 1192م – 1520م. منهم:

أبو عبدالله محمد بن عبد الله خالد البجائي المعروف بإبن النباش

أبو عبدالله محمد بن سحنون المعروف بالندرومي

[76] محمد صديقي،**أثر الأمراض والأوبئة في ذهنيات وسلوك إنسان العصر الوسيط ق 6-7هـ /12-13م**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية،جامعة حمه لخضر،الوادي،الجزائر،2020م،ص 4..

[77] محمد صديقي،**المرجع السابق** ،،ص- ص 1-4 .

أبو العباس أحمد بن خالد المالقي.

أبو علي المغيلي، و أبو عبدالله محمد بن يحي بن عبد السلام الدلسي،وحسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون، وابن القنفد القسنطيني، وأبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاسي،وأبو عبدالله محمد بن أحمد الشريف الحسني المعروف بالعلوي، وأحمد بن يحي بن أبي بكر بن عبدالواحد بن أبي حجلة التلمساني، وابراهيم بن أحمد التلمساني المعروف بالثغري،وعبدالرحمان بن القنفد القسطيني.

خلاصة:

للأمراض بمختلف أنواعها والأوبئة بكل أشكالها أثر عظيم على المجتمعات، خاصة المتخلفة ، التي عاشت على نمط الحياة البدائية والتطبيب التقليدي وعجزها عن مواجهة الكوارث ، فكان ملجأها الطرق الصوفية لإنقاذ نفسها ولو مؤقتا من الموت الحتمي ، فكان لجوءها لذلك يندرج ضمن التكافل الإجتماعي[78] .كما كان الدعاء والإستنجاد بالله أو بأوليائه الصالحين الوسائل الوحيدة لتجنبهم شر تلك الكوارث والأوبئة ، وهذا ما فتح الباب على مصرعيه في نشر الأسطورة والخرافة في المغرب الأوسط كون النفسية كانت حينها ضعيفة ، في وقت اختلط الدين بالأسطورة والخرافة، وتوسع نشاط المشعوذين والدجالين.

[78]- محمد صديقي، **المرجع السابق**،ص 5.

الفصل الثاني

أولا:الحركات الإصلاحية في المغرب الأوسط ومبرراتها

تقديم:

استنكار البدع

محاربة السحر والشعوذة

اصلاح سلوك المنحرفين

ثانيا: الوضع العام في الجزائر خلال العهد العثماني

الحياة الاجتماعية

العلم والعلماء

أثر الهجرة الأندلسية على الجزائر

ثالثا: حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة ومبرراتها ونتائجها

1-حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة

2 - مبرراتها ونتائجها

خلاصة:

تقديم:

رغم التطور والإزهار الذي عرفه المغرب الأوسط، فإن هذا لم يمنع من انتشار بعض الآفات الإجتماعية التي مست جوانب عديدة وأثرت سلبا على الممارسات اليومية إلى درجة دفعت بالعلماء إلى التفكير في اصلاحها، فظهرت دعوات اصلاحية منها دعوات للإصلاح الإجتماعي وأخري للإصلاح الديني.

ترتبط الحركات الإصلاحية الدينية ارتباطا مباشرا بالدين فهو الموجه الأساس لحركة التغيير التي تسعى للقيام بها ومن ثمة يمثل الدين دورا مهما جدا في التغييرالإجتماعي وذلك بما يتضمنه من أفكار تساعد الحركة الإصلاحية على صياغة الرموز التي تقوم عليها لتوفر الفهم والأجوبة والتبصر في مشاكل الناس وتوفر الإلهام الديني الذي يعد كدافع وكعزيمة لحل المشاكل الاجتماعية .

يهدف الإصلاح إلى تغيير الحياة الإنسانية بما هو أفضل وذلك بالقضاء على الفساد عبر مراحل زمنية حتى لا تكون الصدمة للمتلقي، لأن التراكمات كثيرة وعميقة وبهذا فالإصلاح الديني يمكنه أن يحقق وظائف إجتماعية وأبعاد دنياوية.

أولا : الحركات الإصلاحية في المغرب الأوسط والظاهرة الإجتماعية:

1- استنكار البدع:

فالمقصود بالبدعة شرعا، هي ما خالف كتاب الله والسنة النبوية الشريفة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات المحدثة، فهي عظيمة الخطورة، سيئة العاقبة، آثارها سلبية على الفرد والمجتمع وحتى على الدين.حيث تؤدي إلى الإبتعاد عن الدين حين يعلق بالشبهات بالإعتماد على العقل المجرد، لهذا فكل بدعة هي محرمة ومردودة على أصحابها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[79] .

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الإصطلاح ، تبعا لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهى عنها، ومن هذه التعريفات الكلية الجامعة ما ذكره الشاطبي المتوفى 790هـ في متاعب الإعتصام حيث بوب لتعريف البدعة بابا مستقلا ذكر فيه معناه الإصطلاحي وقد عرف البدعة بتعريفين وهما كآتي:

أ- فالبدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في تعبد الله سبحانه.

[79]- أبو القاسم بن أحمد البلوي (البرزلي)، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تقد وتح: محمد الحبيب الهيلة،ج6 ، ط1، دار الغرب الإسلامي،لبنان ، 2002، ص 233.

ب- البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية العادية – العادات والمعاملات – فنجد الشاطبي قد ذكر هذين التعريفين ليضع تعريفا جامعا مانعا للبدعة. فقوله طريقة يقصد بها السبيل والسنة وكل ما رسم للسلوك عليه أو إتخذ التعبد به، سواء كان في المسائل العلمية أو المسائل التعلمية.وقوله في الدين ، تفيد للطريقة المسلوكة بأنها في الدين لأنها فيه تخترع وإليه تنسب وبه يلصقها مخترعها، فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تتم بدعة[80].

وقوله تضاهي الشرعية: يعني أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك بل هي مضادة لها[81] .

والبدع، أقسام وأنواع، رتبها العلماء إلى عدة أصناف منها:

- البدعة الحقيقية

- البدعة الإضافية

- البدعة التركية والفعلية

- البدعة الإعتقادية والقولية والعملية

[80]-أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي،**الإعتصام**،تح:أبو عبيدة مشهور ابن حسن،ج2،مكتبة التوحيد،د.ت،ص،ص41،42.

[81]- سعيد بن ناصر الغامدي،**حقيقة البدعة وأحكامها**،ج1،ط3،مكتبة الرشد،الرياض،السعودية، 1999م، ص،ص 254،255.

- البدعة الكلية والجزئية

- البدعة البسيطة والمركبة

ومن بين هذه البدع، المبالغة في التبرك بالأولياء ورجال الدين والمتصوفة والإنحراف في ذلك.

والمقصود بالتبرك، هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وطول العمر والعافية والنسل وغيرذلك من الأمور التي يحتاجها الإنسان ليعيش سعيدا.

مع العلم أن هذه البركات لا تأتي إلا من الله سبحانه وتعالى، ولا تطلب إلا من مصدرها.وحينما استفحل الأمر بالمغرب الإسلامي بشكل كبير وتحول الدين عند الكثير من الناس إلى عبادة الأضرحة والأولياء والمتصوفة بطرقه وأفكاره وبدعه، كان لزوما من تحديد أنواع التبرك، ومان التوافق على ما يلي:

التبرك نوعان، التبرك المشروع والتبرك المرفوض

فالتبرك المشروع، يتمثل في التبرك بذات النبي صلى الله عليه وسلم وأثاره، مثلما كان الصحابة يتبركون بشعره ويده. كما يمكن التبرك بسورة البقرة تطبيقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم،اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة.كما يجوز التبرك بالأمكنة لتميزها عن غيرها من الأماكن وقد فضلها الله وزاد في بركاتها مثل المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومكة والمدينة.ولبعض الأيام والأشهر

بركة أفضل من غيرها كشهر رمضان ويوم الجمعة وليلة القدر وثلث الليل الأخير، وحتى بعض النباتات هي مباركة كشجرة الزيتون والتين وماء زمزم، وفي الخيل أيضا بركة والغنم[82].

وأما التبرك المرفوض أو الممنوع أو المذموم: وهو كل عمل أو فعل أو قول لم يرد فيه نص في القرآن الكريم، أو نهي عنه مثل الطواف بالقبور والتبرك بالأشجار والأحجار والقبب أو بالعلماء أو المتصوفة.

الإيمان بفعالية التمائم، وهي ما يعلق على الأعناق أو على جهة من جسد الإنسان أو عند مداخل البيوت والمنازل أو المحلات التجارية، أو عند أضرحة الصالحين والأولياء، بحجة رد العين والتصدي للشر أو جلب للخير وتسمى هذه التمائم عند البعض بالحروز وهي محرمة شرعا، قال تعالى: **"وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير"**[83]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له.

[82]-روى البخاري (2852) ومسلم (1873)، عن غزوة بن الجعد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "
وروى البخاري (2371) ومسلم (987) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "
[83]- القرآن الكريم ، **سورة الأنعام** ، الآية 17،رواية ورش.

2- محاربة السحر والشعوذة:

وجدت في المغرب الإسلامي على طول فترات العصر الوسيط ظاهرة السحر والشعوذة، وقد قسم الحسن الوزان السحرة والعرافين الى ثلاثة أصناف حسب الوظيفة والكيفية

- فأما الصنف الأول فهم الذين يتعاطون خط الرمل فيرسمون على الأرض اشكالا من التراب و كل رسم يؤدي لهم بحسب الموارد المتوفرة للشخص ووفقا للعادة, و قد اتفق راي الفقهاء على حرمة و بدعة هدا السحر و من ثم فائن ابن رشيد قد نهى عن الضرب في التراب و ما يفعله اهل القرعة , و في نفس الموضوع سئل الفقيه احمد القباب عمن يشتغل بضرب الخط و غيره من أنواع الكهانة ,حيث يكتب سحر المحبة و الكره و عقد العروس و ما شابه دلك فأجاب ان هدا السحر بائن , إضافة الى ذلك افتى أبو القاسم بن سراج بحرمة كل أنواع الحسابة و الكهانة و التنجيم و القرعة و الحب و غير ذلك[84].

وأما الصنف الثاني فيضم العرافين الذين يجعلون الماء في قدر لماع ويرمون فيه قطرة زيت فيصير شفافا , ويزعم العرافون انهم يرون فيه كما يرون في المرآة جماعة من الشياطين قادمة بعضهم خلف بعض كأنهم كتائب جيش تعسكر و

[84]- أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب**، ج1، إخراج:محمد حجي وآخرون،وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي،1981م، ص133

تضرب الخيام , و يسلك بعض هؤلاء الشياطين طريق و بعضهم طريق البر , و عندما يرى العراف انهم قد استراحوا يطلب منهم ما يود معرفته فيجيبونه بإشارات اليد و العين , كما يضع هؤلاء العرافون أحيانا القدر بين يدي طفل صغير و يسألونه هل رأى الجني الفلاني او غيره , فيجيب الطفل لصغره بنعم .

وتجد الكثير من الناس من يثق في هؤلاء المشعوذين و ينفقون عليهم الأموال الطائلة بسبب جهلهم و قلة علمهم في عصر كثرت فيه الآفات خاصة ان بعض ممارسي علوم السحر كما نرى من المتعلمين و القضاة و أئمة المساجد وهؤلاء ان صحت روايات التاريخية حولهم فائن دلك يعبر عن وضع خطير اصبح ينخر في جسد الدولة و مس أجهزة حساسة لها ثاثير بالغ الأهمية في المجتمع لكن من المؤكد ان ما اغرى بعضهم على اتخاد هده المهنة هو كثرة المكاسب و الاعطيات،و اعتبر البرزلي ان ذلك من حبائل الشيطان لان العامي الجاهل الذي لا يعرف ضلالة هذه الفئة سيقع في نفسه الريبة و الشك من الشريعة و الدين ،قال رسول الله صلى اله عليه وسلم ، " من أعرض عن صاحب بدعة بغضا له في اله ملأ الله قلبه أمنا وايمانا، ومن انتهى بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة[85] .

إضافة الى ذلك وجد من الناس من يعرف بعلم الجن حيث يحوزون على كتب استحضار الجن و امرائهم و أيضا العفاريت فيعزم الساحر و يسقط المصروع، و يزجر

[85]- أبو القاسم بن أحمد البلوي (البرزلي)، **المصدر السابق**،ج6، ص 232.

مردة الجن عن المصروع فيحل من عقد عن امراته ، كما يكتب كتاب عطف الرجل لامرأته كما زعموا انهم يقتلون الجن و كل ما ذكرته سابقا هو من أقوالهم[86] .

أما الصنف الثالث، والذين انتشروا بصفة خاصة في البوادي والمناطق البعيدة عن الحواضر، والذي يشمل العرافين من النساء، وقد وجدت عرافات يوهمن العامة أنهن يرتبطن بصداقات مع الشياطين من أنواع مختلفة يسمى بعضهن بالشياطين الحمر وبعضهن بالبيض وأخريات بالسود، وعندما يطلب منهن التنبؤ يتطيبن بعطور مختلفة فيدخل الشيطان الذي دعوته فيهن حسبهن، وتتغير أصواتهن، وإذا حصل السائل سواء رجلا أو إمراءة على جوابه يقوم بترك هدية للشيطان، تكون من نصيب هؤلاء العرافات بالطبع[87].

وفي ظل انتشار ظاهرة السحر يفيدنا العقباني التلمساني بقوله:" وقد شاهدناهم في كثير من الأمصار والأقطار... وهي عندهم صناعة معلومة لها مراتب من الحيل والتحايل والمدكات وإيهام العقول، تنقسم على وجوه كثيرة من بعضها الطب وأنواع العلاج وبيع الحروز وادعاء القيام بالسحر وأشياء من نحو ذلك كثيرة يتوصلون بها أكل

[86] - أحمد بن يحي الونشريسي،**المصدر السابق ،ج1**، ص ص380-381.
[87] - حسن الوزان (ليون الإفريقي) ، **وصف افريقيا**، تر: عبد الرحمان حميدة،ج1، مكتبة الأسرة، 2005، ص 263.

الأموال وارتكاب الفواحش ويهرجون بكثير من ذلك على الخواص والعوام ويدخلون الوهم والعلل على صحاح الجسام[88]

فقلما تنجو امرأة جاءت إليهن لطلب المشورة بسبب ما يحدث في مجالسهن من مذكرات أخلاقية، وفي حال نجحت هاته العرافات في إخراج الشياطين فيجب أن تصنع لهن وليمة فاخرة، وبعد تناول الطعام يرقصن ويحتفلن على أنغام جوق من الزنوج، ويترك الرجل زوجته الممسوسة تذهب في مغامرة مع هؤلاء العرافات فإما يستغلنها أو يتمادى الأمر فتصبح واحدة منهن[89].

ويبدو أن اشتغال النساء بهذه الآفة ناجم عن ظروف وضغط اقتصادي ومعيشي عانت منه هؤلاء النساء من الفقر الإجتماعي والتعسف الأسري دون نسيان الجهل وسط فئة النساء بسبب قلة التعليم أو انعدامه في تلك الفترة خاصة في بعض مناطق المغرب الإسلامي.

وقد وجد كذلك من السحرة من يعرفون أسماء الشياطين آلفوها على السنة العرب في الجاهلية فكتبوها. وقال الشاطبي ت 790هـ/ 1388م بأنها أسماء ولد سابور ملك

[88] محمد بن أحمد العقباني التلمساني ،**تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**،تح: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967، ص 255 .
[89] -حسن الوزان،**المصدر السابق**، ص264 .

فارس امر من في طاعته من العرب بكتابتها فكتبوها[90] ، واستعملها المنجمون وغيرهم في العدد.

-وكانت مهنة هده الطائفة هي العمل على اخراج الشياطين من الممسوسين. فاذا عجزوا عن دلك اعتبروا ان الشيطان كافر او ان الامر يتعلق بروح سماوية.

واما تعزيمهم فيكون بان يكتبوا بعض الحروف ثم يرسمون دوائر فوق تنور او غيره. ويخطون على يد المصروع او جبينه بعض الإشارات ويعطرونه ثم يشرع الساحر في عملية الرقية وذلك بسؤال الشيطان: كيف دخل الجسم ومن أين أتى ومن هو وما اسمه. ثم يأمره أخيرا بالذهاب والخروج من هذا الجسد.

-هذا وقد وجدت طريقة أخرى في علوم السحر وهي الزايرجة او الزيرجة. أي مخاطبة الأرواح ويتطلب ذلك منجما بارعا. وهي طريقة طويلة صعبة مرتبطة بعلم الفلك وعدد الأيام والشهور والليل والنهار وكل الظواهر الطبيعية.

-والجدير بالذكر ان الفقهاء لم يتساهلوا مع هده الطائفة. وقد سئل أحدهم عمن يكتب حروفا مجهولة المعنى للأمراض فينجح ويشفى بها فأجاب بانها يجب ان تكون ظاهرة واضحة.

[90] أبو القاسم بن أحمد البلوي (البرزلي)، **المصدر السابق**،ج3، ص 595.

وكان نجاح بعضهم في كتابة هده التمائم مدعاة الى تأثر الناس بهم واتباع طرقهم. وبالعودة الى ما سبق نستنتج أن الفقهاء قد اتفقوا على بدعية هذه الطوائف، إلا أنه قد وجد صنف من المشعوذين اختلف أهل العلم في شأنهم وهم لاعبوا الخفة أو البهلونيون ، فهناك من رأئ أنها خفة يد ومنهم من رأئ أنه سحر، وكان بعضهم يجوبون المدن وهم يرقصون القردة ويحملون الأفاعي في أيديهم وحول أعناقهم ويقومون بأشكال من خط الرمل ويخبرون النساء بما سيكون في المستقبل.

كما أورد الونشريسي عن نازلة تمنع بيع وقراءة كتب الخرافات والشعوذة لما لها من تأثير على عقيدة المسلم.

كما ظهر ساحر يهودي بقلعة هوارة من نظر تلمسان عام 849 هـ - 1445 م ، فقد أورد الونشريسي نص النازلة و استهتار هذا اليهودي بالمسلمين وسبهم, يرجع استفحال هده الظاهرة الى غياب رقابة السلطة خارج الحاضرة تلمسان.

ومن البدع التي ظهرت في المجتمع زيارة القبور للتبرك والتوسل فأعتبرها علماء تلمسان بدعة في الدين ,كما دهب الى دلك الفقيه احمد الونشريسي 914هـ - 1508م بمعارضته للبناء على القبور و تخصيصها و شد الرحال لزيارتها ,و أن تقبيل قبر الرجل الصالح أو العالم هو بدعة ,فأننا نجد عددا من العلماء لم ينكروا دلك ,بل هناك من قام بدلك او اتخذ قبره من بعده مزارا للناس , فقد ذكر ابن صعد ت901هـ - 1496م ان قبر الشيخ احمد بن الحسن الغماري ت874هـ - 1470م جرب الناس فيه إجابة الدعاء ,

و تعرفوا بركة زيارته في الشدة و الرخاء ,فروضته قل ان تخلوا من زائر يتلو القران

و يهدي له التواب , او يدكر و ينتظر منه بلسان الحال الجواب ...[91], فكان عدم انكار الفقيه ابن صعد لدلك دليل على رضى فريق آخر من العلماء عن سلوك التبرك.

وما يعكس لنا انتشار سلوك التبرك بالقبور في بلاد المغرب ، وما ذكره ابن القنفد 810هـ - 1408 م من أنه وقف مرات على قبور بعض الأولياء ، وسأل الله تعالى في أشياء فتيسرت له، إضافة إلى ما ذكره الفقيه أبو جعفر البلوي 938هـ - 1532م من أشعر للشيخ إبراهيم التازي سنة 866هـ- 1462م ، يدعوا فيها بزيارة الفبور والتوسل بها .

3- اصلاح سلوك المنحرفين:

أمام استفحال ظاهرة البدعة الصوفية ، كان لابد من ظهور حركة اصلاحية، قادتها نخبة من المتصوفة ، في مشروعها التمييز بين الطقوس الشرعية وغير الشرعية ، وبهذا تم وضع سنذ حقيقي يبعد كل الشوائب عن الدين الإسلامي وبالتالي يكشف المتصوفة المشعوذين أو المبتدعين.

فإذا كانت عملية الإصلاح قبل القرن 14م ، عبارة عن أفكار تتداول بين الناس، لايعريها أي إلتزام للأخذ بها، فمع بداية القرن 15م أصبحت ملزمة، جزرية موجهة بالخصوص للمتعمدين في البدع.

[91]- محمد بن سعيد التلمساني، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**،مرا وتقد:يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص234

أستهدف الإصلاح الجانبين الرئيسيين، الجانب النظري وفيه تم تبسيط المنهج، وفي الجانب العملي تم تقنينه وضبط قواعد التصوف، وتنظيم طقوسها، وراحت عملية الإصلاح في وتيرة تصاعدية جعرافيا واجتماعيا.

اعتمد رواد النخبة الصوفية في مواجهة عناصر البدعة الصوفية أسلوبا إصلاحيا، جمعوا فيه بين معالجة ظاهرة البدعة، وذلك بتوضيح أضراها على الشريعة والعقيدة الإسلامية والحقيقة وتقديم الفتوى والحلول المناسبة للحد منها، وزجر المنتحلين لها وفضحهم أمام جمهور الناس.

وتعد فتاوى الفقيه الصوفي عبد الرحمان الوغليسي[92] نموذجا سعت لتطهير البادية من بدع المرابطين وجهلهم وأعمالهم المنافية للشريعة ، فقد أفتى ببطلان نشاط المرابطين من مستخليصي الزكاة واعتبر عملهم مظلمة توازي عمل شيوخ القبائل المعتدين ، بل أدرجه في باب الإعانة على الظلم[93] .كما نفى عن المرابطين المقعدين صفة المرابطين لكونهم يجهلون أحكام المكاسب ولم يأخذوا أنفسهم بالمحاسبة والسؤال ممن أخذوا المال وفيما أنفقوه ، وبالتالي يعد هؤلاء الكسالى في نظره عصاة .

[92] ولد عبدالرحمان الوغليسي سنة 702 هـ - 1303م، وهو الفقيه الصوفي وأحد أعمدة الحياة الفكرية والثقافية في بجاية

[93] - أحمد بن يحي الونشريسي، **المصدر السابق** ، ج2، ص 394

وفيما يخص اجتماع مرابطي الذكر والسماع والرقص والتصفيق بالزوايا والربط لإقامة الحضرة قصد تفريغ كروب الناس والتقرب إلى الله، فقد اعتبرها بدعة وضلالة لقوله" لا يرتكب أمر ممنوع لمصالح موهمة"[94] .

تجدر الإشارة إلى أن فتاوى عبد الرحمان الوغليسي وآراءه الإصلاحية تقاطعت مع الآراء الإصلاحية للفقيه الفاسي أبي الحسن علي بن محمد الزرويلي الصغي[95] "المتوفي 719هـ - 1319م" ، مما يؤكد شيوع ظاهرة المرابطين وإفرازاتها بالمغرب الإسلامي، فقد اعتبر هذا الأخير هؤلاء المرابطين بالكذابين، أحدثوها ليأكلوا طعام الدنيا الفانية، ويأخذوا بها رفعة عند العوام والجهال، الفارغة صدورهم من العلم والمعرفة .

وانصب اهتمام الفقيه الشاذلي أبو الحسن البطروني"ت 793هـ - 1390م" بتلمسان على محاربة كتب الشعوذة والخرافات التي حرنها، وذهب إلى حد تحريم الشهادة والإمامة على كل من يرويها[96].

ويعتبر ابن مرزوق الحفيد"ت 842هـ - 1438" رائدا في هذا المضمار، فقد أجمعت معظم المصادر على أنه كان سيفا مسلولا على أهل البدع من الفقهاء والصوفية وكذلك على القائلين بالفلسفة والسالكين لمنحى الحلول والاتحاد وأسرار الحروف، فقد اعتبر أن

[94] - أحمد بن يحي الونشريسي، **المصدر السابق**، ج11، ص 34

[96] هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي وشهرته الصُّغيِّر، ولاه أبو السلطان أبو الربيع المريني القضاء بفاس،من آثاره التقييد على المدونة، في فروع الفقه المالكي

من عصى الله بالزنا وشرب الخمر أيسر ممن اتبع طريق الفقهاء والصوفية المبتدعين[97].

هذا ما جعل تلاميذته يتبعونه في الرأي ويعملون به، من أمثلتهم، عبدالرحمان الثعالبي ونصر الزواوي والحسن أبركان وأبو الحسن القلصادي وابن زكري وأحمد بن عبدالرحمان الندرومي[98] .

يبدو مما سبق أن النخبة الصوفية التي رفعت لواء الإصلاح كان غرضها توضيح خطورة الظاهرة البدعية والخرافات مع إبراز مخاطرها على العامة، مستعملة أسلوب الترهيب والترغيب، معتمدة في الإقناع على كتاب الله وسنة رسوله، دون أن تجد سندا من السلطة الحاكمة.

هذا يمنح صورة واضحة عن الوضع العلمي الذي كان متقدما، وراقيا، ويرجع ذلك إلى اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء، إضافة إلى دور المهاجرين الأندلسيين، حيث نزلوا بتلمسان وقسنطينة وبجاية وفي جعبتهم من الإبداع والإبتكارات ما تناغم مع جهود علماء المغرب الأوسط في تنشيط العلوم العقلية ومن هؤلاء النازحين إلى تلمسان أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الشاطبي، وأبو الحسن القلصادي (ت 891هـ/1486م) وأثرى ميدان العلوم، الحساب والجبر والمعاملات والفرائض والهندسة بعدد كبير من المؤلفات منها في الحساب ثلاثة عشر مؤلفا

---

[97] -عبد الكريم الفكون، **منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية**،تح: أبو القاسم سعد الله،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980م، ص144

[98]-أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ضبط : أبو يحي عبدالله الكنرري،ط1، ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م، ص392.

المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، يتمكن أن يميز وبكل وضوح ، بين عهدين متميزين كل التميز، فالعهد الأول أو الفترة الأولى شهدت التطور الإقتصادي والإزدهار الثقافي وتمكنت بعض أقاليمه في بعض الحقب الزمنية أن تنافس المشرق العربي علما وثقافة ونموا في مختلف المجالات ، وكان ذلك نتيجة لعدة أسباب ، نوجزها في الدور الكبير لحكام المغرب الأوسط ورغبتهم في قيام دول قوية ماديا وعلميا ، فلهذا شجعوا العلم والعلماء ، كما شجعوا المناظرات العلمية ، والرحالات العلمية ، وتمكنوا من تحقيق حلم شعوبهم.وبحلول القرن السابع ثم الثامن ثم التاسع الهجريين ،حتى ساد عدم الاستقرار بسبب الحروب المتتالية بين دويلات المغرب الإسلامي ، فتراجعت الحركة العلمية ،وانتشرت هجرة العلماء نحو المشرق العربي ، وانتشر وبشكل واسع التصوف ألشعبي التصوف الذي كان سابقا تصوفا نخبويا ، أي عند قلة معلومة من العلماء والصالحين ، فكثرت الزوايا وأغلقت المساجد ، وأضحى الجهل سيمة أساسية لسكان المنطقة ، وبالتالي ابتعد الناس عن دينهم ، وأضحوا لا يقومون إلا بما يملى عليهم من شيخ الزاوية ، فهو في نظرهم الوسيط بينهم وبين الله. وبذلك زاغ المجتمع عن السبيل ، فانتشرت البدع وأضحت الأسطورة والخرافة هي المسيطرة على الفكر الجمعي. ويعتبر ابن خلدون شاهد على عصره وما سجله في المقدمة يمثل إذانا بدخول المجمع في مرحلة جديدة .

ما دام أن التاريخ هو الوحيد الذي يحمل الذاكرة الحقيقية للجماعة والأفراد، تسجل من خلاله أنماط العيش، ومستوى الوعي لدى كل مجتمع، فبالتالي هو الصورة الحقة والصادقة عن كل عصر، الصورة التي تحدد الهوية للعناصر المشكلة للمجتمع.

على هذا الأساس لابد من التمحيص والتدقيق في الحادثة التاريخية ، لأن الصراع الحضاري يفرض على الأطراف منهج تغليب رؤية تاريخية على حساب أخرى.ونحن في عرضنا هذا ، عملنا على إبراز الشخصية المحلية لدويلات المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

.، باحثين في الثقافة الشعبية عن تلك المعالم المميزة لبعضها البعض ، مركزين على التعليم ومناهجه والمؤسسات التعليمية والزوايا، وعلاقتها وتأثيراتها على المجتمعات آنذاك، سلبا وإيجابا.

ثانيا: الوضع العام في الجزائر خلال العهد العثماني:

1- الحياة الإجنماعية:

تشكل المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني من نسيج متنوع ومختلف الأديان والعروق ، وإن كان العنصر العربي والأمازيغي هو الغالب، فكانت بذلك بذرة توافق وتناغم رغم كل الإختلافات. ومنه نلاحظ الفئات التالية:

- الأتراك والكراغلة، ضف إليهم الأعلاج ، فئة الحضر، والأشراف والأندلسيون، وفئة البرانية، وجماعة بني ميزاب ، وجماعة الأغواطيون، والطائفة اليهودية وفئة المسحيين وجماعة الزنوج.

فبالرغم من التباين الكبير في العرق والديانة والتقاليد والمرتبة الإجتماعية إلا أننا نلمس تعايش حقيقي بين هذه الفئات، فكانت الجزائر حاضنة لهم، إلا أن الأمر الوحيد الذي يميز بعضهم عن بعض ، هي الإقامة ، حيث نجد معظم العرب والأمازيغ تمركزوا في الريف الذي شمل 95 % من مجموع الساكنة ، وبقية الفئات تواجدت بالمدن. وأما الأمر الثاني أن الفئة اليهودية والمسيحيين بقوا على دينهم ، وبقية الفئات كانت على الدين الإسلامي على المذهب الحنفي أو المالكي.

نختصر تركيبة المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني في طائفتين متميزتين عن بعضهما البعض وهذا لم يمنع من وجود أسباب الانسجام والتوافق في نمط العيش

والمعاملات اليومية، وهي ظاهرة عمت مجمل أقطار المغرب العربي ، ولازالت سائدة إلى يومنا هذا، نحددها في فئتين هما التركيبة الإجتماعية في المدينة ، والتركيبة الإجتماعية في الريف.

1 – البنية الإجتماعيـة للمدينـة

1 – 1 – الطائفـة التركيـة

1 – 2 – طائفة الكراغلـة

1 – 3 – طائفـة الحضر البلديـة

1 – 4 – طائفـة البرانيـة

1 – 5 – طائفـة الدخـلاء

1 – 6– طائفـة الجاليـات

1 – 7– طائفـة اليهود

2 – البنيـة الاجتماعية بالريـف

2 – 1 – جماعات الرعية الخاضعة لسلطة قيادة البايلك

2 – 2 – قبـائل المخزن المتعاونة مع البايلك

2 – 3 – قبائـل ممتنعـة عن سلطة البايليك

2- العلم والعلماء:

اتسم الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني ، بانشار مجموعة من العلوم، وفي غالبها علوم نقلية، بالرغم من التطور العلمي الهائل في الغرب، ويعود ذلك إلى طبيعة المجتمع والبيئة التي لم تكن سوى بيئة سنتها له السلطة العثمانية بفعل سياسة العزلة الممنهجة والمفروضة عليه ، حتى لا يتفاعل مع العلوم التي انتشرت في الغرب التي رافقت الثورة الصناعية ، ومهما يكن من أمر، فالظاهرة لم تكن عامة، والقاعدة استثني منها بعض العلماء الذين أبحروا في بعض العلوم الوضعية ومنها الطب ، والكيمياء، والفلك وغيرها.وإذا قدمنا هذا التقييم فهو حوصلة ما كتبته المدرسة الغربية، المكونة من العسكريين والمدنيين والرحالة والجواسيس.لكن الواقع يثبت العكس إلى حد بعيد، فالمجتمع الجزائري إبان الحقبة العثمانية، تعرض إلى حيز كبير من العلوم وإن كانت العلوم الدينية هي السيمة الطاغية، ويتضح ذلك من خلال التآليف المتنوعة لعلماء الجزائر وفي كافة التخصصات ، وهنا يمكن القول أن علماء الجزائر خلال تلك الفترة كانوا عبارة عن موسوعات متنقلة ، فكل منهم جال في عدة اختصاصات ، معتمدا على مصادر ومراجع سابقيه أو معاصريه ، أو إنتاجه الخاص ، وأبرز المجالات التي يمكن ذكرها : علوم اللغة التي شملت النحو والإعراب ، البيان والمعاني،المتمثل في شرح القصائد والأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية ،إضافة إلى العروض، والنثر الأدبي المجسد في الرسائل الرسمية والإخوانية ، ومواضيع المقامات والوصف للمنشآت

العمرانية كالقصور والحدائق والمساجد والحصون والقصور،أيضا التقاريظ والمغازي ، وعقود الزواج والإجازات والشروح الأدبية والقصص والخطب، وخاصة الشعر الذي احتل المركز الثاني بعد العلوم الدينية ، حيث تنوعت أغراضه وبخاصة الشعر الصوفي والسياسي، إلى جانب ذلك كانت لهم مواقف متطابقة وأخرى متباينة اتجاه الوضع العام في الجزائر وبخصوص ما تعلق أو ما تقاسم مع الدين الإسلامي وأثر بصورة جلية على المجتمع ومنه الخرافات والأساطير.

أما عن العلوم النقلية، نذكر التفسير الذي ذاع صيته، وكان له انتشار كبير سواء تدريسا أو تأليفا،ثم علم الحديث عموما والبخاري خصوصا،حفظ الحديث وإسناده وقراءته وإقراؤه، التأليف في الفتاوى والنوازل والوقف والفرائض، علم الكلام، التصوف والمواعظ والأذكار والأدعية والأوراد...

وأما عن خزائن كتب العلماء التي تجسد مدى التطور العلمي خلال الحقبة العثمانية ، اشتهرت خزانة أسرة المقري[99]، هذه الأسرة التي تميزت بتأسيسها لأول شركة تجارية، قيل عنها: فخرجت أموالهم عن الحد، وكانت تفوق الحصر والعد... ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون ما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير... فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة، اتخذنا فصوله عيشا، وأصوله حرمة، ومن جملة ذلك خزانة كثيرة من الكتب.

[99] المهدي البوعبدلي،**مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر**، مجلة الأصالة، العدد 11، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،الجزائر،1972م، ص- ص 85-107.

ثم اشتهرت في الجزائر مكتبة الجامع الأعظم المالكي التي كانت شبه مكتبة خاصة، أمَّا الخزانة الدولية فكان مقرها بالجامع الجديد الحنفي، مركز شيخ الإسلام الحنفي.

ونجد في بعض الوثائق التاريخية قائمة بعض الكتب اشتراها ناظر أحباس الجامع المالكي الشيخ سعيد قدورة من ريع الحبس الفاضل على مصاريف المسجد ومن بين هذه الكتب"شرح الإمام العيني لصحيح البخاري" في ثلاثة أسفار اشتراه بألف دينار واحدة وأربعمائة دينار، والنسخة المشهورة بالخروبية في عشرين جزءا مكتوبة في الرق، بسبعمائة دينار، وهذه النسخة كان يملكها العلامة محمد بن علي الخروبي إمام الجامع المالكي، وقد كتب عليها بخطه سماعات نقلها من نسخة قديمة كانت من أملاك المسجد يرجع عهدها إلى أوائل القرن الخامس، أي عليها خط وإجازة محمد بن أحمد بن محمد الهروي، إمام الرواة ومن عليه المدار في رواية البخاري.

كان مجموع ما أنفقه ناظر الأحباس في شراء كتب أسرة الخروبي، وبناء وإصلاحات المدرسة والكتاب، ودار العجزة من طلبة العلم 37.302 دينار، وذلك في أوائل شهر ربيع الأول عام اثنين وخمسين وألف هجرية.

يذكر ابن رجب الجزائري المشهور بابن المفتي في مذكراته أنَّه لما هاجم[100]

[100] -هجوم الإنجليز على الجزائر عام 1071 هـ/1661م

العدو على الجزائر، بعد موت الشيخ سعيد قدورة، وهدَّموا السور الخارجي للمسجد الأعظم نقلت الكتب إلى برج مولاي حسن خارج الباب الجديد، ودام هذا النقل ثلاثة أيّام على الأقل[101].

ثم اشتهرت خزانة الباي محمد المصطفى بن زرقة الدحاوي صاحب" الرحلة القمرية في أخبار المحمدية" التي سجل فيها حرب وهران، قال متحدثا عن الباي محمد بن عثمان الكبير " فكان من سايغ فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره، ودوام منصبه ما استظهر به عليه، ما أنا بصدده، فكان كالدليل المعين على السّفر[102]".

وكانت خزانة المؤرخ أبي راس الناصري بمعسكر[103] التي قال عنها في رحلته " أني أختم هذا الباب الإبداع بما مدحت به مصريتنا التي هي بيت المذاهب الأربعة وهذه مكتوبة في بيت كتبنا في بهوها بخط بعض تلامذتها:

فلله قبة يعز نظيرهـا وبهوها قد حاز المباهي مباهيا

تقول لمن يأتي لها متنزها تأمل جمالي تستفد شرح حاليا

بنيت لخدمة العلوم وبثها لمن يروح نحوي ومن هو غاديا

[101] المهدي البوعبدلي،**مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائرالمرجع السابق** ، ص- ص 85-107
[102] المهدي البوعبدلي،**المرجع نفسه**، ص- ص 85-107
[103] المهدي البوعبدلي،**المرجع نفسه**، ص- ص 85-107

ثم كانت خزانة الشيخ عبد القادر بن يسعد البرذغي، دفين قرية الدبة قرب قلعة هوارة (غليزان) ، كان صاحبها من علماء القرن العشر الهجري، تخرج من مجانة على يد الشيخ محمد بن علي شيح سعيد قدورة. كان هذا العالم يستكتب اللاجئين الأندلسيين للنسخ ، وقد أسس هذه الخزانة وشحنها بأمهات الكتب ، وقد بقيت هذه الخزانة رغم وجودها في بادية منقطعة ، محتفظة ببعض ما تبقى على طعم الأرضة والإهمال والنهب عليها خط المؤسس وتعاليقه، كما احتفظت ببعض كتب نسخها اللاجئون الأندلسيون، ومن أهمّ ما كانت تحتفظ به هذه المكتبة، عثر عليه منذ مدّة وجيزة ككتاب ' الدرر المكنونة في نوازل مازونة '.

كما اشتهرت مكتبة الشيخ سعيد قدورة إلى أن بيعت، وما زالت بعض الكتب من عهد جامعها ومؤسسها قرئت عليه، وكذلك بعض مؤلفات ابن أبي محلى كان أهداها له عند اجتماعه به.

ثم نجد خزانة آل ابن الفكون بقسنطينة التي اشتهرت من أوائل القرن السادس في عهد عالم الأسرة وأديبها الشهير ابن حسن صاحب الرحلة المنظومة التي ضمنها سفره من قسنطينة إلى مراكش.

أما بجاية، فإنها كما نعلم جميعا، أصيبت بالاحتلال الإسباني الذي اشتهر بأنه كان أشد ضررا وخطرا على الكتب العربية من الماغول والتتار والصلبيين الأولين[104].

ولم تكن الكتب مقصورة على الملوك والعلماء، فقد سار حذوهم الخواص أو العوام من الناس الذين كانوا يحبون أن يتشبهوا بالسلاطين في كل شيء، فقد عثرت على نسخة من مختصر ابن أبي جمرة يقول ناسخها:" نسخة بيده الفانية للخزانة العلمية العلية، خزانة أميرنا ومولانا أبو عبد الله محمد الصخري بن أحمد الشريف أيدهم الله بنصره وأدام حياته حصنا منيعا لأهل طاعته وذلك في مجانة سنة 1099هـ/1689م.

دينيا وثقافيا وعلميا ، فقد شهدت الحركة انتعاشا كبيرا ، جسدته المؤسسات العلمية والجلسات والمناظرات الدينية ، والزوايا والمساجد والمكتبات التي كانت تزخر بالمخطوطات ، إضافة إلى حركة العلماء داخل الجزائر وخارجها ، بحثا عن المزيد من العلوم ، والاحتكاك بعلماء المشرق والأندلسيين ، فظهرت مدن علمية وجدت قبل الوجود العثماني وحافظت على مكانتها العلمية ، بالرغم من أن السلطة العثمانية لم تشجع على العلوم ، ولم تعارض من خالفها في مذهبها الحنفي. غايتها في ذلك تثبيت بقائها واستقرار إقليمها.من هذا الجانب، وجوانب أخرى، ترسخت معالم ثقافية جزائرية ذات عمق إسلامي، نوجزها فيما يلي:

المؤسسات الدينية: مساجد، زوايا، قبب ،الأوقاف ،الزوايا والرباطات

[104] -المهدي البوعبدلي،المرجع السابق ،ص-ص 85-107

ومن الجوانب الهامة في الحياة الإجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني ، الوضع الصحي والوضع الطبي، وهو الأداة التي تعكس أو تمنح الصورة الحقيقية لمدى تطور المجتمع الجزائري ودور السلطة العثمانية تجاه الرعية في هذا الميدان بصفة خاصة وبقية المجالات. والمتتبع لهذا الوضع يستطيع أن يستنتج ثلاثة أنواع من الممارسات الطبية وهي:

- الطب الشعبي التقليدي ، الذي يعتمد على النباتات المتواجدة في المنطقة ، والإعتماد على الحمامات الطبيعية وغيرها

- الطب الحديث الذي أتت به الجالية الأوربية ، من رحالة وأسرى وعمال دبلوماسيين وموظفين .

- الطب التركي ، الذي كان حكرا على فرق الجيش الإنكشاري.

وأما عن الوقاية، فلم تكن لهم معرفة بها سوى اللجوء إلى المرابطين والسحرة، آملين أن تحميهم من كل شر وهذا ما نلمسه فيما يخص الأمراض الأكثر انتشارا والتي تعالج عن طريق كتابة بعض الآيات من القرآن الكريم مع استعمال بعض الأعشاب أو علف التمر أو حبات القصبر وغير ذلك، وكل هذا يكون على يد المرابط ولنا ذكر لكل الأمراض قي الصفحات من 42-69 من المجلة الإفريقية[105] في عددها رقم 55 لسنة 1911.[106] .

[105] تعتبر المجلة الإفريقية فضاءً واسعا وكبيرا، لما شملته من حقول معرفية في أعدادها 106 ، بدءا من سنة 1856م إلى غاية عام 1962م ، وبذلك قد بلغ عمرها ما يزيد عن القرن من الزمن، وأهمّ الحقول التي تميزت في أعدادها

وفي إطار الممارسات الطبية،التي تندرج ضمن الأساطير ورد تحت عنوان" الممارسات الطبية بين الإيمان والأسطورة عند سكان بلدية تاكيتونت " ورد مقالا يذكر أن التمائم تلعب دورا كبيرا، وتعرف انتشارا واسعا في معالجة الأمراض، هذا إلى جانب بعض الأعشاب والسوائل التي تضاف إليها أو بعض المأكولات.

ففي نظر غالبية الناس أنَّ تلك الأمراض مصدرها نفسي، قبل أن تكون عضوي، لذا لا بد من الاعتماد بالدرجة الأولى على القرآن الكريم في التداوي. ومن أبرز الأمراض التي كانت تعالج بالطرق التقليدية[107]:

المتواترة: الحقل العسكري والسياسي والتاريخي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي. ومن الملاحظ أنَّ بعض المقالات جاءت مقتصرة على عدد واحد والبعض الآخر جاءت على شكل حلقات، متسلسلة في أعداد متتالية ومتباعدة في أحيان أخرى.

من المعلوم أنَّ المجلة الإفريقية، تعتبر الناطق الرسمي للمؤسسة التاريخية الجزائريّة، هذه الأخيرة التي تأسست لغرض الجمع والدراسة، والتعريف بكل الأحداث الخاصة بتاريخ شمال إفريقيا عامة والجزائر بصفة خاصة عبر التاريخ[105].

وتشمل الدراسات في معناها الواسع، دراسة الشخصيات، والأحداث، والآثار، وعلى العموم تهتم بالتاريخ والجغرافيا واللّغات والفنون والعلوم لإفريقيا الشمالية، وهي تستعمل كل الوسائل التي تمتلكها ومن شأنها أن تضمن وتحافظ على الآثار التاريخية المثبتة أو المجموعة في أماكن حسب زعمها.

ضمت المؤسسة التاريخية الجزائرية عدداً غير محدد من الأعضاء الشرفيين، والأعضاء الفاعلين، ومن المراسلين، وهي بذلك مسيرة إداريا من طرف مكتب يضم:

- رئيـــــــس ، نائب للرئيس ، كاتب عام ، كاتب عام أو كتاب عامون إضافيون ،مكتبي ، رئيس للخزينة ،

عقدت هذه المؤسسة، أوّل اجتماع لها يوم01 مارس 1856م، وخلاله قرأ بربروقر التقرير الوارد من الحاكم العام الذي يؤكد فيه أنَّ إصدار أعمال المؤسسة، أصبح أمرا أكثر من ضروري من أجل البقاء.

[106] **Cicard A**., Pratiques médicales superstitions et Légendes des Habitants de la commune de Takitount**;** R.A : Tome 55 , 1911,p-p42-63

[107],**Cicard A**.,**op.cit,** p-p42-63.

الحمى وذلك بجلب ثلاثة نواة من التمر وتكتب عليها الكلمات التالية: كروم، فيروم، هامانا، وتوضع على الجمر، وبفعل الدخان يشفى المريض، والأسماء المذكورة حسب اعتقادهم، أنَّـهم كانوا آلهة يملكون قوة الخير والشر، هذه طريقة، والطريقة الثانية، كتابة بعض الآيات من القرآن الكريم على شرائح البصل ليأكلها المريض ، أو على أوراق (الكلخ) ، والطريقة الثالثة ، تسجل أسماء بعض الشياطين على ورق وتعلق على جسد المريض (تمائم).

هذا مثال عن طرق المعالجة ، أما الأمراض التي كانت تعالج فمنها ، البوصفير، أمراض المعدة والأمعاء ، ضيق التنفس ، الأمراض التنفسية عامة ، مرض الطيحان ، الصدفية ، الجروح ، الأورام ، الجذري ، أمراض العيون ، عضة الثعابين ، مرض الكلب.

وهنا ، أيضا بعض الأدوية المتعلقة بنقص القوة والخصوبة عند المرأة، وأمراض الأحصنة المختلفة ، وهنا لابد للمرابط أن تكون تأثيراته قوية،لأن المستوى يختلف من مرابط لآحر.

وأما عن أهم النباتات الخاصة بالتداوي ، نذكرها حسب تسميتها آنذاك أو جاليا :

الحميضة ،القرنينة ، خرشف الجبل ،لداد ، الحلحال ،البسباس ، تالما ،تاسلغى ، شندقورة ،الشيح، الفيجل ، الدرياس ،مليلس ، مسقرمان ، الزعتر، العوسج ،الكروش، البلوط ، الصنوبر،الزقوقو، الدفلى ، عنب الذيب ، الزعرور، الذرو، العقاب ، بوعمار، الهامة ، الغراب ، الرخمة ، البومة ، الحجل ، الزيطوط ، اليمام ، الشحرور، الزرزور، الخطاف ، ذيل القط ، رجل الديك ، حافر البغل.

وأما عن التطبيب الشائع نجد : الكي بالنار،الحجامة ، تجبير الكسور[108] وغالبا ما نجد ما كان يستعمل من أعشاب ، كانت قد وردت في كتاب عبد الرزاق بن حمدوش .

كل هذا لا ينفي وجود هياكل صحية كالمستشفيات والصيدليات وتواجد أطباء من مختلف بقاع العالم يزاولون مهامهم ، وإن كانت هذه الخدمات موجهة في غالبيتها إلى الأتراك ولجيوشهم أو الرعايا الأوربيين المتواجدين على أرض الجزائر.

وأما عن المستشفيات فيمكن أن نميز بين المستشفيات التي بنتها السلطة العثمانية وبين ما بنتها الدول الأوربية حفاظا على صحة رعاياها بالمنطقة، ومن هذه المستشفيات: **مستشفى الخراطين، مستشفى الأمراض العقلية، مستشفى مرضى طريحي الفراش الذي كان** يستقبل المرضى وكذا أفراد الجيش الإنكشاري[109] ، **مستشفى شارع زاما، المستشفى الإسباني، مستشفى كابوسان، مستشفى الثالوث المقدس، مستشفى لازريست، مستشفى الراهب بيدرو كاريدو، الزوايـــــا.**

[108] -عبد الكريم بوعمامة، **بنو يعلي لمحات من التراث اليعلاوي: عادات وتقاليد**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص-ص 147-173.

[109] -بن زين قمر، **الأحوال الصحية في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1779-1830م)**، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،2018-2019، ص 26.

إلى جانب الدور التربوي والتعليمي والديني التي كانت تقوم به الزوايا، اجتهدت في القيام بالأعمال الصحية الموجهة للفقراء والمعوزين والمتشردين[110] ،فوظيفتها القيام مقام المرافق الصحية، فتقدم بعض الإسعافات[111]، وتأوي العجزة والمرضى[112] ،وتتكفل بمصاريف العلاج والإسعاف من مداخيل الأوقاف.

أيضا كان هناك للمساجد دورا بالغ الأهمية في الميدان الصحي، حيث كانت تساهم في تقديم العلاج والإسعافات الطبية واستقبال المجانين والجنود غير المتزوجين الذين لا تسمح حالتهم الصحية بالبقاء في الثكنات[113]

ومن هؤلاء الأطباء :

- سعيد بن أحمد المقري

- محمد بن سليمان بن الصايم التلمساني

- عبد الرزاق بن حمدوش

- أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني

- عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز"عزوز" المراكشي

- المداوي محمد بن عثمان أو محمد الكبير

[110] -فوزية لزغم، **الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830**،مجلة عصور،ع:15،جامعة وهران1،2013م، ص178.

[111]- عائشة غطاس، **الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**، مجلة الثقافة،ع36،الجزائر،1993، ص 128

[112]- أبو القاسم سعد الله،**محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**،ط3، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م، ص 169

[113]- مصطفى خياطي،**الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص50

- محمد بن سليمان بن عبد الله

وأما عن الأطباء الأجانب، فيصنفون إلى أربعة أصناف:

- أطباء أحرار يقومون بخدمة كبار المسؤولين بالجزائر

- أطباء موظفين بالمؤسسات والشركات الأوربية بالجزائر

- الأطباء الرحالة الذين كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية

- أطباء أوربيون أسرى بالجزائر[114] **.**

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني، كبقة دول المغرب العربي، موجات متعددة ومتنوعة من الأمراض و من الأوبئة منها وباء الطاعون، وباء الجذري، وباء التيفوس،وباء الكوليرا وأما عن الأمراض نذكر حمى المستنقعات أو حمى الملاريا، والحمى العفيفة، والحمى التيفوسية، وداء العيون، ومرض السل، ومرض الحصبة ومرض الزهري وغيرها

إن التواجد الطويل للعثمانيين بالجزائر والذي دام أكثر من ثلاثة قرون،لم يساعد على الإحصاء وبدقة للخسائر البشرية الناتجة عن هذه الأمراض والأوبئة، ونحاول أن نقدم السنوات التي كانت فيها هذه الأوبئة فتاكة وحسب كل وباء:

الطاعون: حسب القرون:

القرن 16م: 1541 م،1547 م ، 1550 م،1554 م،1559 م، 1561 م، 1584 م .

[114]- فوزية لزغم،**المرجع السابق**، ص168

القرن 17م: 1601 م، 1605 م، 1620 م، 1639 م، 1643 م، 1647 م، 1649 م، 1650م، 1654 م، 1661م، 1663 م، 1664 م، 1673 م، 1676 م، 1677 م، 1678 م، 1689 م،1693م، 1695 م، 1697 م، 1698 م، 1699 م[115] .

القرن 18م: 1700 م، 1728 م، 1732 م، 1738 م، 1740 م، 1744 م، 1749 م، 1784 م، 1785 م، 1787 م، 1788 م، 1794 م، 1795 م، 1797 م، 1798 م، 1799 م .

القرن 19م: من 1817م إلى 1822م[116]

أدت الأمراض والأوبئة إلى انتشار كبير للأمراض النفسية زادت الطين بلة، فانتشرت بموازاتها الأساطير والخرافات لتجنبها أو التخفيف منها ، فشرب الماء من بئر أو عين معينة أو تعليق تميمة أو زيارة ضريح ولي[117] صالح كانت في نظر الأهالي خطوة نحو الشفاء من السقم ، فأصبحت ظاهرة زيارة المقابر مألوفة وآمنوا إيمانا شديدا بفعالية الإستشفاء عن طريق خليط الحنة بتراب الضريح الصالح وطليها على كامل الجسم ، كما أرجعوا كافة الأمراض إلى العين والحسد وفعل الجن[118] . كما

---

[115]- أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، أطروحة دكتوراه ، اشراف الدكتور عمار بن خروف ، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص283

[116]- الحاج الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**،تح:أحمد توفيق المدني،ط2،ش.و.ن. ت،الجزائر، 1980،ص 151.

[117]- مصطفى خياطي،**الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**،منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،د.ت، ص54

112- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي:من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري(16-20م)**،ج2، ش. و ن. ت، الجزائر، 1981م ،ص417

كانوا يستخدمون السحر في علاجاتهم وكذا الطلاسم ، والذبائح والبخور، كما انتشرت الرقية على نطاق واسع في المدن والأرياف.

3- أثر الهجرة الأندلسية على الجزائر:

كانت تلمسان واحدة من الحواضر التي عرفت هجرة أندلسية كبيرة نظرا لعدة اعتبارات ، في مقدمتها العلاقة الوطيدة والمميزة للمدينة مع باقي المدن الأندلسية منذ قرون ، ودورها الرائد ونهضتها الثقافية والعمرانية ، وحنكة حكامها وفي مقدمتهم السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني ، لكن المرحلة البارزة في مسار الهجرة الأندلسية إلى عاصمة الزيانيين جاءت بعد 1492م ، تاريخ سقوط غرناطة ، حيث انتقل الآلاف من – المورسكيين – وهي التسمية التي أصبحت تطلق على مسلمي الأندلس بعد السقوط إلى المدن الجزائرية وفي مقدمتها مدينة تلمسان ، خاصة بعد أن أصدر الملك الإسباني فيليب الثالث قرار الطرد النهائي لمسلمي الأندلس سنة 1609م ...وعرف ملوك بني زيان كيف يستغلون الظروف الصعبة لمسلمي العدوة الأخرى من أجل استقطابهم إلى مدينتهم والإستفادة من خبرتهم المختلفة في شتى المناحي والميادين ، ولعل الأمر السلطاني الذي أصدره السلطان يغمراسن بشأن المهاجرين الأندلسيين والتكفل بهم ومنحهم أعلى المراتب خير دليل على ذلك، وفي ظرف بعض السنوات عادت العديد من أحياء تلمسان أندلسية

المظهربفضل العديد من المهاجرين خاصة من العلماء والحرفيين والفنانين والزراعيين[119].

كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر أثر كبير وواضح على الحركة العلمية والثقافية ، فبقدوم علماء الأندلس نشطت الحياة العامة منها الفكرية والإجتماعية والإقتصادية زراعيا وصناعيا وحرفيا.

فقد اشتغلوا بالتدريس ، فكونوا جيلا من العلماء والمفكرين والأئمة ، وساهموا في تأليف الكثير من الكتب التي أصبحت تراثا محليا يرجع إليه. ولم يكن من ينافسهم في مختلف العلوم خاصة في المدن أو الحواضر، وأهم ما اختصوا به ، اللغة والأدب والموسيقى والفن والخط والنحو، وفي طرق التدريس ، والبلاغة والشعر والتاريخ .

كما كان لتأثيرهم على الحياة الإجتماعية الأثر الأكبر، حيث تمكنوا من نقل العادات والتقاليد إلى المغرب الأوسط وكان ذلك أكثر وضوحا في الملبس والمأكل بصورة خاصة.

وأما الموسيقى كانت ولا زالت تجسد التأثير العال على المجتمع الجزائري، ومن أكبر الموسقيين الذين انتقلوا إلى المغرب الأوسط أبي الصلت الذي انتقل من طليطلة سنة 478 هـ - 1085م. ومعه الألات الموسيقية المختلفة. وبهذا وبغيره تمكن الأندلسيون من الإنصهار والذوبان مع الأهالي .

[119] بن سهلة ثاني سيدي محمد،**المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر ، اشراف أ.د طالب أحمد-تلمسان أنموذجا**- أطروحة دكتوراه، اشراف أ.د طرشاوي بلحاج ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2013-2014م،ص 220.

ثالثا: حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة ومبرراتها ونتائجها:

لقد أفرزت الخرافات والأساطير عند المجتمعات البشرية سدا منيعا، به احتفظت على أصولها وكيانها وتتجه نحو الأمام لتبني مسقبلا قويا بقوة جذورها ، فهي تسعى من خلال ذلك إلى بناء الشخص المحترم والأمة المحترمة المنتعشة بماضي الأجداد وما أفرزه الفكر البشري ، وغرسه في المخيال الجمعي . وبهذا فالإفرازات تمثل لبنات تزيد في متانة الأمة .لهذا طالما كانت الأسطورة أساس المجتمعات تغرس الفضائل الصالحة في الثقافتها.

كما أن الخرافات والأساطير هي أساس العديد من الأديان ، إذ تضم بين طياتها قصصا تخبرنا عن المعارك بين الخير والشر. فهي قصص مليئة بالشخصيات الخيالية الخارقة.

كما يمكن أن تنتج الخرافة والأسطورة **المجتمع المنغلق** على نفسه، وتؤدي أحيانا إلى زرع الشك والخوف نتيجة الايمان المطلق بوجود كائنات بشرية أو غير بشرية تملك القدرة في السيطرة على حياة الإنسان وهنا لابد من الحذر وتجنب التفاعل مع الغير.

هذا ما أدى بالناس إلى نقل المعتقدات إلى غيرهم مع التركيز على الإقناع ، ثم الظروف اليومية التي تدفع إلى اللجوء إلى طرق لا شعورية بحثا عن حلول وإجابات سريعة ، وأما عن الدور البيئي فله الأثر الكبير في انتشار الظاهرة.

احتلت الأساطير جزءا كبيرا من التراث الشعبي الذي هو منبعها باعتبارها ظاهرة إنسانية ارتبطت بالوجود الإنساني ذاته. إذ يمثل التراث الشعبي ثروة كبيرة من العادات والتقاليد والقيم والفنون والمأثورات الشعبية ، ويعبر عن ذاكرة الأمة وهويتها لإرتباطه بثقافات الغير ويحمل في طياته التقاليد والعادات والقوانين السائدة ، ويكشف عن مكنونات حياة شعب من الشعوب[120] .

1 - حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة:

الاعتقاد بقدرة الأولياء والصالحين والتصديق بكرامتهم التي تقابل المعجزات عند الأنبياء والرسل. والاعتقاد في كراماتهم العجيبة .وما زاد إيمانهم بهم، ذكرهم في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى :" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم"[121]

وأورد " ابن ماجة" في سننه قول الرسول صلى الله عليه وسلم، صفة الأولياء: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "أي الناس أفضل ؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان ، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه

114- فاطمة لواتي،**تجليات الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري**، مجلة اللغة والثقافة والمجتمع،مج:5،ع:2،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2019م، ص 212

[121]- القرآن الكريم ، **سورة يونس**، الآيات من 62-65،رواية ورش.

ولا بغي ولا غل ولا حسد." والولي في اللغة العربية هو القريب أي القريب من الله بالتقوى والإخلاص لله[122] .

الولي الصالح عند الجزائريين خلال العهد العثماني هو نموذج للقداسة، فرجاؤهم فيه كبير والتماساتهم نحوه لتحقيق الغرض لا تحمل أدنى شك، والإحتماء به جلب للبركة الأكيدة. فالأولياء لهم السلطة الروحية على المجتمع ، وبذلك تحقق التوازن والإنسجام الذي كثيرا ما تمزقه الخلافات والنزاعات القبلية والعشائرية.

الولي يمثل قوة سيكولوجية واجتماعية من حيث تأثيراته في المجتمع الجزائري.

2 - مبرراتها ونتائجها:

أ- المبـــــــررات:

أهملت السلطة العثمانية الحاكمة ، الجانب الصحي ، واجراءات الوقاية من الأمراض ، هذا ما أدى إلى انتشار أمراض وأوبئة[123] عبر مراحل التواجد العثماني يذكر الحاج أحمد الزهار أن في سنة 1201هـ ، جاء الوباء للجزائر، حتى وصل عدد الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم ، ويسمى بالوباء الكبير، قيل أنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية، وطال الوباء بالجزائر إلى سنة 1211هـ . و قد وصلت الأوبئة

[122] ـحديث صحيح رواه الإمام في سننه برقم 4216 في كتاب الزهد ، باب الورع والتقوى.

[123] ـ الحاج الشريف الزهار،،**مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**، تح:أحمد توفيق المدني، ط2، ش و ن ت، الجزائر،1980.، ص51.

إلى قصر الحاكم وأصابت أهله ، ولم يبادر إلى تطبيب السكان ، بل جلبوا أطباء لرعايتهم ورعاية حاشيتهم ،حسب المؤرخين ، وهذا ما دفع الأهالي إلى الإعتماد على وسائلهم التقليدية ، والبحث عن العيادات البدائية عسى أن يجيدو فيها ما يخفف آلامهم.

ويستأنس الأهالي ، إذا ما أصابتهم مصيبة ، إلى وجهات مختلفة حسب الضرر وبخاصة ، حسب ما أحسنوا الظن ، فهم يعرفون عياداتهم ، وأين يتم شفاؤهم مهما كان نوعه ، فهناك الولي الصالح أو المرابط ، وهناك الشريف ، وهناك الشواف أو العراف أو الكاهن، وهناك أيضا أصحاب الطرق الصوفية الذين يدعون أنهم يملكون هم أيضا الكرامات ، أو الإعتماد على الأعشاب الطبية وصنع الدواء وفق معتقداتهم وعرفهم.

جهل أغلبية الأهالي بقواعد الصحة التي كانت تتميز بها الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب العربي ، والتي لم يعرف السكان عنها سوى معلومات سجلت في تجاربهم الشخصية[124].

وأما عن دور السلطة العثمانية في بعض مراحلها القليلة ، فركزت على الحجر الصحي أو ما يعرف بالعزل ، فيذكر الطبيب الرحالة ابن حمادوش في لسان المقال " وفي ثالث رجب الموافق لآخر يوم من يوليو قدم علينا مركب من الاسكندرية بالحجاج وفيه الوباء فمنعهم الباشا من الدخول حمية... آذن لهم الدخول بعد أن تحقق من سلامتهم من المرض ".كما كان الأتراك يوقفون السفن الواردة فترة معلومة قبل أن يسمحوا لها

[124] ناصر الدين سعيدوني،**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني**،مجلة الثقافة،العدد 10،أوت 1998 ،ص 101.

بالخول إلى الميناء بركوبها أو النزول سواء كانت سفينة قادمة من بلاد إسلامية أو بلاد مسيحية[125]،

على هذا الأساس ، المتمثل في الجهل المتفشي عند السكان من جهة، والإهمال والامبالات للحكام من جهة أخرى وانتشار الجوع[126] نتيجة القحط ، كما يذكر الحاج أحمد الزهار في هذا الباب،" بعد ذهاب الاسبانيول في المرة الأخيرة سنة 1184هـ ، وقع الغلاء في القمح مدة ست سنوات ، وأعطى الله القحط ، وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع[127] الجزائري أربعة بجة[128]، والناس يموتون جوعا في الأسواق" ، أدى ذلك إلى إنتشار الأساطير والخرافات حول تحسين الوضعية النفسية والمادية والصحية والإجتماعية وغيرها.

ورغم ما أصاب السكان من سقم وفقر وتدني في الحياة العلمية والعملية،إلا أن غالبية الأهالي إعتبروا ذلك قدر محتم ، يحتسبونه عند الله.ومن هنا لا مانع من ترتيب المبررات على النحو التالي: فهناك الدافع الإجتماعي ، والدافع المادي ، والدافع الديني المحض ، والدافع الثقافي،والدافع البيئي أو المحيط ، كل هذه المبررات رسخت الإيمان بالأسطورة والخرافة وهي:

---

[125] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي،ج1** ،المرجع السابق،ص 162

[126] -الحاج الشريف الزهار،**المصدر السابق**، ص31.

[127] 34 كيلوغرام تقريبا.

[128] الريال بجة يزن 10غرام فضية.

- الرضا بقضاء الله وقدره ، والصبر، استنادا إلى قول الله تعالى " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون"[129].واستنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إن هذا الطاعون رجز وبغية عذاب ، عذب بها قوم قبلكم ، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا ، وإذا سمعتم به وأنتم بها فلا تدخلوا عليه."

- الخضوع وطاعة السلطة الرسمية ، التي تمثل الخلافة الإسلامية ، ومبايعتها. وعدم الخروج عنها،والتمرد عليها ، طبقا للنص القرآني.

- الدور الكبير للعلماء في تكريس ونشر الأساطير، وإيمانهم بالكرامات وتدعيمها.وتقديس الأولياء أحياءا أو موتى ، وفي هذا الباب كان التأثير بليغ للخرافة والأسطورة.

- الفقر والجهل، فكانت الظاهرة عامة في الأرياف ، فالفقر نتيجته الضرائب المفروضة إضافة إلى الجفاف الذي كان يضرب المنطقة من حين إلى آخر، وأما عن الجهل فمرده أن غالبية سكان الجزائر خلال العهد العثماني هم في الأرياف ، وأن المؤسسات العلمية وجدت بالمدن.

- انتشار الأمراض ، ولا ملجأ للسكان إلا بالعودة إلى العرف والتداوي ببركات الأولياء أو الأعشاب الطبية.

[129] القرآن الكريم ، **سورة التوبة**، الآية 51، رواية ورش.

- دور الطرق الصوفية وانتشار الرقية بدون ضوابطها على أساس أنها المنقذ ، فانتشرت الظاهرة وبشكل واسع ،إلى درجة أصبحت حسبهم معالجة أي الرقية لكل الأمراض.

- آثار ودور المشعوذين ، في إبتزاز أموال الأهالي ، بزعمهم يملكون القدرة في توفير حاجيات الأهالي المختلفة ، فمقصد المريض والفقير والغني والكبير والصغير هو المشعوذ الذي لا يمكن استغناء عنه أو نفي قدراته .

- دور الأساطير والخرافات المنسوجة حول الظواهر المنتشرة.مثل الينابيع المباركة ، والشجرة المباركة ، والحيوان المبارك ، والولي المبارك ، أنسجت حول كل منهم قصص وحكايات وخرافات ، بأساليب ونسج مدهش ، أيقن بها كل من سمعها ، وخاف من عواقبها كل من نكرها.

- الأهالي في حد ذاتهم ، مؤمنون بالعرف والمتمسكون به ، والذي يمثل وسيلة الترابط الإجتماعي ، فلا يجرأ أحد أن يخرج عن تقاليد الأسرة أو القبيلة.

- الطبيعة الإجتماعية للمجتمع الجزائري آنذاك ، فهو مجتمع قبلي ، ريفي في غالبيته.السذاجة من شيمه ، يؤمن بسرعة عندما تهز مشاعره ، وخاصة ما تعلق بدينه.

- نقص الأطباء ، أو شبه انعدامهم ، باستثناء الطب التقليدي الذي كان منتشرا ، متوارثا أب عن جد.

ب - نتائجهـــــــــــا:

كثيرة هي النتائج التي تفشت بسبب تفشي الخرافة والأسطورة نذكر منها:

- انتشار ظاهرة السحر والدجالين : التمائم ، وكتابة بعض الآيات من القرآن الكريم وحرقها أو يبللها بالماء ورميها على جسد المريض أو رأسه ، وهي نوع من الطلاسم الشركية.

- انتشار ظاهرة الشعوذة:الرموز الشيطانية

- انتشار الرقية غير الشرعية

- انتشار الأمية والجهل

- انتشار ظاهرة التداوي التقليدي ، مثل العلاج بالكي ، أو الإفراط في ضرب المصروع ،التبخر بالأعشاب أو شربها وغيرها.. .

رغم الإنتشار الواسع للشريعة الإسلامية ، وممارستها الميدانية في كل مناحي الحياة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، ورغم الحركات الإصلاحية ودور العلماء فيها ، إلا أن ظاهرة الأسطورة والخرافة بقيت مميزة وذات صلة وثيقة بالحياة اليومية والمناسباتية عند أهالي البلاد ، ترى كيف ترسخت ؟

وظفت الخرافة لخدمة الجانب الإجتماعي ، فإذا كانت تسبح بمتلقيها في عالم الخيال،إلا أنها ذات صلة بالفرد والمجتمع في آن واحد ، بحيث هي المحددة لآماله وأمانيه وآلامه.

تعد الدراسات للموروث الثقافي في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، أحد البدائل والركائز الأساسية للدفاع عن الثقافة الوطنية ، والعمل ولو بشكل غير مباشر على حماية المخزون التراثي بشقيه (المادي وغير المادي) من خطر هيمنة الآخر الذي عمل ولا يزال يعمل على تشويهه تارة ، وإنكاره تارة أخرى.

إنَّ أصالة الأمم ، وعراقتها تقاس بما تمتلك من حضارة وتراث إنساني ، تتوارثه الأجيال ، وتدخره جيلا بعد جيل لأولادها وأحفادها وأحفاد أحفادها ، معتزة بكل ما خلفه لهم الأجداد.

فعندما نستحضر تاريخ مدننا وقرانا ومداشرنا ، وما خلفت من آثار، وما سجل عنها العلماء من أخبار ، ندرك مما لا يدع مجالا للشك أن التراث ليس أمرا مضى وانتهى أو ذكريات نستعيدها لنتسلى أو نمرح أو نبكي على الأطلال ، إنَّما هي مسألة أصبحت الأمم الراقية تقدر مكانتها ودورها الحيوي ، ليس فقط في الحفاظ على ركائز الدولة ،وكيان الأمة،بل في تأكيد عمقها،وتمكينها من الإشعاع على باقي الأمم والحضارات.

ولأجل ذلك لابد من الإطلاع الواسع والعميق لما قدمته المدرسة الاستشراقية، حول تاريخ وثقافة المجتمع الجزائري وبالخصوص من خلال المجلة الإفريقية[130]، التي اعتمدت أسلوب الإنكار والتجاهل لتواجد الأمة الجزائرية عبر التاريخ.

لا يمكن أن نقول بأن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني قد قطعنا شوطا كبيرا في كتابته ، ما لم نعط للأسطورة والخرافة دورهما الكامل في نقل واقع مجتمعنا ، وهذا الجانب لا يمكن أن نستوفيه إلا إذا توفرت مخابر مختصة في جمعها وتحقيقها وتقديمها جاهزة للمؤرخ للتعامل معها ، ومن هنا لابد من الإطلاع على كتب المستشرقين وعلى ما يتناقل بين الناس شفهيا من اساطير ، لا من أجل إثبات فرضية على حساب أخرى ، بل من أجل معرفة الواقع الحقيقي المعاش مع التمييز بين الأسطورة الحقيقية أي التي تحمل الحقائق، وبين الخرافة الخيالية التي كانت نتاج الخيال الفردي والجمعي.

خلاصة: من خلال استعراض الوضع العام في الجزائر خلال الوجود العثماني ، يمكن استنتاج جملة من الميزات التي تميز بها كل قطاع وانعكاساته سلبا وإيجابا.

[130] تعتبر المجلة الإفريقية فضاءا واسعا وكبيرا لما شملته من حقول معرفية في أعدادها 106، بدءا من سنة 1856م إلى عام 1962م، وبذلك فقد بلغ عمرها ما يزيد عن قرن من الزمن، وأهم الحقول التي تميزت في أعدادها المتواترة، الحقل العسكري والسياسي والتاريخي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ومن الملاحظ أن بعض المقالات جاءت مقتصرة على عدد واحد والبعض الآخر جاءت على شكل حلقات متسلسلة في أعداد متتالية أو متباعدة في أحيان أخرى. فهي تعتبر الناطق الرسمي للمؤسسة التاريخية الجزائرية ،هذه الأخيرة التي تأسست لغرض جمع ودراسة والتعريف بكل الأحداث الخاصة بتاريخ شمال إفريقيا عامة والجزائر بصفة خاص عبر التاريخ.

- على العموم اتسم الوضع السياسي بنوع من الاستقرار، اللهم إلا بعض المناوشات داخل الجيش العثماني ، أو بعض الأعمال الجهادية ضد السلطة العثمانية بسبب عبء الضرائب التي كانت تفرض على الأهالي.

أما اقتصاديا ، فقد كان للاستقرار السياسي الأثر الأكبر في التطور الاقتصادي صناعة وزراعة وتجارة ، وحتى عمرانيا وفنيا.

وأما صحيا ، فهناك تكمن الكارثة ، رغم ما امتازت به البلاد من نمو في كافة المجالات ولا سيما في المجال العلمي والديني ، اللذان يمثلان السياج الحامي للأمة ، فلم تتمكن هذه الأدوات الفعالة من التأثير على الذاكرة الجماعية التي اقتنعت إلى حد النخاع **بالأساطير والخرافات** لمواجهة الأمراض والأوبئة التي لم تنقطع خلال التواجد العثماني.

وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن للسكان والسلطة العثمانية يد في تردي الأوضاع الصحية وذلك من خلال تجاهلهم للقواعد الصحية واعتبارهم أن الأمراض والأوبئة جاءت بغضب من الله ، ولا أحد يمكنه التصدي لأمر الله ، وقبول قضاء الله وقدرة ، وأن الشفاء لن يكون إلا بالعودة إلى الخرافات والأساطير التي كانت سائدة قبلهم ، والمعتمدة على الشعوذة أحيانا، وأحيانا أخرى باللجوء إلى الرقية.ذلك أن المخيال الجماعي يوحي لهم أن جل الأمراض مصدرها الجن ، ومنه كانت الرقية الوسيلة الوحيدة للتخلص من تلك الأمراض ، وهذا ما نستنتجه من الرسالة التي بعث بها حسن موسى للداي بن موسى قائلا: " ويصلكم صحية الحامل الطالب الذي أمرتمونا ببعثه ليرقي انسانا مريضا ، جعل

الله دواءه على يده وكشف ضره لما كشفه عن أيوب عبده وقد أخرتنا لمعرفة ذلك الأمور وديانته فإن البركة تلازم لأهل (هكذا) الدين والتقي ، فلذلك تقضى بهم الحوائج دعاء ورقى..."[131] .

رغم الإنتشار الواسع للشريعة الإسلامية ، وممارستها الميدانية في كل مناحي الحياة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، ورغم الحركات الإصلاحية ودور العلماء فيها ، إلا أن ظاهرة الأسطورة والخرافة بقيت مميزة وذات صلة وثيقة بالحياة اليومية والمناسباتية عند أهالي البلاد ، ترى كيف ترسخت ؟

وظفت الخرافة لخدمة الجانب الإجتماعي ، فإذا كانت تسبح بمتلقيها في عالم الخيال،إلا أنها ذات صلة بالفرد والمجتمع في آن واحد ، بحيث هي المحددة لآماله وأمانيه وآلامه.

[131] كمال صحراوي، **المرجع السابق**، ص 183

الفصل الثالث:

الخرافة والأسطورة في الجزائر خلال العهد العثماني: الخصوصية الإجتماعية

تقديم:

أولا:الميثولوجيا

1- مفهوم الميثولوجيا

2- خصائص الميثولوجيا.

3- أنواع الميثولوجيا

ثانيا: الواقع التاريخي للأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري

1- المدارس الحديثة لتفسير الأسطورة

2- مصادر الأسطورة والخرافة في الجزائر

3- الأسطورة والخرافة المرتبطة بالمناسبات الدينية والإجتماعية:

العادات والتقاليد والأعياد:

*** في الشرق الجزائري**

*** في الجنوب الجزائري**

*** في الغرب الجزائري**

ثالثا: الأسطورة والخرافة المرتبطة بالحياة اليومية:

1- نماذج، أشكال

2- الأساطير والخرافات عن الأشخاص والكرامات

- الولي الصالح أو المرابط أو الشريف

- الشواف أو العراف أو الكاهن

- الطرق الصوفية

خلاصة

أولا: الميثولوجيا

تقديم:

تعتبر الأساطير مصدر من مصادر التاريخ ، تسجل لحالات ووضعيات حقيقية أو قريبة من الحقيقة ، أو البعيدة كل البعد عن ذلك ، وهي ليس لها إطار زمني ولا مكاني محدد ، فسجلت عن أحقاب زمنية انعدمت فيها الكتابة ، واستمرت إلى مرحلة التطور التكنولوجي ، دون أن تفقد من جاذبيتها.

كل هذا ترك العلماء ينشغلون عبر الزمن بإعطاء مفهوم للأسطورة ، تلك الظاهرة الثقافية المعقدة ، فتشكل نتيجة ذلك كم كبير من المفاهيم سواء من الشرق أو الغرب ، فالرافضين لأهمية الأسطورة في نقل ألأحداث وكتابة التاريخ ، يفكرون عكس المؤمنين بها وخاصة الذين يعيشون بها وعليها.

ترى ما مدى تواجدها في الجزائر العثمانية ؟ وما تأثيراته ؟ وكيف تجاوب الأهالي معها ؟.

1- مفهوم الميثولوجيا

تصدر علم الميثولوجيا كافة الدراسات لما لها من أهمية في محاولة فهم بعض الظواهر ولا سيما أصل الأشياء، ورفع اللبس عن بعض الأمور التي كانت تبدو من الغيبيات ، وإعطاء معنى لها وإبراز سببها، ويتكون المصطلح من مقطعين:ميتوس

ويقصد بها كل ما ينافى العقل، ولوغوس ويراد به العقل، فأضحى المصطلح يحمل في طياته مزيجا من الأحداث العقلية واللاعقلانية.

فمفهوم الميثولوجيا يقصد به أيضا، علم الأساطير، يستمد وجوده من القصص التاريخية سواء كانت شفهية أو كتابية ، هذه القصص التي تؤرخ لثقافات المجتمعات القديمة وتطوراتها الحضارية، تحدد كيفية نشأة الأمم أو عن أسباب زوالها واندثارها ، كما تدرس المعتقدات السائدة والعادات والتقاليد المنتشرة لتحري مدى تجانسها وخلفياتها.

الميثولوجيا هي أحد الفروع العلمية الذي يهتم بتفسير ودراسة الأساطير القديمة بالثقافات القديمة المختلفة التي تم الإعتقاد بها وتصديقها على أنها حقيقة في وقت من الزمان فهو علم يختص بتفسير الأحداث الطبيعية ، وشرح الإنسانية والطبيعة ، ويعتبر لفظ الميثولوجي لفظ يوناني بمعنى الأسطورة يشير إلى الحكايات القديمة .

ولا يمكن لأية قصة أن تحضى بهذه التسمية إلا إذا امتزجت بين الخيالية والواقعية وبالقدسية

عادة ما يُبنى مفهوم الميثولوجيا على الرمزية ، ويرتبط بالمفهوم الديني القديم من خلال وجود بعض المسميات أو الكائنات الخارقة للطبيعة، أو كما تُسمى أحيانا بالآلهة القديمة ، حيث يكون لها قدرات غير اعتيادية لدى البشر، ويساعد تفسير رموز الميثولوجيا وما تحتوي عليه البيئة التي وردت في قصص الأساطير على فهم معتقدات

الأيديولوجية الخاصة بها ، والتي ترتبط عادة بالديانات القديمة التي تخلدها تلك الميثولوجيا، أما بالنسبة للفظ الميثولوجيا فهي مشتقة من الأساطير اليونانية القديمة، ويشير هذا المصطلح الذي ترجم إلى علم الأساطير أو علم دراسة الأساطير إلى فرع من فروع المعرفة يعنى بدراسة الأساطير وتفسيرها.

تتكلم الميثولوجيا عن عالم موازي لعالمنا وبطريقة ما، داعم لوجودنا، والإيمان بهذه الحقيقة اللامرئية والأكثر قوة، التي تسمى أحيانا بعالم الآلهة، هي فكرة الميثولوجيا الأساسية.

كانت الميثولوجيا تسمى " الفلسفة المعمرة " لأنها أرشدت المجتمعات إلى الأساطير والطقوس والتنظيم الإجتماعي[132] .

ويذهب البعض إلى تعريف الميثولوجيا على أنها مجموعة الخرافات والأساطير الخاصة بأمة من الأمم أو لحضارة ما أو لمنطقة ما.

في الأخير يقال الميثولوجيا تستمد قداستها من البشر ، بينما الدين يعود إلى مصدر إلاهي.

وأبرز أنواع الميثولوجيا: الميثولوجيا اليونانية، والميثولوجيا الجرمانية، والميثولوجيا الرومانية.

[132] كارين أمسترونغ، **تاريخ الأسطورة**، تر:وجيه قانصو، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008، ص 10

2- خصائص الميثولوجيا

هناك العديد من المميزات والخصائص التي تتميز بها الميثولوجيا عن بقية العلوم الأخرى، وتأتي هذه الخصائص كَسِمةٍ بارزة بين مختلف أنواع الميثولوجيا على اختلاف جذورها التاريخية أو الدينية أو الاجتماعية، ومن أبرزها ما يأتي:

ارتباطها بالدين : كما سبق وأن ذكرنا بأن مصدر القداسة عند الميثولوجيا ، هم البشر، ويستمد الدين قداسته من مصدر إلاهي، فهذا لم يمنع في تداخلها في غالب المواضيع، والحقيقة أن الغيبيات التي تعرض لها الدين ، كانت من أبرز الدوافع للميثولوجيا للغوص فيها، لتفسيرها أحيانا أو لنشرها على شكل قصص خيالية مع الإحتفاظ بقداستها.

ارتباطها بالخيال: المفاهيم الفلسفية التي استخدمتها الميثولوجيا في بث الرسائل الأخلاقية أو الإجتماعية ، فكان لها التأثير الواسع في العلاقات، فكانت الأساطير القديمة دستورا حددت فيه مجالات التعامل والكيفية في التنبأ والتعامل مع الغيبيات المستقبلية.

وما دامت أن الميثولوجيا هي مزيج بين العقلانية واللاعقلانية، فقد تمكنت من ربط هذه المتناقضات.

ارتباطها بالتاريخ: لا يوجد تاريخ محدد للميثولوجيا ، إلا أن جل المفكرين يتفقون على أنها قديمة قدم الوجود البشري على الأرض، وأن أولى القصص المكتوبة أو الشفهية

ظهرت خلال الحضارة اليونانية، وعبر التاريخ توسعت الميثولوجيا وانتشرت زمانيا ومكانيا، حاملة تاريخ تلك الأمم، ولذى يدعي البعض من المؤرخين أن الميثولوجيا في جانبها الإيجابي أنها مصدرا من مصادر تاريخ الشعوب، أي للأحداث التاريخية ، وبالتالي الترتيب الزمني يكون على النحو التالي: الحادثة التاريخية تليها الأسطورة فتالتأريخ لها.

ارتباطها بالوقائع العامة: لا تدخل الميثولوجيا في تفاصيل الأحداث وتقديم حلولا وتفسيرا لها ، بل تقتصر على الأحداث العامة في جل مواضيعها كنشأة الكون والموت والعالم الآخر وغير ذلك... كما أنها لا تتقيد ببيئة زمنية أو مكانية محددة.

ارتباط العديد من الميثولوجيا ببعض الظواهر الكونية أو العناصر التي تتكون منها الطبيعة، مثل: الشمس والماء والنار، وبعض المتعلقات بالإنسان ذاته كالإحساس الإدراك البصري والحكمة والرغبة وغيرها...

3- أنواع الميثولوجيا:يمكن تقسيم الميثولوجيا إلى ثلاثة أنواع من حيث الأغراض المستهدفة.

أغراض علمية تعلمية: يكتشف المتتبع للدراسات المتعلقة بالميثولوجيا، بأن هناك منهاج علمي وتاريخي متبع في صياغة وبناء القصة الأسطورية، فيتعلم من خلالها على كيفية وطريقة البناء لها هذا من حيث الشكل أما من حيث المضمون

فالفرد المتتبع لها يستفيد من منظومة قيمية تساعده في حياته، ويستأنس بها في تعامله مع غيره . لذا فالميثولوجيا تقوم بزرع فكرة ليتلقاها المستقبل ويتعامل معها سواءا أكانت عقلانية أو لاعقلانية.ولا سيما أصل الأشياء ومبتغاها أو نهايتها.كأن تتحدث عن أصل الكون والعالم الغيبي وكافة الظواهر الطبيعية.

أغراض وعظية: تعتمد الميثولوجيا في هذا المجال على نشر القيم الخيرية ومحاربة الشر والمحافظة على القيم الطيبة والتآلف والتعاون والتآزر، كما أنها أداة لترسيخ الصلة بين الخالق والمخلوق.

أغراض ملحمية: تعمل بالميثولوجيا في هذا الجانب على التأريخ للأبطال وتخليد سيرهم، هؤلاء الذين كان لهم الأثر الكبير في تاريخ الشعوب والأمم.

ثانيا: الواقع التاريخي للأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري

1/ المدارس الحديثة لتفسير الأسطورة:

شغل مفهوم الأسطورة ، منذ القدم عقل الباحثين والدارسين من علماء الإجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيين عن ماهية الأسطورة وكيفية تبنيها ، إلى أن تشكلت مدارس حديثة، وظهرت من خلالها نظريات لتفسير الأسطورة ، وكل واحدة منها قدمت ما يثبت جدارتها في تحديد مفهوم لها أو على الأقل يقترب من ذلك.

ومن هذه المدارس الحديثة ، هناك **المدرسة التاريخية** ذات إتجاهين ، الإتجاه الحرفي ، والإتجاه الرمزي ، ثم **المدرسة الميثولوجية** تزعمتها نظرية ماكس مولر[133]، ثم **المدرسة النفسية** ، تقودها نظرية فرويد ونظرية يونغ[134] ،حيث يمثل الدين أحد الخلافات الرئيسية بين الرجلين " فرويد ويونغ "، ففي كتابه" مستقبل وهم " يعتبر فرويد الممارسات الدينية من الطقوس الهجاسية وتمثل " المسألة الدينية " بالنسبة إليه " عصابا جماعيا " وعلى العكس من ذلك فإن " يونغ " يعتبر أن العصاب قد يكون نتاج فقدان

[133] ولد في 06 ديسمبر 1823م، مستشرق ألماني، ألماني المولد، عالم لغوي، صنف الأساطير وفقا للغرض الذي هدفت إليه، درس الأديان دراسة مقارنة ، من خلالها أسهم في مجالات الدين واللغة وعلم الأساطير، توفي في 28 أكتوبر 1900م.

[134] هو كارل غوستاف يونغ من مواليد 26 جوان 1875م ، بسويسرا، كان شديد الإهتمام بالعقائد الدينية المختلفة والحضارات الانسانية ، درس الروحانيات والطواهر الخارقة للطبيعة.

الإيمان[135] ، **ثم المدرسة الأنثروبولوجية** وتشمل ثلاث إتجاهات ، الأول هو الإتجاه التطوري ، تظهر فيه نظرية تايلر، ونظرية جيمس فريزر، يله الإتجاه الوظيفي ، بنظرية مالينوفسكي ،وأخيرا الإتجاه البنائي ، تمثله نظرية كلود ليفي سترلوس[136].

2/ مصادر الأسطورة والخرافة في الجزائر وطرق إنتقالهما:

الأساطير، قسمان، الأسطورة الأصلية والأسطورة المهاجرة أو الوافدة أو المتجولة.

الأسطورة والخرافة ليست حديثة العهد كما سبق وأن ذكرنا، بل تعود إلى أزمنة بعيدة غابرة، وقد تغلغلت في الحضارات القديمة، وأصبحت حتى هذه الأخيرة منتجة لها،ومن تلك الحضارات التي عرفت زخما أسطوريا وخرافيا كبيرا، هناك حضارة بلاد الرافدين، والحضارة الفرعونية والحضارة اليونانية، والحضارة الإسلامية وبذلك أصبح كل عصر أو كل حضارة تتميز بأساطيرها وخرافاتها، فمنها ما هو أصيل ، محلي ، ومنها ما هو وافد أو أساطير مهاجرة متنقلة، متجولة، تغلغلت داخل الشعوب، وتكيفت مع النسيج البيئي والإجتماعي، وآمن بها الأهالي.

عرفت الأساطير المهاجرة، كما يطلق عليها، عدة طرق ووسائل في تنقلها من بيئتها الأصلية إلى بقية بقاع العالم ومنها الجزائر، فكان الفتح الإسلامي شرقا وغربا وشمالا

---

[135] محمد مصطفوي، **الدين والأسطورة**:دراسة مقارنة في الفكر الغربي والإسلامي،ط1،الانتشار العربي،2014م،ص 64

[136] مصطفى أوشاطر،**الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري**، أطروحة دكتوراه، اشراف أ.د عكاشة شايف ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002-2003 ، ص-ص 65-115.

وجنوبا أهم آلية في توزيع الأساطير لأن صاحب الفاتحين، رواة أكفاء ، تمكنوا من ترسيخ الأسطورة في أذهان السكان ، ومع تواتر ذكرها ، من شخص لآخر، فقدت مصداقيتها وصدقيتها لضعف روايتها في نقلها والحفاظ على الأمانة العلمية، وجانبت الحقيقة وأحيانا الرسالة التي قدمت من أجلها. كما كان لهجرة بني هلال الأثر الكبير في نقل الأسطورة من المشرق العربي إلى المغرب العربي ، ضف إلى ذلك كتب القصص التي كانت تروى فيها الخرافات والأساطير وعلى سبيل المثال كتاب ألف ليلة وليلة ، وكتاب كليلة ودمنة ، كما كان للرحالة العرب والمستشرقين دور هام جدا، لأن تواصلهم كان مباشرفكان لهذة الطريقة أثرها الكبير في نفوس الأهالي.

كانت الأسطورة والخرافة في الجزائر خلال العهد العثماني أبرز سيمة تميز بها المجتمع، فهي الأكثر وضوحا وبروزا، وهي الطبق الذي كان يتداول يوميا، وخاصة خلال الأمسيات، قد تجدها تنتشر داخل البيوت الأسرية حيث كان أفراد العائلة كبيرا، أو في المناسبات مثل الأفراح والولائم والأعياد، أو عند اللقاءات، فهي وسيلة للتدريس ونقل الأخبار، وتوكيد الإرتباط بين أفراد الأسرة، فهي وسيلة التواصل الأساسية. تنتقل هذه الخرافات والأساطير من الكبار إلى الصغار، ومن الرواة بالأسواق إلى العامة من الناس.

كانت الأسطورة والخرافة ، رائجة خلال العهد العثماني، حينها عرفت وامتازت العلاقات الإجتماعية بالقوة وشدة الإحتكاك .كونها تحمل أهداف تربوية تعليمية تعلمية ، واتصالية ، ووعظية ،وملحمية، والمتعة والضحك أحيانا، والآلام والإنفعال تارة

أخرى.تمتاز الخرافة الجزائرية بالمزج بين ما هو دنيوي وبين ما هو مقدس وبين الهزل والجد أي التوازن بين الديني والدنيوي[137].

والجدير بالملاحظة، أن هناك رواة يتفننون في سرد الرواية أو القصة أو الحكاية، ويدخلون عليها بعض التلقيحات والتحسينات حسب الموقف والموقع الذي يقدمون فيها رواياتهم ، وحتى يتمكنوا من جلب انتباه المتتبعين محترمين مبدأ الحفاظ على الأمانة في أداء التراث الشعبي ولونسبيا وهؤلاء هم المحترفون وصناعتهم هي نقل الخرافات والأساطير، وأما بقية الفئات التي تسرد هذا النوع قد تجدها تغير من أصل الخرافة أو الأسطورة دون اللجوء إلى الرونقة والإتقان ولكن في نهاية الأمر الطرفان يؤديان نفس الغرض.

وأما الملاحظة الثانية التي يجب أن نشير إليها وهي إحتراف الخرافة والأسطورة حيث كانت مقتصرة على الرجال وبنسبة عالية جدا، أما دور المرأة فكان محدودا .

من خلال تلك الخرافات والأساطير، نلمس أن الرواة بكل أصنافهم تكمن وظيفتهم في دعم المعتقدات ، والقيم الإجتماعية الموروثة ، والعادات ، والتقاليد ، وفي محافظته على استقرار النمط الحضاري.

بهذا ، يمثل القصص الشعبي أحد أشكال التعبير الأكثر بروزا في ثقافة المجتمع الجزائري، فهو يروى في التجمعات الشعبية ، في البيت والحي ، والسوق والمقهى

[137] http://www.daawa.info/affdetail.asp?codelangue=6&info=1020

والدكان ومقام الولي وميدان العمل والمسجد...الخ،وينتقل بين الفئات من الكبير إلى الصغير، ومن الجد والجدة ومن الأم والأب ومن الأبناء الكبار وزوجاتهم إلى الصغار في نطاق الأسرة، ومن الراوي الشيخ إلى الراوي الطالب بين الرواة المحترفين . وينتقل بين فئات العمر المختلفة التي يتقارب أعضاؤها في العمر مثلما يقع في تجمعات سكان الحي عندما يجتمع الأطفال والشباب والشيوخ في مجتمعات تظم كل واحد فئة من هذه الفئات. وكذلك في تجمع العمل التطوعي عندما يلتقي الشباب والكبار، كما ينتقل من البادية إلى الحضر عن طريق أنصافا الرحل والذين يتحولون فيما بعد إلى مقيمين في الحضر، يحتفظون بشيء من تراثهم القصصي ، ينقلونه إلى مجتمعهم الجديد ويظلون يرددونه لفترة طويلة وهو أيضا ينتقل من فئات المتعلمين ورجال الدين وأعضاء الطرق الصوفية، وتلاميذ الكتاتيب والزوايا إلى سائر الناس عن طريق أفراد من هذه الفئات يشاركون في التجمعات الشعبية المختلفة[138].

وقد ارتبطت الأسطورة والخرافة ، في الممارسات الميدانية ، **أحيانا بالمناسبات الدينية والإجتماعية ، وفي أحيان أخرى بالحياة اليومية** ، وعلى هذا الأساس نصنفها إلى صنفين متميزين هما:

[138] عبد الحميد بورايو،**البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 5.

3/ الأسطورة والخرافة المرتبطة بالمناسبات الدينية والإجتماعية:

/ العادات والتقاليد والأعياد:

***- في الشرق الجزائري:**

عادات وتقاليد وطقوس وخرافات وأساطير تميّزت بها منطقة الأوراس.

ظاهرة إسقاط الجنين عند المطلقات، ظاهرة شائعة وأنَّ الأوراسيات معرضات لأمراض الولادة، وأما عن صعوبة الولادة فتلجأ القابلات إلى غرض شرب الزيت أو أكل الزبدة وشم الفلفل الأحمر الذي يساعد على العطس وهذا حتى تدفع الوالدة إلى التقيؤ، وبعد أن تتم الولادة، نجد الفرحة تعم الجميع وتتبعها الطقوس مثل إطلاق البارود، ذبح شاه خلال الأيام السبع من الولادة، أمَّا الفقراء فيذبحون عنزة، أمَّا الأب فدوره توفير كبد الثعلب باعتناء هذا الأخير يملك سبعة كبد، بجانب تميّزه بالخفة والرشاقة والفطنة والذكاء، لهذا يضع جزء من هذا الكبد والزيت تحت لسان الصبي أو المولود الجديد .

أمَّـا اسم هذا المولود، فيمنحه الطالب- للدشرة.

يقول الكاتب إنَّ الإنسان عندما يأتي إلى الحياة يكون ناقصا وأن عملية الختان وإن لم تذكر في القرآن الكريم ، فهي التي تمثل كماله كإنسان[139].

[139] Edmond Destaing,**Fetes et coutumes saisonnieres chez les BENI SNOUS**,R.A,, V : 50,1906, P-P244-260.

لا يتعدى سن الصبي السنتين حتى يقوم والديه بختانه، بعد أن تتم العملية وفي غالبها بنجاح، تبدأ الطقوس وتوزع الأدوار عند النساء والرجال من رقص وأغاني ومأكولات وغيرها .

الأوراسيون لا يخشون الموت، لأنَّـهم يعلمون إذا أرادوا الجنة فعليهم بالشهادتين، لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن معتقداتهم أنَّ زوجة الميت هي التي تقوم بغلق أعين زوجها وفي حالة عدم تمكنها فهذه إشارة على أن أمر غير مفرح سيحدث، ويتم نقل الميت إلى المقبرة إن كانت قريبة في تلبيس وإن كانت بعيدة على سلم على ظهر بغال أما الأصحاء فيسيرون على أرجلهم وبعد عملية الدفن تبدأ مرحلة الحزن.

وأهمّ الأعياد:

عيد رأس السنة أو ما يعرف بعيد النايرأو الينار، وخلاله يقومون بتنظيف كل ما هو قابل للاستعمال، إضافة إلى الرقص والأغاني، والشاوية يأكلون خلال هذه المناسبة سبعة أطباق مختلفة .

عيد الأنصلة ، يكون يوم 06 جويلية حيث لا يشربون اللبن ولا يأكلون الزبدة، فقط الجبن، ولا ينامون النهار، ولا يسمحون لقطيعهم بشرب الماء، ويرمون التراب على أشجار التين ليساعدونها على التلقيح[140].

[140] Edmond Destaing,**Fetes et coutumes saisonnieres chez les BENI SNOUS**,R.A,, V : 50,1906, P-P244-260.

هذه هي الأعياد الخاصة بهم، أمَّـا الأعياد التي يشاركون فيها كافة المسلمين فهي : ليلة رجب، نصف شعبان، ليلة رمضان، العيد الصغير، العيد الكبير"الأضحى" ليلة عاشوراء والمولود النبوي الشريف، وأبرز أعيادهم هي ليلة الخريف أي بداية الخريف التي تكون في منتصف شهر أوت "ليلة الربيع منتصف فبراير" ، ليلة ابريل "ابريل" نهاية شهر أفريل.

يرى الكاتب عدَّة طقوس كانت تتبع كي تتساقط الأمطارمنها:

الزردة عند قبر المرابط سيدي يحي.

رمي الدراويش في المياه .

صنع دمى ونقلها إلى المنازل مع الدعاء التالي: ربنا عطشنا، أعطينا ماء

يزور الأهالي كافة أضرحة الأولياء المدفونة في زاوية الحمرة، سيدي منصور، عين العصفور، ثنية العابد، سيدي يحي وخاصة الأضرحة بمنطقة تاغيت التي بها رماد جثة سيدي بلخير، وتكون هذه الزيارات خاصة ليلة الخميس حوالي 25 أوت .

سكان شمال الأوراس يجتمعون في زاوية سيدي يحيا بدوار القصور وسكان الجنوب يجتمعون عند هضبة أولاد عبدي.

كما يؤمن الأوراسيون بأنَّ الله عزّ وجل قد جعل عند كل شخص ملك يقوده للخير، وسمح للشيطان أن يقوده للشر، ولمحاربة هذا الأخير كان ذكرهم "بسم الله الرحمن الرحيم"، فالرجال يزورون الأضرحة ويقدمون القرابين، وأما النساء فيحملون مجوهرات "الخامسة" والتمائم لهم ولقطيعهم إلى غير ذلك من الطقوس وهذا ما يؤكد الإزدواجية في

التعامل مع الدين والأسطورة فتضحى الميثولوجيا أو الأساطير تتغلغل في المجتمع دون محاولة التمييز بين ما هو قدسي وما هو دنيوي.

ومن الأشياء التي يتطيرون منها في الصباح ، الغراب أو حيوان أبيض أو أرنب هاربة أو قط ، يتشاءمون ويرون ذلك إشارة لوفاة صاحبها.

وعند سماعهم لضفدع يقولون لا إله إلا الله، كما أنهم لا يقتلون اللقلاق والبوبشير أو كما تعرف بحشرة اليعسوب ، كما يتشاءمون من بعض الأشخاص وغير ذلك .

- في الجنوب الجزائري:

وفي إطار دراسات العادات، الموضوع التالي تحت عنوان * الاستقطاب الديني والاجتماعي والسحري[141] يقدم فيه عرضا عن تقاليد اعتاد عليها سكان شمال إفريقيا عامة وسكان منطقة الهقار خاصة، ومنها استعمال اليد اليمنى واليسرى ، والمعتقدات المرسومة وراءها:

استعمال الطرف الأيمن:

- أحيانا يلبس الرجل خصلة شعر على رأسه ، بها ذيلين : أحدهما على اليمين وآخر على اليسار، وفي غالب الأحيان تكون بذيل واحد، ومن الجهة اليمنى فقط.

[141]- Herber.j **;La polarite religieuse sociale et magique dans l'afrique du nord** ,T: 82 , 1938 ,p-p 158-176.

- الرجال يلبسون دوما خلاخل أحدهم في اليمين وآخر في اليسار، وإذا كان خلخال واحد فيكون في الجهة اليمنى[142].

- الرجال لا يلبسون شنف الأذنين، وإذا ما لبسوا فيكون في الأذن اليمنى.

- غسل ومسح اليد اليمنى ، دائما قبل اليسرى.

- نأكل باليد اليمنى، ونشرب رافعين الماعون باليدين ونكون جالسين.

- شنف الثور يكون بين المنخرين.

- الرجال لا يلبسون الخواتم، وإذا لبسوها فتكون في اليد اليسرى

- الركوب على ظهر الإبل ، يكون من الجهة اليسرى

- يحمل السيف في الجهة اليسرى.

- يحمل السكين في الجهة اليسرى.

لا فرق بين الجهة اليمنى واليسرى في الحالات التالية:

لا توجد جهة أفضل من جهة ، أو مكان شرفي عند السير أو الجلوس ، أو الأكل.

- النساء تلبسن كثير من الذهب ، سواء في الجهة اليمنى أو اليسرى ، ولا فرق بينهما ، وحتى تسريحة الشعر قد تكون على اليمين أو اليسار.

- الرجال والنساء مسلمون ، لكن إيمانهم ضعيف، يصلون ولا يعرفون الصلاة. في نظرهم أنَّ من واجبهم إتباع ما يقوم به المسلمون فقط.

- النوم قد يكون على اليمين وقد يكون على اليسار، وقد يكون على الظهر أو البطن[143].

[142]- **Ibid** ,p-p 158-176.

- لا توجد إشارات اجتماعية تميز بين الطبقات.

- فتح المؤلفات ، أو بداية السير باليمنى أو باليسرى ، ليس لها أية معنى.

من هذه الأمثلة ، ومن غيرها يريد الكاتب أن يوضح أنَّ توارق الهقار متمسكون بجذورهم البربرية أكثر من تمسكهم بدينهم الإسلامي[144].

هذا عن سكان الهقار، أمَّـا عن سكان شمال إفريقية، وخاصة العرب فيقول أنَّ هؤلاء يؤمنون بوظيفة الطرفين، لكن وبسبب ديني وتربوي ، يكون الطرف الأيمن هو الأفضل[145].

- في مناطق مختلفة من الوطن يؤمن الكثير بعدد من الأولياء يعتقدون أن لهم أكثر من قبر ، فأطلق على جماعة منهم لقب " بوقبرين " فكيف يكون للشخص نفسه أكثر من قبر في عدة أمكنة ، والدليل على ما يدعى أنه قبر خالد بن سنان العبسي في منطقة سيدي خالد بولاية بسكرة ، ويؤمن كل سكان المنطقة بذلك ولا أحد يجرؤ على مجادلتهم، مع العلم أنه توفي في أراضي عبس بنجد في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بسنوات.

ومن جانب آخر يؤمن بعض العجائز إلى اليوم أن الأرض موجودة على قرن ثور وإن نقلها إلى القرن الآخر تحدث الزلازل[146] .

---

[143]- Herber.j **;op.cit,** p-p 158-176.

[144]- Herber.j,**op.cit**,p-p 158-161.

[145] -Ibid,p163.

[146] حسناء سعيدة، **التداخلات اللغوية في الأساطير وتأثيرها على ترجمة المصطلح واستخداماته**، مجلة العربية، ع: 2 مج: 6، 2019، ص، ص 106،107.

ديوان سيدي بلال:

في عرضه للموضوع[147]، يتحدث عن وصول السود إلى المغرب الأقصى ثم إلى تونس ومنه إلى الجزائر، حيث يقول أن عددهم قد بلغ في مدينة الجزائر سنة 1830م حوالي 2000 شخص من بين الساكنة المقدرة بـــ 30000 نسمة.

ويقول أن الأتراك ، كانوا قد قسموا البرانية أي الخارجين إلى أربعة مجموعات هم بني مزاب ، البسكريين ، والأغواطيين ، ثم السود ، هذه الفئة الأخيرة كانت تمتهن البناء وجزارين والغناء ، ونساؤهم عاملات بالحمامات. كما كان البعض منهم في الجيش التركي ، مسخرين للأعمال الشاقة والخطيرة.

تحت عنوان اللغة الرمزية عند المغنين العرب، يقول (أ.جـــولي[148]): إنَّ تعاطي القوالة والمداحة مع الأهالي، يتميّز بحوار غنائي مليء بالألغاز، حديث خاص وفريد، هذا ما يجعل الغريب عنهم لا يفهم المقصود من هذه الأغاني.

إنَّ الكلمات المستعملة هي غير الكلمات المستعملة في الحوارات والمناقشات خلال الأيام العادية، وإذا استعملت كلمات عادية فمعناها يختلف في هذه الظروف أو الحلقات الشعبية.

خلاصة القول: إنَّ غناء القوالة والمداحة لضواحي مدينة الجزائر والكلمات المستعملة ، هي من أصل عربي ، وتكمن أهميته في الكلمات المستعملة والوزن المعطى لها ، ضف

---

[147]- دريمانغم إميل،**زوايا السود بالجزائر:ديوان سيدي بلال**، المجلة الإفريقية، مج:97، 1953م، ص- ص 314-367

[148] ألكسندر جولي ، معاون في المجلة الإفريقية، ولد بمدينة (مونتراس سو بوا الفرنسية) يوم 30 أفريل 1870م ، وتوفي بمدينة قسنطينة يوم 27 فبراير 1913م ، أستاذ في مدينة قسنطينة ابتداء من 1907 ثم مدينة الجزائر ، ومراسل لوزارة التديب العام أو الشعبي ، من أهم أعماله ، دراسة حول المناطق السهبية بالجزائر ومنطقة التيطري ، ودراسات أخرى حول هضبة بني سليمان ، له الكثير من الأعمال التاريخية والسوسيولوجية واللغوية نشرها في المجلة الإفريقية.

إلى ذلك أن أصحاب الطرق الصوفية كانوا قد أجازوا استعمال الموسيقى في الحضرة والإنشاد الذي ترافقه آلات وتصفيق وشطح ورقص، وهو ما استنكر له العلامة عبد الكريم الفكون، باعتباره يتنافى والشريعة الإسلامية ، وبالتالي يصنف ضمن البدع[149].

- في الغرب الجزائري:

حول عيد الناير (يناير) عند بني سنوس، يقول الكاتب (إدموند ديستينغ) : إنَّ المعلومات التي استقاها حول هذه المناسبة كانت من قبيلة بني سنوس ، التابعة لمغنية وما جاورها، محاولا بعد ذلك البحث عن جذورها التاريخية ، وربطها ببعض الأعياد بالمشرق العربي[150].

تختلف مدّة هذه الاحتفالات بهذه المناسبة ، إلاَّ أنَّـها لا تقل عن ثلاثة أيام في كافة المناطق التي تحييها.

- اليوم الأول يدعى، يوم نفقة اللحم.

- اليوم الثاني يدعى يوم نفقة الكرموس.

- اليوم الثالث يدعى رأس العام.

ويكون هذا الأخير في غالب الأحيان اليوم 13 من السنة المسيحية.

خلال هذه الاحتفالات، لا يأكل السكان سوى الطعام البارد ، ويمكن أن نميّـز ونقسم مرحلة الناير إلـى:

---

[149] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**: 1500-1830،ج2،ط1،دار الغرب الإسلامي، 1998م،ص 437 .

[150]- إدموند ديستينغ ، **الينـاير عند بني ينوس**،المجلة الإفريقية،مج: 49، 1905،ص- ص 51-70 .

* مرحلة ما قبل الناير، حيث يتم فيها التحضير ، والكيفية التي تتم فيها

* مرحلة الناير والاحتفالات

كما يمكن أن نميز ما بين الأعمال التي يقوم بها الرجال وأعمال المنوطة بالنساء ، ومهام الأطفال، ونلاحظ أنَّ كل فئة تختص في عمل مغاير لعمل الفئات الأخرى ، وفي النهاية هو تكامل تام وشامل لهذه المناسبة التي ينتظرونها كل سنة.

نلمس أيضا ، المعتقدات والطقوس والتقاليد والهدف المرجو من هذه المناسبة ، نلاحظ ونشاهد أيضا حسب ما جاء في المقال ، وجود تباين واختلاف في طرق إحياء المناسبة والأمثلة المقدمة ،كانت حول تلمسان وسعيدة ونواحي معسكر ومنطقة القبائل.

على سبيل المثال ، في معسكر، يقومون بدعوة الرجل البارز ،ذو المكانة المرموقة والجاه لإحدى مداشر تلمسان، ويقيم السكان في خيم ، وفي غالب الأحيان في خيمة رجل ضاعت منه ثروته مع الإلحاح والتأكيد على ضرورة حضور الجميع.

فبالرغم من الاختلاف في بعض المأكولات أو الأغاني التي تقال بهذه المناسبة بين المناطق المذكورة، إلاَّ أنَّ البركوكس والشرشم يوحدان المناسبة.

كل الشرشم لا تتحشم *** رب عالم ما دسنا شى

أمَّـا في سعيدة يقوم رجال كبار السن ويطرقون الأبواب مهنئين السكان بالعبارات التالية : عام مبروك ، الله يدخله عليكم بالمحبة والرحمة.

أمَّـا القول المشهور في تلمسان وندرومة خلال اليوم الثاني:

من ياكل رأس بناير يبقى راس

من الأقوال أيضا ، التي يقولوها طلبة الزوايا أمام أبواب المنازل:

هدا الدار دار الله *** والطلبة عبيد الله

عمرها وثمرها *** بجاهك يا رسول الله

أما إذا لم يحصلوا على شيء من صاحب الدار، فيقولون:

المسمار في اللوح ** مول الدار مذبوح ** شبرية معلقة ** مولاة الدار مطلقة[151]

أمَّا المقال الثاني[152] الذي كتبه نفس الكاتب وهو * إدمون ديستينغ* فكان حول الأعياد والتقاليد الموسمية عند بني سنوس، وهي المناسبات التالية ، الحسوم ، النطح ، أيام نيسان ،العنصرة.

فأما المناسبة الأول، أو ما يعرف بالأيام السبع، حيث يحتفل بني سنوس حسب التقاليد. تبدأ هذه الأيام يوم 08 مارس وتنتهي يوم 16 مارس، وخلالها تهب رياح شديدة وباردة جدا.

اليوم الأول يدعى:صــن، والثاني: صنبر،(جمع الكلمتين معناها البرد)،الثالث يدعى برد، الرابع: أمر، الخامس مؤتمر، السادس معلل، السابع مطفي الجمر.

وتدعى هذه الليالي، أحيانا بـ: ليالي السودان لأنها أكثر برودة من ليالي السودان.

ومن المعتقدات في تلمسان، أنهم يقولون: إنَّ في _ السابعة يتحل بيبان السماء للماء

[151] ادموند ديستينغ، **عيد يناير عند بني سنوس،المرجع السابق**،المجلد 49،ص ص 51-56

[152] ادموند ديستينغ، **إحتفالات وتقاليد موسمية عند بني سنوس**،المجلة الإفريقية،المج: 50، 1906،ص-ص 51-70، ج2، المجلد 50، سنة 1906، ص ص 362-385

وتدعى أيضا هذه الليالي بـــ: ليالي الراعي، لأنَّ الراعي لا يستطيع إخراج قطيعه بسبب البرودة الشديدة، فيركن للراحة، خاصة عند سكان عمي موسى.

أمَّا عن الطقوس التي سجلها الكاتب خلال – الحسوم – عدم سقي وري أشجار التمور في فقيق.

- أمَّـا في تلمسان وندرومة تدعى هذه الليالي بـــ: الليالي الكحل *السود* ليالي الحزن.

أصبحت هذه * الحسوم * تشكل هلعا وخوفا كبيرين في نفوس السكان ، لذلك قبيل وصولها يقومون بتقديم الخبز والكرموس * التين* والطعام كصدقة تقربا وتجنبا لأثارها السلبية، وحتى تكون لطيفة غير مضرة وغير مهلكة.

- وتدعى بأيام العجوز، حسب الأسطورة، أنَّ عجوزا هربت وفرت من الرّياح الشديدة والباردة، واختبأت في نفق جبل، إلاَّ أنها لم تنجو من الموت.

- وتدعى أيضا بأيام * سبعة رجال * حيث تذكر الروايات والقصص الشفوية أنَّ سبعة إخوة خرجوا للصيد، فلم يرجع منهم أحدا، لأنَّ العاصفة الثلجية قضت عليهم خلال هذه الأيام[153].

ومن الطقوس أيضا، أنه بعد اليوم السابع، وصول بعض الطيور والحيوانات مثل السنونو أو الخطاف و اللقالق والنسور، فهي مبشر لإنهاء المرحلة الصعبة.

[153] ادموند ديستينغ، **إحتفالات وتقاليد موسمية عند بني سنوس،المجلة الإفريقية**،المجلد 50،عام 1906،ص ص 51-70،ج2، المجلد 50، سنة 1906، ص ص 362-385

و أما المناسبة الثانية ، تأتي مباشرة بعد الأولى ، حيث تبدأ يوم 04 أفريل وتنتهي يوم 16 أفريل، فحسب سكان تلمسان فقد سمي بذلك لأن الرياح خلال هذه الفترة تهب من الاتجاهات، وتتناطح مثل الكباش، وتسمى هذه الأيام أيضا بالأيام التي ترتجف فيها الخنازير بسبب البرودة ، ولن يخرج من مخبئه إلا بعد مرور هذه الفترة[154].

بعض ليالي النطح تدعى بالليالي البيضاء بسبب البرد

- يقول التلمسانيون: في النطح يبرد محروم اللحم.

أمَّا الطقوس فنوجزها فيما يلي من أقوال وأفعال:

* ما تخلى شي الكلب ينبح ولا العتروس يصيح

* النساء العاقرات يجمعن الحشائش ويطبخنها في الماء، ويأكلنها، وبعد هضم سبعة ملعقات تقلن:

يا النطح بو النطوح جيتك نطلب على سبة الذرية إلا الله حب (ندرومة).

النساء تتوسلن النباتات الشوكية ، فتأتين بسبعة شطوط من الحريق ، وتقلن: يا حريق، أنا جيتك قلبي ضيق، إلا ما تجيب زوجي لو كان يكون في سبعة طرايق، الا راه نعسان فيقه وجيبه قلبه ضيق، والا محبوس اخطفه كما خطفت الموت الخلايق.

وهناك عادات وطقوس أخرى وكثيرة مذكورة في الصفحة 253.

[154] ادموند ديستينغ، **احتفالات وتقاليد موسمية عند بني سنوس،المجلة الإفريقية**،المجلد 50،عام 1906،ص ص 51-70،ج2، المجلد 50، 1906، ص-ص 362-385

وأما المناسبة الاحتفالية الثالثة ، بغرض استقبال أيام نيسان التي تبدأ يوم 27 أفريل لتنتهي يوم 03 ماي ، وتمتاز هذه المدة بتساقط الأمطار، فيقول عنها ، أنها أيام مباركة. فإذا كانت أيام الحسوم تجسد غضب الله ، فأيام نيسان تجسد رضاه وبركته.

ويقال عنها ، إنَّها سبعة أيام مباركة ، أيام رحمة وبركة ، كما كانت أيام الحسوم أيام عذاب ونقمة.

ومن الأقوال المشهورة عند التلمسانيين : الا طاحت نوه النيسان يخرج العام بلا نقصان ومن التقاليد المتعارف عليها، أن عند تساقط الأمطار، يخرج الرجال والنساء والأطفال والبنات عاريات الرؤوس، وفي اعتقادهم أن هذه الأمطار تشفيهم من أمراض الرأس، وتساعد في نمو شعر البنات والنساء (هذا عند سكان تلمسان، ندرومة، وهران، مستغانم ومغنية).وإذا تأخر نزول المطر عند بداية نيسان، يتجمع السكان والطلبة بأرجل حفياء ورؤوس عارية عند أضرحة المرابطين ، طالبين المطر، أو يقومون بفصل الماشية عن ابنتها، أو رمي أحد الصالحين الشرفاء في الوادي، أو ذبح عجل أسود أو شاة سوداء، دواجن سوداء بالقرب من الأضرحة[155].

وأما في عمي موسى، فتعلق الضفادع في جذع شجرة، حتى يستجيب الله وتمطر السماء، إلى غير ذلك من الطرق التي استعملت، تقربا إلى الله.

أمَّـا عند سقوط الأمطار فتمارس طقوس كثيرة ومنها:

[155] إدموند ديستينغ، **احتفالات وتقاليد موسمية عند بني سنوس،مرجع سابق** ،مج:49،ص ص 362-385

- غسل اللوح المستعمل لكتابة القرآن الكريم، حتى تطرح بركة الله وتسهل الدراسة على الطالب.

- معلم المدرسة القرآنية ،يدعو تلامذته بجمع ماء نيسان، ليستعمل في كتابة التمائم للمرضى.

- تعالج بمياه نيسان عدَّة أمراض منها:

* التأخر في الفهم (في معسكر وندرومة)

* ثقل اللسان بإذن الله

* حمى الأمعاء

* المرأة غير الولودة (عاقر) (في تلمسان ومغنية)

* يشربه الرجال قبل الخروج إلى الحرب (في وهران وتلمسان وندرومة)

* غسل ثياب الصبي بهذه المياه يجعله حامل للخير والسعادة

* علاج مرض الأسنان

* علاج عضة الثعبان.

وأما المناسبة الاحتفالية الرابعة، وتسمى بالعنصرة، بدايتها يوم 24 أو 26 جوان، فهي مناسبة مسيحية حسب المؤلفين العرب، وتدعى أيضا مهرجان ويعتقدون أنه عيد ميلاد يحي بن زكرياء ، والبعض يقول يوم مولد عيسى عليه السلام[156].

[156] ديستينغ، **عيد يناير عند بني سنوس**،المجلة الإفريقية،المج: 49،المرجع السابق،ص ص 51-56

خلال هذا اليوم تحرق الأعشاب، وكل منطقة لها خصوصيتها في نوعية الأعشاب التي تحرقها، ثم يرمى عليها الماء، والغرض من ذلك محاربة الشياطين من داخل اتلبيت، كما توضع هذه الأعشاب المحترقة في البساتين وفي وسط الإسطبلات ن يعتقد أنها تساهم في تلقيح الأزهار والأشجار، وتحمي الماشية من الأمراض. وللعلم أن مدة العنصرة، هي يوم واحد.

ثالثا: الأسطورة والخرافة المرتبطة بالحياة اليومية:

كثيرة هي ومتعددة، لم يتخلص منها لا أمي ولا مثقف، بسبب تجدرها في المجتمع، وتمثل رواسب عميقة استلهمها الفرد والمجتمع من تاريخه الطويل، فمنها ما هي جهوية الإنتشار، ومنها ما هي وطنية منتشرة في كل ربوع الوطن متشابهة في النوايا.وعلى هذا الأساس لا يمكن توثيقها جميعا ، بل سنكتفي ببعض العينات ومنها:

1- نماذج وأشكال:

رفـع المقـص إلى الأعلى وكأنك تقص شيئا،هو من الأمور المستهجنة والغير مقبولة، ويتشاءم منها من يرى هذا الفعل، لأنه في التقاليد يرمز إلى أمر غير مرغوب فيه ألا وهو التنبأ إلى حدوث نزاع عائلي لا يحمد عقباه، ومادام أن الحادثة تكررت، فأصبحت الحادثة من المسلمات ، يقين بها كل انسان،بالرغم من أن المجتمع الجزائري مجتمع مسلم، وأن الغيب عند الله، والقضاء والقدر بيده .

سقـوط الفراش المرتب فوق بعضه، يبشر بأن ضيوفا قاديمين ، وهؤلاء الضيوف ليسوا من النوع الذين يتوافدون يوميا أو أسبوعيا ، بل هم ضيوف من مناطق بعيدة ، لا بد من استقبالهم حسن الإستقبال وتكريمهم.

حـك الأنـف، يدل على أن العائلة سوف تتناول كمية معتبرة من اللحوم ، وأنها تجهل مصدرها ، الأهم في ذلك اللحوم سوف تدخل البيت سيأكلها أهل البيت أو بمرافقة ضيوف.

حـك الكـف ، يستبشر خيرا كل من تعرض إلى دغدغة في اليد الكف الأيمن وقام بحكه بأصابع اليد اليسرى ، وذلك بإمكانية حصوله على رزق في الأيام المقبلة ، وعكس ذلك إذا أحس بدغدغة في اليد اليسرى وقام بحكها باليد اليمنى ، وذلك يبشر بأنه قد يقوم بإنفاق من ماله أو تجهيزه.

معـدن الرصاص ، وتسخين الرصاص وصبه في إناء مملوء بالماء البارد ، يعتقد فيه بعد ظهور أشكال مختلفة ، هو نهاية مفعول السحر والعين ، ويقسر كل شكل حسب المعتقد.

حـدوة الحصان، تعلق وما زالت إلى يومنا هذا تعلق حذوة الحصان في مدخل المنزل، وهي كافية بهذه الطريقة من التصدي لمفعول العين الحاسدة.

الغراب والبومة والقط الأسود، يتشاءم العرب بصورة عامة من الغراب والبومة لأنها حسبهم مبشرللشؤم والحزن، وتنبأ بأخبار غير مرغوب فيها.

ظاهرة طرد الشياطين والجن من الأشخاص والبيوت والأماكن العامة، عسى أن يتخلصوا من الأمور الشريرة التي تواجدت مع تواجد الشياطين والجن، وقد انتشرت بصورة واسعة فاقت الخيال، وآمن بها الأميون الجهل وحتى المثقفون حين إستعصى عليهم العلاج عند الأطباء.

اللجوء إلى المشعوذين والكهنة للتنبأ بالمستقبل واستعمال الكف وقراءته، وقراءة الفنجان.

اللجوء إلى الأبراج،ومطالعتها كون العادة اثبتت أنها تقدم صحيح الأخبار والأنباء عن المستقبل.

الإعتقاد بالعين الحاسدة ، من بين الظواهر الأكثر إنشارا في الجزائر العثمانية ، فبمجرد أي إحساس عند الشخص ، يقول إني أصبت بعين حاسدة ، والحالة هذه قديمة جدا ، توارثها السكان أب عن جد ، ويعتقد السكان أن الحسد لا يتطلب أي وسائل لتحقيق الشر، فقط يكفي أن ينظر الحاسد بعينه المحسود ، يلحق الضرر بهذا الأخير.

وللقضاء عليه وإزالة آثار الحسد ، إعتاد الأهالي على الإعتماد على التمائم المتمثلة في جلد حيوان أو أنيابها أو معدن وخاصة النحاس ، أو كتابات يقوم بها الكاهن على أن تعلق بلباس المحسود ، هذا إذا كان الأمر يتعلق بالإنسان ، أما إذا كان الحسد والضرر مس الحيوانات أو حقل من الحقول ، أو رزق نفذ ، أو صحة تدهورت تدريجيا ، فالتمائم توضع أينما كان الضرر.

وما دامت كلمة العين يعني بها الحسد ، فطرق محاربتها ، نظرا لخطورتها قد تكون مادية مثل التمائم أو عن طريق نصائح مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم[157]:

- العين تدخل الجمل في القدر والرجل في القبر.

ومن الأقوال أيضا:

- استر رزقك يسترك

- خمسة وخموس في عين الحسود

- خمسة في عينيك

- الحسود لا يسود

- العين تذوب لجبال وتقتل الرجال

- عين الحسود فيها عود

يعتبر السحر من المعتقد الشعبي الراسخ في الخيال الشعبي الجزائري قبل العهد العثماني وأثنائه وبعده، فهو من جهة وسيلة للإنتقام وإلحاق الضرر بالغير، ومن جهة أخرى وسيلة للتطبيب كما كان منتشرا.

[157] مصطفى أوشاطر،**الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري**، أطروحة دكتوراه ،، اشراف أ.د عكاشة شايف ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2002 -2003م، ص 214.

كما ساد الاعتقاد أن رد ضرر السحر لا يكون إلا بالسحر ، وعلى هذا انتشر ظاهرة السحر لأضراره ومنافعه حسب رؤيتهم.إذا فالسحر هو سلاح ذو حدين ، لا يمكن التخلي عنه.ولا يمكن نكران هذه الظاهرة.

يقول الكاتب عبد الحميد بورايو:"ومن بين أشكال السحر التي يعرفها المجتمع في بسكرة الاعتقاد في سحر الكلمة التي قد تأخذ شكل صيغ تعبيرية محفوظة تردد عند الحاجة ، أو على شكل آيات قرآنية وحروف وكلمات وأسماء وأشكال هندسية ونظام للأعداد ، يكتب على أوراق تطوى وتعلق أو توضع تحت المخدة ، لتصبح أحجبة واقية أو مقاومة للسوء"[158].

ومن أساليب الوقاية من السحر، التعاويذ ، ومنها التعاويذ لإبعاد شر الثعابين والعقارب والحيوانات المفترسة[159].

إن تلك الأوهام ببساطتها ، هي عند الأهالي دستور مقدس، يحميهم من الأشرار، هي أفكار غيبية، يجهل مصدرها، ويجهل كيف تبعد الأشرار، المهم مزاولتها ما دامت نافعة. اعتمدت الصناعة بالدرجة الأولى على مادة الصوف، وهي من اختصاص النساء، وما يهم في هذه الدراسة، الطقوس والمعتقدات المرتبطة بهذه الصناعة.

- وضع الصوف في قفة العروس عند مغادرتها البيت الأبوي.

- وضع الصوف في الغربال، ليحمله الفلاح إلى مزرعته عند بداية الحرث

[158]- عبد الحميد بورايو،**القصص الشعبي في منطقة بسكرة**،وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر،2007،ص،ص 24،25

[159]- مصطفى أوشاطر،**المرجع السابق**،ص 218.

- في نظرهم، تحمل الصوف قوة كامنة.

- بعد غسل الصوف، لا يتم حملها أو نقلها إلا بعد خمسة أو سبعة أيام، تفاديا للخطر.

- الصوف في نظرهم، تنمو بعد غسلها، وتتحول عن طبيعتها.

- الصوف مصدر للرحمة.

- النسيج حقيقة، لكن الإبتكار هو بفعل الملائكة القائمة عليه.

وأما ابن خلدون فرأيه عن السحر فيقول:هي علوم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هي الطلسمات، ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع، لما فيها من الضرر ، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره، كانت كتبها كالمفقودة بين الناس[160] .

الوعـــدة ، تعتبر من التراث الشعبي الجزائري، كانت تقام في مواسم معينة، وهي راسخة في المخيال الجمعي، لجأ إليها الإنسان خلال الفترة العثمانية، بحثا عن الراحة والسعادة والطمأنينة وحماية نفسه وجلبا للمنافع، فهي في نظره دين أو المقابل الذي يجب تسديده لتحقيق رغباته التي لن تتحق إلا بعد تأديته وبنية خالصة لا ينتابها شك في الوصول إلى النتيجة المرجوة.هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تجسد ماضيهم وماضي أجدادهم.

[160] ابن خلدون،**المقدمــة**، المصدر السابق، ص 494.

وكلمة " وعدة " مشتقة من فعل " وعد " ومعناه إلتزام، وبمعنى آخر الفرد مجبر على تنفيذ هذا الوعد، وبالتالي فالأهالي مدعوون لحضور هذه المناسبة، التي حدد زمانها، وأما مكانها فهو بالقرب من ضريح الولي، ويجسد الموقف أو الوعدة أبهر صور التقارب والتراحم من حيث مساعدة الفقراء والمحتاجين وتحفوها بركة الولي الصالح، ومن صور الإعتقاد السائدة أنذاك بين الناس:

أن الأولياء الصالحين، إذا ما توفوا، فإن روحهم تلتحق بالنبي، وعلى إثر ذلك تبقى أضرحتهم مزارات ومنها يتم القيام بالأدعية لجلب الخير.

الذبح على عتبة الباب عند دخول الدار بعد بنائها أو شرائها أو النشرة وهي في لسان العوام ما يتخذ من ذبيح من الدجاج غالبا تقربا إلى الجن كي يعرفوا دائهم عن المصاب بهم ولا يذكرون اسم الله على الذبيحة إرضاء للجن[161].

- طقس الاستسقاء:

إن الطقوس المرتبطة بالاستسقاء متأصلة الجذور في ثنايا التاريخ الجزائري، فلقد عرفها المجتمع الجزائري قبل الفتح الإسلامي واستمرت بعده، وبقاياها لا زالت راسخة بالذاكرة الشعبية في بعض مناطق البلاد إلى يومنا هذا، ومن أمثلة ذلك طقس الاستسقاء الذي يمارس عندما تصاب المنطقة بالجفاف وتعرف باسم أنشودة " غنجة"[162].

[161] مبارك الميلي،**الشرك ومظاهره**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984،ص 237.

[162]مصطفى أوشاطر، **المرجع السابق**، ص- ص 162- 165

وغنجة هي تلك الدمية الكبيرة التي تصنعها نسوة الحي أو القرية بإتقان بحيث تكون في حجم امرأة متوسطة القامة، تزين كما كانت تزين تلك العروس التي كانت تزف للآلهة وتقدم قربانا لها في قديم الزمان.

بعد استكمال مرحلة التزيين على أيدي المتخصصات كما هو الشأن اليوم في التجميل واللباس، تسلم غنجة إلى امرأة صالحة يتوسم فيها الخير لما عرف عنها من عفة وطهارة وتقوى، ثم ينطلق الموكب الكرنفالي نساء وفتيات من خيمة لأخرى وغنجة تتمايل وفي ذلك إشارة إلى المعنى الذي ورد في لسان العرب، وسط أهازيج وإيقاع منسجم وهن يرددن مقطوعات منها:

غنجة أم الرجا اللي عند الله راه جا

غنجة حلت راسها يا رب بل راسها

وكل خيمة أو دار وقف عندها الموكب تقدم شيئا من الطعام على أن يجمع ما تم الحصول عليه عند خيمة المرأة التي كانت تحمل غنجة، ويصنع منه صدقة للفقراء والمساكين تقربا إلى الله لعله ينزل الغيث[163].

كما تنشد في بعض المناطق كمنطقة عين الصفراء على الشكل التالي:

غنجة حلت راسها يا رب بل أخراسها

غنجة طالبة الرجا يا رب اعطينا النو[164]

[163] مصطفى أوشاطر، **المرجع السابق** ، ص ص 162- 165

[164] النو: كلمة تعني في اللغة المحلية المطر.

غنجة طالبة الرجا يا رب حل السما

واعطينا الأمطار

يا الله النو النو يا الله النو الشارف[165]

يا الله نقدي لمغارف[166]

يا النو صبي[167] صبي حتى ايجي حمو خويا

وأيغطيني بالزربية.

ومن الأناشيد التي تردد عند شح المطر

المجموعة الأولى ..... المجموعة الثانية

النعجة عطشانة ..... بلها يا مولانا

المعزة عطشانة ..... بلها يا مولانا

الناقة عطشانة ..... بلها يا مولانا

الشجرة عطشانة ..... بلها يا مولانا

السبولة عطشانة ..... بلها يا مولانا

غنجة غنجة حلت راسها ..... يا رب بل أخراسها

غنجة طالبة الرجا..... يا رب اعطينا النو...

[165] الشارفة: يقصد بها المطر الشديد الغزارة.

[166] لمغارف: مفردها مغرفة، والمعنى هو أن نشعل المعالق بعد أن فقدت الأعشاب لانقطاع المطر.

[167] صبي: اهطلي

أما في منطقة تلمسان فكانت تنشد على النحو التالي:

جلجالة جلجالة باش اتعيش الهجالة

غنجة غنجة طالبة الرجا

يا رب تعطينا الشتا

أما في مدينة الجزائر[168] فتردد بعد إنقسام المجموعتين على النحو التالي:

المجموعة الأولى ..... **المجموعة الثانية**

السبولة عطشانة ..... حن علينا يا مولانا

السبولة في الكفن ..... حن علينا يا رحمان

الفول سقط ورقه ..... اسقيه يا اللي خلقه

وذكر من جهة أخرى أن ربات البيوت في منطقة القبائل يقدمن للمنشدين الزيت والخليع والفول، ويتم طبخ كل ذلك ويشترك الجميع في الأكل، كما ذكر أن ربة البيت في حمام بوحنيفية تخرج وفي يدها إناء ماء تفرغه على غنجة وعلى مجموعة الأفراد المنشدين مما يثير ضحك الجميع.

التبرك برجال الزوايا والطرق الصوفية ،إنجر عن التحول الصوفي، من التصوف العلمي الذي إمتازت به الجزائر خلال العصر الوسيط، إلى التصوف الشعبي مع مجيء العثمانيين، إلى إنتشار الشعوذة والخرافات والأساطير وبشكل واصع، فابتعد الأهالي عن روح الإسلام، وتحولت اهتماماتهم إلى المجالات الدنيوية، فأصبح المرابط محور الحياة.

[168] - بول مانجيون،**مائة نص بالعامية العربية الجزائرية**، مطبعة باكوني، الجزائر،د.ت، ص 52

ولم يكن بإمكان العثمانيون سوى العمل على استمالاتهم من منطلق تأثيراتهم في المجتمع من جهة ومن جهة ثانية، طبيعة تكوين الأتراك الديني والنفسي الذي يعود إلى الطرق الصوفية، فلا الأتراك ولا الأهالي نجوا من الولاء للمرابط، فكانوا يتبركون بهم وينظرون إليهم نظرة السيد لسيده، وأضرحتهم بعد وفاتهم أصبحت مزارات للناس، ايمانا منهم بتواصل كراماتهم بعد مماتهم.

- **تعليق اليد** المفتوحة(الخامسة) على أعناق الأطفال وعند مداخل المنازل

- **حمل التمائم** مخافة من العين والسحر والجن وسائر الأمراض.

2- الأساطير والخرافات عن الأشخاص والكرامات:

في هذا الإطار، لا تستطيع أن تقوم بإحصاء، وذكر، ورواية الأساطير والخرافات المرتبطة بالأشخاص بمختلف مراكزهم أو حالاتهم أو الوضعيات التي وجدوا فيها دون الرغبة إلى ذلك منهم، لأن الرواة يقدموا القصة دون ذكر سببها أو نتيجتها ، ونحن نحاول أن نأخذ النماذج التي انتشرت على المستوى الوطني وبشكل واسع ، فبمجرد ذكر الشخصية ، تجد المتقبل للمعلومة وكأن له معها ماض ، أي يعرفها أو يعرف شيء عنها.وعلى هذا الأساس سنكتفي بسرد ستة حالات كلها وردت في قاموس الأساطير الجزائرية الصادر عن المركز الأبحاث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،

اساطير تواترت خلال العهد العثماني ومازالت وستبقى لأنها في مخيلة الجزائري

أ- المرأة التي تسكن في القمر: هي أسطورة متداولة كثيرا، تتحدث عن إمرأة فاعلة للخير، لها ابن، وفي إحدى المرات كان يبكي دون أن تعطيه أمه أي اهتمام ، وعند توقفه

عن البكاء إلتفتت إليه، فوجددته قد لذخ نفسه، ولم تجد أي شيء تمسح به هذا الوسخ، فأخذت قطعة من الخبز ومسحت له بها، وكعقاب لها يقال حسب الأقاويل التي كانت سائدة أنها صعدت إلى القمر، أي أن الله سبحانه وتعالى رفعها إلى القمر، وكان الناس ينظرون إلى القمر وخاصة في بداية الليل لكي يروها هي وابنها، فمنهم من يقول أنك إذا تأملت جيدا تراها فعلا[169]

ب – سيدي علي بن حمد وحاكم الأتراك:بتحفظ،أتى جيش الأتراك إليه (إلى سيدي علي بن حمد)،ليطلبوا منه العلف لحيوانتهم، فقال لهم، أمامكم أعطوهم الشعير، فعندما حملوا الشعير تحول إلى ملح، لم تشأ الخيول أن تأكله، فقالوا لقد أعطيتنا الملح، فرد عليهم لقد ملئتم ذلك بأيديكم، ما عساني أفعل لكم. ثم حان وقت الصلاة (والأتراك لا يسبقهم أحد في الصلاة) فطلب الباي من جنده أن يتوضأ في إناء الشيخ، فأعطوه الإناء، فتوضأ هو وجنده، فتغيروا وتحولوا إلى خنث، أي تخنثوا، ومن ثم بدأوا يطلبون في السماح والعفو والشفاعة. فقام وأعطاهم الماء وعادوا إلى حالتهم الطبيعية، وأكملوا صلاة الظهر، وأقفلوا راجعين.

في يوم من الأيام أرسل له السلطان رسولا، يطلب من الشيخ المثول أمامه،فسرج حصانه، وهم بالذهاب فأرادت جماعته مرافقته خوفا عليه من بطش السلطان، فلم يشأ فقال لهم، إن كنت صافي القلب مخلصا لله، وعلى صواب سأذهب وأرجع سالما غانما،

[169] عبد الرحمان بوزيدة،**قاموس الأساطير الجزائرية**،منشورات كراسكو،المركز الوطني في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية،الجزائر ،2005، ص 51

وإن كنت على خطأ أرجو أن لا أعود، ولا أحد يتبعني. عندما وصل إلى الباي قام هذا الأخير من كريبه محييا الشيخ، فرد عليه الشيخ أريد أن تبقى على كرسيك، ولكن عليك أن تحكم بشرع الله. قال الباي للشيخ أخرج وانظر على مدى بصرك كل تلك الأرض هي ملكك. ولك من البحر مقدار ميل، وهي المعروفة حاليا ببومرداس ومن ثم أصبح الأتراك يأتون للزاوية محملين بالقمح والشعير، ويقرأون القرآن الكريم[170]

ج- تروى قصة الشيخ البودالي خديم سيدي عبد القادر كيف أن هذا الرجل تصدق بجميع أمواله على الفقراء والمحتاجين ولما لم يبق له ما يقتات به اصطحب زوجته – وكانت امرأة جميلة – إلى مدينة بسكرة (وفي رواية أخرى إلى مدينة مراكش). وعندما وصل إلى المدينة أبصر الخوجة الزوجة الجميلة فأغرم بها ,اضمر للرجل حيلة لكي يسلبه زوجته، فاتهمه عند السلطان بالسكر والعربدة، فزج به السلطان في السجن. عندئذ تدخل الشيخ عبد القادر الجيلالي وحمله في لحظة إلى الحج، حيث جمع بينه وبين ابن السلطان الذي كان هناك فشكا له حاله، وكتب الإبن لوالده رسالة يعاتبه فيها على ما فعل بالرجل الصالح، ويكشف له فيها عن فعلة الخوجة. وحمله الشيخ عبد القادر مرة أخرى إلى قصر السلطان في لحظة قصيرة ، ، فوجده لازال جالسا مع الخوجة وشهود الزور الذين اتهموه بالسكر. عندئذ رمى الرجل بالرسالة في حجره. وعندما قرأها هذا الأخير

[170] عبد الرحمان بوزيدة، **المرجع السابق** ،ص 116

وعرف الحقيقة ، أمر بقتل الخوجة ومعاقبة الشهود، واسترد (البودالي) زوجته ، وأمر له السلطان بأموال وأملاك الخوجة[171] .

كما رصد مركز البحث في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية 108 أسطورة، مرتبة زمنيا حسب جمعها، فمنها المترجمة لمؤرخين غربيين، ومنها المنقولة شفهيا عن رواة من المنطقة ، ومنها المكتوبة باللغة الفرنسية ، أو باللغة العربية أو منقولة شفهيا باللهجات المحلية ، ومن ميزاتها أنها نماذج شملت كل القطر الجزائري شمالا ، جنوبا ، شرقا وغربا[172] .

-الولي الصالح أو المرابط أو الشريف:

اليوم، وإذا ذكرت سيدي عبد الرحمان الثعالبي، يتبادر إلى الذهن مباشرة مدينة الجزائر، وإذا ذكرت سيدي الهواري فلك مدينة وهران، وحين تذكر سيدي خالد فهناك مدينة تيهرت، أما سيدي مبروك فيذهب بك خيالك إلى مدينة الجسور المعلقة قسنطينة...

أما أحيانا أخرى فاسم المدينة من اسم الولي الصالح للمنطقة ، كذكرك لمدينة سيدي بلعباس،أو سيدي موسى، أو سيدي عمر.

أما أسماء المواليد الجدد فمعظمها هي أسماء الولي الصالح للدشرة،أو الجهة أو المقاطعة ، وهذا دليل على تمسك المجتمع بالأولياء،ومكانة هؤلاء في المجتمع.

---

[171] عبد الحميد بورايو، **المرجع السابق**،ص113.

[172] عبد الرحمان بوزيدة، **المرجع السابق**، ص ص 40-104

أما إذا أردنا تحديد معرفة الولي الصالح كما يراه المجتمع،فهو ذلك الشخص التقي، المطبق لأوامر الله، والمتجنب لعصيانه، خاضعا لقضاء الله وقدره، غايته في ذلك مغفرة ورحمة من الله ، تدخله إلى الجنة ، وبالتالي فهو قريب من الله سبحانه وتعالى بالمقارنة مع عامة الناس ، واللجوء إليه ، والتواصل معه ، كأننا نرجوا من ورائه وفي ظله مغفرة ، وعند العامة من الناس يعتبرونه الوسيط بين الناس والله ، رغم علم الجميع بأنه لا يوجد وسيط أو حجاب بين الله وعباده الصالحين، يقول الله تعالى : ادعوني استجيب لكم.

لقد لعبت الطرق الصوفية دورا كبيرا في تهيئة المجتمع على قبول فكرة الولي الصالح، حيث كانت تتم العملية في مجالس الجماعات الصوفية، ولا يمكن أن نجد مجلسا لا يتطرق إلى الأولياء .وقد اشتد التنافس خاصة بين الطريقتين الكبيرتين وهما الطريقة القادرية والتيجانية ، حيث كانت الأولى تحظى بانتشار واسع بين السكان قبل نهاية القرن18م [173].

دور ومنصب المرابط في وظيفته العتيقة محددين بالضبط ، فهي تتلخص في الدين والثقافة وأعمال الخير التي تهدف إلى السلم الاجتماعي ، فالمرابط هو قبل كل شيء من أولياء الله قبل أن ينتمي إلى أي طرف ، وحياده تجاه الطوائف يجعل منه حكما لا ينكره

[173] -عبد الحميد بورايو، **المرجع السابق**،ص109.

أحد وينظر إليه عادة على أن الرجل الذي يقف مجرد اليدين من السلاح بين الصفين المتحاربين[174]

وهنا لا يمكن تجاهل من أين وكيف انطلقت الظاهرة ، وأغراضها الدينية والدنيوية ، ففي أول الأمر كانت الرباطات تقوم في الثغور،أساسها الدفاع والتصدي للعدو، وكانت تجمع بهذه الرباطات معسكرات إسلامية من نساء ورجال يعكفون على العبادة ، وينقطعون على الدفاع ويزهدون فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال ، حتى إذا ما دعاهم الواجب للدفاع ، هبوا كالرجل الواحد، وبالتالي هذا الموقف لا ينقطع أجره ولا يفنى نعيمه ، فكان المرابط مقدسا في نظر المسلمين. كان يؤم هذه الرباطات المتصوفة وغيرهم ، ثم رأى قسم من المتصوفة مغادرة هذه الرباطات الثغرية وإشادة أبنية في القرى والمدن لإيواء المرابطين المنقطعين إلى العبادة وتعرف في الشرق بالرباط أو الخانقة وعندنا بالزاوية[175].

الولي من تولى الله تعالى بالطاعة ، وتولاه الله بالكرامة والرعاية ، وقيل الولي من توالت أفعاله على موافقة الشرع، وكل من كان للشرع عليه اعتراض فليس بولي[176] .

---

[174] -محفوظ سماتي، **الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها**، منشورات دحلب،2007، ص 65.

[175] محمد الهادي العامري، **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من ق 7هـ إلى ختام القرن 13 هـ**،الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1974 ، ص،ص 203،204.

[176] يوسف بن إسماعيل النبهاني،**جامع كرامات الأولياء**، تح: إبراهيم عطوة عوض،ج1،مركز أهل السنة بركات رضا للنشر،الهند، د.ت،ص7.

وحسب حمدان خوجة[177]: الولي، هو الشخص الذي يعاهد الله على ألا يتصرف إلا لما فيه خير للإنسانية[178] .

وقد وردت كلمة أولياء في القرآن الكريم ، في سورة يونس:"ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (الآية 62).

في النهاية والخلاصة، ولي الله، هو من اتصف بالإيمان والتقوى.

وعلى هذا، نجد أن جل مسلمي شمال افريقيا يؤمنون بالقوة الخارقة الغير محدودة للأولياء، لكونهم ذوي بركة قادرين على شفاء المرضى، مع العلم أن لكل رجل صالح إختصاصه في تطبيب المرض وزيارته محمودة، كما أن كل الأمراض قابلة للتداوي سواء كانت جسدية أو نفسية[179] .

-الشريـــــف:

[177] هو حمدان بن عثمان خوجة، من أسرة حضرية عريقة ذات ثروة وجاه، تولى منصب أمين عام لدى ديوان حكومة الجزائر برتبة مكتباجي، تلقى العلوم واكتسب الثقافة عن أبيه وشيوخ بلاد الجزائر، سعى إلى الإطلاع على العديد من الفنون الأدبية والمعارف الفقهية وأصبح على دراية بمسائل الأصول وعلم الكلام والمنطق والتاريخ والطب كما حاول تعلم اللغة التركية ونظم شعرا، كما تعرف على اللغة الفرنسية والإنجليزية وأدت يفرياته إلى إثراء ثقافته واطلاعه على قضايا العصر.

[178] حمدان خوجة، **المـــرآة** ، تعر وتح: العربي الزبيري،ط2 ،ش و ن ت، الجزائر، 1982م،ص19.

[179] **Ben choaib-boubekr abdessalem,**Les marabouts guerisseurs,T : 51, 1907,p-p250-255.

والشريف يعود إلى سلسلة الأشراف ، بعضهم من المغرب، واستقروا بالبلاد، وقاموا بعملية التدريس في القبيلة، وحضوا باحترام السكان لعلمهم ومقامهم ، وفي فك النزاعات وتدريس الشريعة الإسلامية .وقد ظهر عدد هائل من الأشخاص الذين ادعوا " الشريفية" أو الانتماء إلى النسب النبوي، فقد دعم رؤساء الفرق الصوفية ورجالها مراكزهم بادعاء النسب إلى الأسرة النبوية، فأصبحوا أشرافا في أعين الجماهير[180].

كانوا يعلمون الناس الأخلاق، ويفسرونها بقدر المستطاع، كما يعلمونهم الصلاة، ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة، ويعتقد السكان أن كل دعائهم مستجاب عند الله، الذي يؤمنون بقداسته وجلاله[181].

الشواف أو العراف أو الكاهن:

هو الشخص الذي يرى فيه العامة من الناس، المالك للقدرة في معرفة ما سيحدث مسبقا، وبالتالي فهو حالة خارقة ،هو الواسطة، ويسمى عند البعض **بالكاهن** أو الساحر لما يملك من طاقة تتجاوز طاقة البشر حسبهم، يزيد الناس إعجابا وتقديرا، وتتعلق به النفوس ، إذ تجده الملاذ لمعرفة ما هو قادم ، وهو المنقذ من السحر فيبطله عن طريق تحديد نوع القرابين الواجب تقديمها، في النهاية فالكاهن هو الذي يستطيع تسخير الجان

[180] صالح عباد،**الجزائر خلال العهد التركي 1541-1830**،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2012،ص، ص 23 ،24.

[181] حمدان خوجة،**المصدر السابق** ،ص57

لتحقيق ما يريد.والكاهن عند ابن خلدون هو الذي: "لا يقوى على الكمال في إدراك المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان"[182] ، وأما الفرق بين الكاهن والعراف، فإن كانا كلاهما يدعي معرفة الغيب، فالأول يدعي معرفة الأسرار، وأما الثاني، فمصد أخباره مما يسترقه من الجن.

وكما وسبق أن ذكرنا، كهن، كهانة، وتكهن تكهنا، قضى له بالغيب، والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمن، ويدعي معرفة الأسرار[183].

والمتفق عليه في تعريف الكهان، هم من يسترقون السمع، فتطابقت آراء العلماء، على أن كل من يدعي الغيب فهو كاهن، مهما كانت الوسائل المستعملة لتدارك الغيب.

-الطرق الصوفية:

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ " ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : مَا اسْتَعْمَلَهُ ؟ قَالَ : " يَهْدِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعَمَلِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى ذَلِكَ[184].

الطرق الصوفية هي مؤسسات تربوية دينية، جعلت من الزاوية مقر لها. والزاوية تدل اصطلاحا على الركن[185]، ومدلولها الإنزواء لعبادة الله سبحانه وتعالى، والإبتعاد عن

[182] ابن خلدون،**المقدمــة**، المصدر السابق ، ص 108

[183] لسان العرب،**المصدر السابق**، ج13، ص363

[184] حديث قدسي، **صحيح البخاري المصدر السابق الرقم 6502.**

خصب وطرف الدنيا ومغرياتها، والتفرغ لمعرفة الله، والعقيدة.إلا أن هذه المهمة تطورت، وتحولت.

الزوايا في مقصودها ونشاطها الفعلي هي مؤسسات اجتماعية وخيرية وتعليمية ووعظية وخزائن للكتب والتراث، ومعاقل لتحصين الرجال وتمرينهم على الجهاد.بذلك تحصلت على مصداقية، ترأسها رجال صلحاء، أمناء، تقاة، ثقات.

يعتبر العهد العثماني أزهى عصور الطرق الصوفية بالجزائر، ذلك لأن العثمانيين كانوا يبجلون رجال الطرق الصوفية. فيتبركون بهم قبل انطلاقهم إلى الغزو والجهاد البحري، وكانوا يعفونهم من الضرائب، لذلك وجد مروجو الأفكار الطرقية المجال مناسبا لنشر أورادهم بين الناس، فاتسع مجال انتشار هذه الطرق فعمت مختلف أنحاء القطر الجزائري.

وأما عن تاريخ انتشار ظاهرة التصوف والطرق الصوفية، فقد حلت بالمغرب العربي خلال القرن الخامس عشر، بعد هزيمة المسلمين في الأندلس، هذه الظاهرة جاءت على يد كبار الأولياء أو ما يعرفون بالمحترفين وعرف تصوفهم بالتصوف العلمي في المدن التي شيدت، وبنيت بها مراكز للدراسات الإسلامية، ومنها قام التلاميذ بنقلها إلى الأرياف وبناء الزوايا، لأسباب سياسية محضة يمكن أيجازها في الحملة الصليبية

[185] عبدالقادر خليفي،**أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية** ،منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007،ص91.

ضد المسلمين بشبه جزيرة إيبيريا، فأضحى يدعى بالتصوف الشعبي الذي عم كل القطر الجزائري مع وصول العثمانيين فاستحدث سلوكات بشرية ، وحلت هذه الزوايا محل الجامعات بنسبة كبيرة.وقامت بنشر الإسلام الصوفي، فكان ذلك بداية لظهور الطرق الصوفية، وتكون الحادثة هذه الحد الفاصل بين عهدين متميزين، الأول إسلام العصور الوسطى، وإسلام ما بعد العصور الوسطى، ويكمن الإختلاف في اهمال النوع الثاني للأمور التجريدية، والإهتمام بالإلتزامات المادية والأذكار وتوسعوا في التوكل على الله.

لم يجد الأتراك بدا من التعامل مع الصوفية والطرقية، ولم يجدوا صعوبة في ذلك، إذ لم تكن الحركة الصوفية غريبة عنهم[186]، وبالتالي لم بتأخروا في توظيف السلطة الدينية لتثبيت سلطتهم في الجزائر.

إنَّ تلك الجمعيات الدينية أو الطرق الصوفية لم تكن تركز في بداية أمرها إلاَّ على قواعد الإسلام الخمس ،حيث استمرت المعتقدات والأساطير التي اختلطت بالدين، حيث وجدت الشجرة المرابطة ، والينابيع المرابطة، وأضرحة المرابطين، وكانت هذه المقامات تزار، تكاد تكون زيارة للحجّ لطلب المطر أو التخلص من الأوبئة، وتدريجيا تحولت هذه المزارات إلى زوايا، وبهذا النمط تشكلت الطرق الصوفية بمختلف توجهاتها التي منحت الغذاء الروحي للأهالي، فمنها الطرق المتشددة ومنها المعتدلة، وأبرز ها: الشاذلية والتيجانية والرحمانية والقادرية والعلوية والعيساوية ، هذه الأخيرة التي تميزت عن

[186] صالح عباد، **المرجع السابق**، ص24.

غيرها بالحضرة[187] التي تسمى بحضرة عيساوة التي تتشكل من مرحلتين تفصل بينهما مدة للراحة واسترجاع الأنفاس أو للصلاة.

المرحلة الأولى وتدعى بالحزب أي قراءة القرآن الكريم وتدوم حوالي ساعة من الزمن.

المرحلة الثانية تكون مخصصة للقصائد والأوراد والرقص ، وتسمى الأحزاب المقصود به هنا كتاب " المجموع " الذي يضم في مقدمته ورد سبحان الدايم تيمنا بسيدي محمد بن سليمان الجازولي.

يجتمع أعضاء الحضرة في نصف دائرة حاملين البندير وناي أو اثنان ودف ، وينطلقون في التقرب لى الله حسب رأيهم ، وإن كان بعض العلماء قد استهجنوها ، إلا أنها انتشرت بسرعة البرق عبر التراب الجزائري باعتبارها ذكرا لا بدعة.

بعد ذلك ، يستعرض دور كل من الشيخ والمقدم ، والمزارات الرئيسية والزوايا ،حيث تقام الولائم ، حسب كل منطقة ، ومركزا على تأثير المرابط على نفسية الأهالي[188].

الأمر الخارق للعادة إن ظهر على يد نبي فهو معجزة وإن ظهر على يد ولي فهو كرامة، وإن ظهر على يد فاسق أو ظالم فهو سحر أو استدراج، وإن ظهر على يد عامي غير عاصي فهو معونة من الله[189]

[187] Emile dermenghem et Leo Barbes, **essai sur la HADHRA des aissaoua d'Algerie** :T : 95 , 1951, p-p 289-314.
[188] A.COUR**, recherches sur l'etat des confreries religieuses musulmanes ;** R.A **;**T : 62, 1921, p-p 85-89.

هذه هي القاعدة العامة المتفق عليها، ترى ما أوجه الشبه والاختلاف بين المعجزة والكرامة والسحر.

الكرامة لغويا، مفهومها تعني الطبق الذي يوضع فوق القدر، أما إصطلاحا، فمعناها الأمر الخارق للعادة بعيدا عما يؤتى للأنبياء، فهي تظهر على يد العبد الصالح ومن مظاهرها الأفعال والأقوال التي ينفرد بها دون غيره من العامة.

الجدير بالإهتمام المواقف المختلفة منه، فتجد الوهابيين لا ينكرون كرامات الأولياء بل يؤمنون بها إلى حد اليقين، باعتبارها عربونا للتقوى والهدى ،والولي هو الصديق والنصير، ومعنى ذلك أن الله عز وجل يرعاهم وهو وليهم وناصرهم.

على هذا الأساس، فالأولياء مرتبتين، فالأولى للمكثرين بأداء الفرائض، وأما الثانية فهي للذين يؤدون الفرائض والنوافل هم في إتصال دائم بالمولى عز وجل ،**عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن الله تعالى قال (من عادى لي وليا فقد أذمنه بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره**

[189] النبهاني، **المصدر السابق**، ص7.

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ولإن استعاذ بي لأعذيته) رواه البخاري[190].

وأما أصحاب الطرق الصوفية، فقد عرفوها على أنها أمر خارق للعادة لذى يستوجب إحترام صاحبها.

وأما ابن العربي فيقول عن الكرامة بأنها أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد عبد صالح ولا يقترن بدعوى النبوة ولا مقدمة له.

أما الفرق بين الكرامة والمعجزة، فلا تطابق بينهما، فهذه الأخيرة ينفرد بها الله عز وجل ويوكلها لأنبيائه ورسله.

وأما عن الكرامة والسحر، فهذا الأخير علم عرفته المجتمعات منذ القدم ومنها المجتمع الإسلامي عند ظهور الغلاة من المتصوفة وحبهم في كشف الحجاب، وظهور الخوارق على أيديهم لإبراز مدى قدرتهم وتفوقهم في العلوم الدينية، ويأتي ذلك بالتوسل بالأرواح الشيطانية واستخدامها. قال عز وجل:**" واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل وهاروت وما روت"**[191] .

181-حديث قدسي، **صحيح البخاري** للإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري رحمه الله تعالى، رقم 6502، طبعة جديدة ملونة، البشرى، طبعة 2016م.

[191] القرآن الكريم ، **سورة البقرة**، الآية 102،رواية ورش.

وأما عن الكرامة والأسطورة، فهذه الأخيرة مرتبطة بمظهر ديني خرافي، كذلك فهي مرتبطة بجميع الطقوس والفعاليات البشرية أي في جميع مجالات الحياة الإنسانية، وأما العرب المسلمون فسموها بالأباطيل والخيالات.

إذا كان الله عز وجل قد ميز الأنبياء والرسل بالمعجزات، فالأولياء قد تميزوا عن مجتمعهم بما يعرف بالكرامات،

يذكر حسن الوزان أن انتشار ظاهرة الإعتقاد بوجود الأرواح الشريرة، و يشير إلى أن مدينة قسنطينة تحوي على نبع سيدي مسيد المعدني، يتدفق منه ماء ساخن وتسكنه أعداد كبيرة من السلاحف التي تعتقد النساء بأن أرواحا شريرة تسكنها، وكان هذا المنبع مقصدا للنسوة، فإذا ما أصيبت إحداهن بحمى أو مرض فإنها تعتبر ذلك خطيئة السلاحف وتعالج مرضها بأن تذبح حينها دجاجة بيضاء وتضعها في وعاء مع كل ريشها وتحملها إلى العين وتتركها بعد أن تربط حول الوعاء بضع شمعات... وبمجرد وضعها للإناء وانصرافها يأخذها هؤلاء الذين كانوا بصحبتها، ويطبخون الدجاجة ويأكلونها[192].

يصف الورتلاني[193] الكيفية التي كانت تستخدم في التقرب إلى الأضرحة، فأشار أن الزائر إذا ما أتى للضريح ، يقف عند رجليه أو عند رأسه، ويسأل الله عز وجل أن

[192] موسى شويحات، **الطقوس الدينية والإحتفالات الإجتماعية بالجزائر العثمانية 1519م-1830م**، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف ،المسيلة، 2019،ص 58.

[193] ولد الحسن بن محمد السعيدي بن ورتلان سنة 1125م وتوفي سنة 1193م،وهو من أسرة عربية شريفة،نشأ فقيرا ،أساس حياته التقشف الصوفي، في المدرسة التي كان يديرها واله ، حفظ القرآن الكريم، ، ذهب يبحث عن العلم في

يمن عليه بقضاء حوائجه في الدنيا والآخرة، فظاهرة تقديس الأولياء في حياتهم أو بعد مماتهم كادت أن تكون عامة بين الناس، ولا مجال للنقاش والجدل في كرامات الولي، " وزرنا أول قرية منها توات قبر الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا"[194] .

ومن الكرامات التي يذكرها أبي راس الناصري في تأليفه منة الإله: فمن ذلك ما أخبرني به ثقة عن أبيه- وكان من الصالحين- أنه إبتدأ عند ضريحه " دلائل الخيرات " فلما انتهى إلى نصفه أراد الذهاب، فنودي " أرنو " أي فزد، فشرع في القراءة حتى كلمه وقد أظلم الليل، فبات ثمة، فدخلت عليه أرنب عظيمة، فأخذها وذبحها، وأورا نارا وشواها،(وأكل حتى شبع) ومن ذلك أن زائرين باتا عنده، وهما في غاية الجوع، فقال: يا سيد الأولياء، يا عشاي أضيافه، بلغ منا الجوع غايته،" وناما، فإذا هما بعبد وبيده إناء مملوءة طعاما، وإناء ماء" فأكلا حتى شبعا، ورقدا، ووضعا ما فضل عليهما عند رأسيهما، ولما أصبحا لم يجدا شيئا، ولا حبة منبوذة في الأرض[195] .

مختلف الزوايا، فتعلم الفقه والنحو ثم أضاف إلى ذلك علم التصوف والتوحيد، ونال حظا من اللغة و الأدب والعروض والتاريخ حتى أصبح من علماء المنطقة البارزين.من مؤلفاته، نجد له عدة كتب معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد وأكبر عمل ألفه في التاريخ والأخبار والرحلة وقد سمى رحلته" بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

[194] -أبو سالم االعياشي،**الرحلة العياشية:** 1661-1663م،تح وتقد :سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،ط1،أبو ظبي، الإمارات، 2006، ص 79.

[195] محمد أبو راس الناصري،**فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**،تح وضبط وتع: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 28.

-خلاصة:

يكتشف المتتبع والدارس لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،أن هناك ما لا يدعو للشك أن الساكنة الجزائرية في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها قد استأنست بأساطير وخرافات مؤمنة بحقيقتها، ملتزمة بها وبمناسكها، ولم يكن للنخبة إلا تأثيرا محدودا، عند محاربها أو التنديد بها والإستنكار لها، كونها أصبحت تجري مجرى الدم في أجسادهم.

الفصـــل الرابع

اولا: موقف السلطة والمجتمع من تطور المعتقدات الشعبية

تقديم :

1- المشهد الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني
2- موقف العلماء
3- موقف الأتراك العثمانيين
4- موقف الأهالي/المجتمع

خلاصة

ثانيا: التأثيرات المختلفة للأسطورة والخرافة على المجتمع الجزائري

1- التأثير العقائدي والروحي

2- التأثير النفسي والصحي

3- التأثير الإجتماعي والتربوي

ثالثا: دورها في تقارب وتماسك وانسجام الأهالي

- أ - دورها في تقارب وتماسك الأهالي

- ب - أثار التطور الفكري عند الأهالي خلال العهد العثماني

رابعا : تفاعلات المجتمع الجزائري

1- التفاعل الديني

2- التفاعل الإقتصادي

3- التفاعل الإجتماعي

4- التفاعل الثقافي

5- التفاعل القضائي

خلاصة :

اولا: موقف السلطة والمجتمع من تطور المعتقدات الشعبية

تقديم:

من أهم ما ميز العهد العثماني في الجزائر 1516-1830 م، انتشار الخرافة والأسطورة وبشكل واسع مما جعلها نمط عيش عادي إلى درجة اعتقاد أنها من العقيدة الإسلامية ، وذلك لارتباطهما بالمتصوفة ، وغذاها النظام التركي عن طريق عدم محاربتها ، وأحيانا أخرى دعمها ، ما دامت لا تمس بكيانه ووجوده ، أو لكونها كانت أداة ترسيخ بقائه في الجزائر.

وعند الغوص في عمق الموضوع ، نستشف حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة ، ومبرراتها ونتائجها من خلال مواقف العلماء المتباينة منها ، ودورها في تقارب وتماسك وانسجام السكان الجزائريين في التفكير والتخيل إلى درجة الإيمان بالأمة الموحدة ، والدولة المتحدة فكرا وتراثا وترابا، ما دامت الأسطورة والخرافة تجمعهم وتحقق أغراضهم وأهواءهم ونزواتهم وهذا حسب الفئة التي ترى فيها ذلك من العامة أو من علمائها.

فإذا كان بعض الباحثين يركزون ويرون في الخرافة والأسطورة جانبها ووجهها السلبي المتمثل في تحجير العقل الإنساني ، إلا أن وجهها الثاني قد يحمل ما هو إيجابي ، فهي حافظة لتاريخ الأمم وعامل أساسي من بين العوامل التي أسهمت في وحدة القبائل والعشائر والأرياف في الجزائر خلال العهد العثماني وكل ذلك بدعم من المرابطين

والطرق الصوفية التي كان لها الدور البارز في تغذيتها وجعلت شطرا كبيرا من الجزائريين آنذاك يؤمنون ايمانا مطلقا بها، وبهذا أضحت الخرافة والأسطورة أداة للانضباط الاجتماعي. وعليه تبقى مواقف النخبة ومدى تأثيراتها لها الدور الحاسم في توجيه العامة نحو سواء السبيل والدين القيم والأخلاق الفاضلة بعيدا عن كل تأويل أو شوائب.

بناءا على ما سبق ، واعتبارا بأن الجزائر خلال العهد العثماني لم تكن بمنآى عن بقية بقاع العالم ، حيث عرفت انتشارا واسعا للخرافة والأسطورة ، ترى ما موقف السلطة والنخبة الجزائرية منها:

تباينت الآراء وبخاصة آراء علماء الجزائر خلال العهد العثماني حول الخرافة والأسطورة، فانقسموا إلى فئتين متباينتين ، فمنهم من أيدها وآمن بها وصدقها ودفع عنها وسار على درب عبد الرحمان بن خلدون الذي عاش العصور الوسطى وشهد وعاش وأخذ موقفا منها حيث يقول" أن أصحاب الكرامات لهم من الإمداد الإلهي حظا على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله ، وإذا اقتدر أحدهم على أفعال الشر فلا يأتيها لأنه مقيد فيما يأتيه ويذره للأمر الإلهي ، فما لم يقع لهم فيه إذن لا يأتونه ، ومن أتاه منهم عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ، والولي مقيد بفعل الخير"[196]، ومنهم من رفضها وحاربها

[196] عبد الرحمان بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: لونان، ط1، دار الفكر، بيروت، 2003، ص 879.

من خلال رأي أو فتوى، فشملت مواقف كبار العلماء الجزائريين وأشهرهم خلال العهد العثماني.

1- المشهد الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني:

اتسم الوضع الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني بانتشار مجموعة من العلوم ، وفي غالبها علوم نقلية ، بالرغم من التطور العلمي الهائل في الغرب ، ويعود ذلك إلى طبيعة المجتمع والبيئة وخاصة علوم العصر آنذاك المتمثلة في العلوم الدينية المنتشرة على مستوى واسع في الأقاليم العربية.

وإذا قدمنا هذا التقييم فهو حوصلة ما كتبته المدرسة الغربية ، المكونة من العسكريين والمدنيين والرحالة والجواسيس.لكن الواقع يثبت العكس إلى حد بعيد ، فالمجتمع الجزائري إبان الحقبة العثمانية ، تناول بالدراسة حيز كبير من العلوم وإن كانت العلوم الدينية هي السمة الطاغية ، ويتضح ذلك من خلال التأليف المتنوعة لعلماء الجزائر وفي كافة التخصصات. وهنا يمكن القول أن علماء الجزائر خلال تلك الفترة كانوا عبارة عن موسوعات متنقلة ، فكل منهم جال في عدة اختصاصات ،معتمدا على مصادر ومراجع سابقيه أو معاصريه ، أو إنتاجه الخاص.

أبرز المجالات التي يمكن ذكرها : علوم اللغة التي شملت النحو والإعراب ، البيان والمعاني ، المتمثل في شرح القصائد والأعمال الصوفية والتاريخية والفقهية. إضافة إلى العروض ، والنثر الأدبي المجسد في الرسائل الرسمية والإخوانية ، ومواضيع المقامات

والوصف للمنشآت العمرانية كالقصور والحدائق والمساجد والحصون. أيضا التقاريظ والمغازي ، وعقود الزواج والإجازات والشروح الأدبية والقصص والخطب ، وخاصة الشعر الذي احتل المركز الثاني بعد العلوم الدينية ، حيث تنوعت أغراضه وبخاصة الشعر الصوفي والسياسي.

إلى جانب ذلك كانت لهم مواقف متطابقة وأخرى متباينة اتجاه الوضع العام في الجزائر وبخصوص ما تعلق أو ما تقاسم مع الدين الإسلامي وأثر بصورة جلية على المجتمع ومنها الخرافات والأساطير ، ولنأخذ بعض العينات من كبار علماء الجزائر خلال العهد العثماني الذين ذاع صيتهم داخل وخارج الجزائر .لنبين موقفهم من الأساطير والخرافات.

2- موقف العلماء:

كصورة عامة ، فإنَّ علماء من المتصوفة الجزائر خلال العهد العثماني ، كانوا يحثون الناس على العزلة والهروب من الدنيا وعلومها ، والاهتمام بعلوم الآخرة ، والصبر على ما كانوا عليه. هذا لا يمنع من وجود فئة من العلماء الذين حاولوا التجديد ، مواجهين علماء التقليد ، مهتمين بقضايا المجتمع ، مثل الجهاد والوضع الثقافي ، لأنَّ أهل السياسة أهملوا واجباتهم ، وركَّزوا على المؤامرات والصراعات مع الدول ، مستغلين في ذلك المراكز الثقافية التي وجدت ، مثل تلمسان ، وقسنطينة ، بجاية ، مازونة ، وهران ، بسكرة ، الجزائر، وكان أهمّ عامل مؤثر في الحياة الثقافية والعسكرية في الجزائر خلال

العهد العثماني ، الهجرة الأندلسية- المورسكيون – حيث ساهموا في إحياء الحركة العلمية والثقافية في تلك المراكز الثقافية التي وجدت ، وهذا يعتبر أهم عامل يمكن التركيز عليه واعتباره من المؤثرات الفعالة في الحياة الثقافية والفكرية خلال هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الجزائر. هذا لا يمنع أو لا ينفي وجود علماء جزائريون ، قاموا بواجباتهم التعليمية والتوعوية والتثقيفية ، بل تميزت الجزائر طيلة الوجود العثماني بطبقة من العلماء ،وإن كانت اهتماماتهم تختلف ، وأغراضهم متباينة ، وعليه نأخذ عينة من علماء الجزائر المناوئين والمحاربين للأسطورة والخرافة.

كان أحمد المقري[197] يستدل بالعرف والعادة السائدة التي لا تخالف نصا من كتاب الله وسنة نبيه أو أصلا من أصول الشريعة ، فكان يتحرى الدقة والحذر فيما ينتشر بين الناس من العادات. حتى أنه كان لا يسلم بما ينتشر بينهم على أنه من خوارق العادات لتضليل الناس ، ومن ذلك قصة المرأة التي وردت تلمسان في القرن الثامن الهجري وتدعي الإله

[197] هو بن محمد بن أحمد المقري، الملقب بأبي العباس، والمكنى بشهاب الدين، من مواليد مدينة تلمسان سنة 1578م، ونشأ وتثقف بها، وحفظ القرآن الكريم، وتأدب وأخذ علمه من مشايخها، وقد سمي بالمقري نسبة إلى القرية الواقعة في ولاية مسيلة، وهي الموطن الأصلي لأسرته، كان رحمة الله عليه آية زمانه في حفظ النقول والإطلاع على غرائب الفروع، أخذ عن عمه الشيخ السعيد المقري الفقه والحديث، وأخذ عن الشيخ أحمد بابا التمبكتي، والقصار، وأحمد بن القاضي الفاسي وغيرهم من تلامذته عيسى الثعالبي وعبد القادر الفاسي، ومن مصنفاته:أزهار الرياض في أخبار عياض، إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة،فتح المتعال في أوصاف النعال النبوية ونفح الطيب وغيرها.

، فكانت لا تأكل ولا تشرب ، فأنكر المقري ذلك ، وطلب التثبت من أمرها وشدة التحري لأحوالها[198].

عبد الكريم الفكون (ت 1073هـ/1662م): هو من عائلة الفكون القسنطينية العريقة التي توارثت العلم والوظائف ، اشتهرت بوفائها للحكم العثماني ، ولد بقسنطينة سنة 988هـ / 1580م، اكتسب ثقافة كبيرة واطلاعا واسعا على علوم عصره الفقهية واللغوية. تولى التدريس، وأسندت إليه الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع الكبير بقسنطينة خلفا لأبيه عام 1045هـ/1635م، ثم مهمة قيادة ركب الحجيج.

مال إلى الزهد معاديا للبدع والرشوة والتذلل للحكام ، وقيل عنه : " كان رضي الله عنه في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ، ومجانبة علوم أهل الرسول ، بعدما كان إماما يقتدى به فيها"[199] . من أهم تآليفه : * نظم الدرر في شرح المختصر، ويعتبر منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، أهم إنجاز ، وقد تم تأليفه عام 1046هـ/1636م، وقد شمل تراجم لخمس وسبعين عالما من علماء قسنطينة ونواحيها خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة. وكان هدف الكتاب إصلاحيا ، فهو يتحسر

[198] -أحمد المقري،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تح:إحسان عباس،مج:5،دارصادر،بيروت، 1968،ص 305

199-أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**،ط2، مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة، 1985م،ص 166.

على مجتمعه الذي انتشر فيه الجهل والفساد والزندقة والنصب والاحتيال ، وتلاشت فيه القيم والمبادئ. وشمل منشور الهداية أربعة أصناف من التراجم[200]:

- الفصل الأول للعلماء والصلحاء المقتدى بهم وعددهم أربعة وعشرين عالما ، أشهرهم عمر الوزان ، يحي الأوراسي ، محمد العطار، أحمد الغربي ، لتنتهي القائمة بعلماء آل الفكون وهم يحي وقاسم وجده عبد الكريم ووالده محمد.

- الفصل الثاني ، فقد خصصه لمن تولوا المنصب الشرعي ، وهم غير أهل له وعددهم اثنين وعشرين عالما ، أشهرهم محمد بن القاسم الشريف ويحي بن باديس وأحمد الجزيري وغيرهم.

- الفصل الثالث ، فقد خصصه لمن ادعى الولاية ، وصفهم بالدجاجلة ، الكذابين والمتشدقة المبتدعة المضلين ، وعددهم 15 منهم سيدي قاسم بن أم هانئ، وأحمد بوعكاز والحاج الصحراوي... وغيرهم.

- الفصل الأخير، ذكر فيه بعض الأصحاب والأحباب ، وعددهم 11 ، منهم الشيخ بلغيت القشاش وحميدة بن باديس وأحمد المقري....إلخ.

يمثل منشور الهدايا ، صورة عامة عن الوضع الثقافي والاجتماعي والسياسي للجزائر خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة ، أي السادس عشر والسابع عشر

200 أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ،عام 1985م، ص 166. .

للميلاد. فمن خلاله نستطيع الإطلاع على ما يلي : - الواقع الثقافي والحياة الدينية. - طرق التدريس والإجازة. - أخبار الكتاتيب والزوايا.

قال الورثيلاني :" وكل مقام ناله ولي من أولياء الله فهو ميراث أتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وما كان ميراثا لا يصح أن يكون شيئا لم يكن لموروثه بل يستحيل عند أرباب القلوب أن ينال ولي ولو ذرة من مقام أو حال لم تكن بكمالها لمتبوعه ومعلوم أن هذا الحال لم يكن لأحد قط فلا بد من التأويل ، قال وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا ويحمله على ظاهره وإلا فأنا والحمد لله ممن يعتقد تنزيه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب والافتراء ويثق بأقوالهم ، ويصدق كراماتهم ويحمل ما أشكل على أحسن محامله ولا أطعن فيه بوجه وأسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه والمنة في ذلك لله وحده هو كلامه ونقلته على طوله لحسنه في بابه وزرنا في تلك الحجة أولاد سيدي محمد الصالح وأخرج لنا ولده سيدي علي تمرا ولبنا وأكل أصحابنا ما أرادوا منه وشربوا وزرنا أيضا سيدي قاسم وذكر لنا الأخ سيدي محمد بن عبد الواحد الرماني أن هذا السيد كان رجلا صالحا... وسيدي عبد الواحد والد سيدي محمد المتحدث عن صلاح هذا السيد ... لنا أنه مدفون في الزاب"[201] .

ويذكر في نفس الصفحة عن أولياء الله قائلا : " إلا أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمى به جزافا فليحرص المرء جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم فعسى أن

201- الحسين الورثيلاني، **الرحلة الورثيلانية- نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**-،المج:1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ،د.ت،ص، ص 119،120.

يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا وأخرى فإن لله عبادا إذا نظروا إلى أحد أغنوه ومع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون حتى يعتقد أن من رأى أحدهم ممن قال مثل ما تقدم قد أمن من النار فإن لكلامهم وجوها واحتمالات تدق على إفهام أكثر الخلق ممن لم يسكت طريقهم ... ولا شك أن من منع شهود ذلك وأشرف عليه فله نصيب وافر من التخلق بأخلاق الأولياء والورود من موارد الأصفياء**"**[202].

نستخلص مما سبق أن علماء الدين والذين تمكنوا من تبوء مكانة في المجتمع ، هم أولياء الله ، وما تركوه من علم فهو ميراث للجميع ، وما جاء على لسان المتصوفة فهو حق مطلق لا يمكن التشكيك فيه ، مع العلم أن بعض المتصوفة قبل وخلال العهد العثماني قد امتهنوا السحر والشعوذة والتنجيم مدعين أن ذلك من الكرامات وأحيانا أخرى أنها معجزات ميزهم الله بها دون غيرهم مع العلم أن هذه الأخيرة قد مكن الله عز وجل أنبياءه ورسله بها فقط.

فالطرق الصوفية والمتصوفة حسب عبد الحميد بورايو قد لعبت دورا كبيرا في تهيئة المجتمع على قبول فكرة الولي الصالح، حيث كانت تتم العملية في مجالس الجماعات الصوفية ، ولا يمكن أن نجد مجلسا لا يتطرق إلى الأولياء[203]. هذه الجمعيات

202- **نفس المصدر** والصفحة.

203 -عبد الحميد بورايو،**المرجع السابق** ،ص 109.

الصوفية يقول عنها المستشرق الفرنسي لويس رين ، أنها تعمل على إعطاء لنفسها صورة الجمعيات التقية ، وهدفهم استغلال الغباء البشري ويزعمون أنهم يقدمون لأتباعهم قوى خارقة للطبيعة أو تعويذات لا يمكن لأحد مقاومتها[204]. وقد حذر منها قائلا ، وإن لم تكن السلطة الإدارية والقضائية حازمة إزاءهم واتجاه الشعارات الكاذبة الشائعة والمنتشرة ، فقد يصبح الأمر معقدا وخطيرا.

ويذهب أبو راس الناصري[205] في هذا الاتجاه ، إذ يذكر : " إمام زمانه وقطب أوانه ، ذو المجد الذي لا يضاهى والفخر الذي لا يباهى ، والقمر العالي الشامخ ، والتنويه الباذه ، ذو النبل والفضل العظيم ، شيخ الطريقة : ولي الله سيدي عبد العظيم ، عظيم الكرامات ، وخوارق العادات في أهل الوبر والمدر، والأمصار التي لا تنسخ سالف

[204] Louis Rinn, **Marabouts et Khouans**, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884, 116.

[205] هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر الجليلي المعسكري ولد عام 1150هـ / 1737م بناحية جبل كرسوط في بيئة فقيرة بضواحي معسكر وبعد رحلاته إلى متيجة ثم مجانة ثم المغرب ليستقر بمعسكر حيث تتلمذ على يد الشيخ عبدالقادر المشرفي.اشتغل بالتعليم وتولى القضاء، اشتهر بسعة اطلاعه وبتآليفه، توفي سنة 1823م، سماه أحمد بن يوسف الزياني في دليل الحيران بمجدد القرن الثالث عشر، الشريف الأمجد العلامة الفذ.من أهم ما ألف: در الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة الشماريخ في علم التاريخ،الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية وشروحها، روضة السلوان المؤلفة بمرسى تطوان، الفرض المقرب عن الأمر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب، در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحافة،الوسائل إلى معرفة القبائل، فتح الإله في التحدث بفضل ربي ونعمته، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار.ينظر: ناصر الدين سعيدوني،**المرجع السابق**، ص- ص460-466.

الأعصار. وقد شاع وذاع ما يثلج الصدور، وامتلأت منه الأسماع : أن من أتى عند ضريحه نهارا أو سحرا أو عشاء رزقه الله ما يتغذى أو يتعشى"[206].

وقد خرج ابن العنابي عن موضوعه الأصلي ليحمل حملة كبيرة على من يسميهم تارة " بالزنادقة" وتارة " بالدراويش المتقشفة" فقد اعتبر عمل هؤلاء من أعظم ما أصاب الإسلام وأهله من الفساد والشر وقال " إن الضرب على أيدي هؤلاء " من أعظم ما يتقرب به إلى الله " بل هو الجهاد الحقيقي . وحكم على ما يبدونه من الورع والصلاح بأنه محض مكر وخداع. ودعا الله أن يكشفهم ويلعنهم ويسحقهم عن طريق " ملوك الإسلام الذائدين عن حمى شريعة سيد المرسلين"[207] . كما أورد الونشريسي عن نازلة تمنع بيع وقراءة كتب الخرافات والشعوذة لما لها من تأثير على عقيدة المسلم.

أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني: (ت. حوالي 1078هـ - 1677م):

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الله التلمساني موطنا ونشأة ، المنداسي أصلا ونسبا[208]. من أهم أعماله : قصائد شعرية فصيحة وعامية عكست أحداث عصره وموقفه من بعض الأحداث والقضايا ، وقصيدته الشهيرة النونية تحت عنوان " الأعلام فيما وقع للإسلام من قبل الترك في تلمسان" وهي ترثي تلمسان وهجاء الأتراك.

---

[206]-محمد أبو راس الناصري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**،تح وضبط وتع: محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986،ص،ص 27،28.

[207]- أبو القاسم سعد الله،**رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2،دار الغرب الإسلامي،الجزائر، 1990،ص .

[208]ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص- ص 369-372.

أبـو عبـد الله محمـد بـن مـريم المـديوني التلمسـاني (ت) حـوالي 1020هـ/1611م: ويعتبـر كتـاب البسـتان فـي ذكـر الأوليـاء والعلمـاء بتلمسـان أو البسـتان فـي ذكـر مناقـب الأوليـاء "تلمسـان" أهم انجـاز لـه، وهـو كتـاب فـي التـراجم، وقد انتهـى مـن وضـعه سـنة 1011ه-1603م فقد شمل البستان تراجم مفصلة لإثنين وثمانين عالما ووليا صالحا نشئوا أو عاشوا بتلمسان. معتمدا فـي ذلك علـى روايـات شفوية والمذكرات والتقاليد الشخصية وكتب التراجم والسير والتاريخ ومنها نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابـا التمبكتـي ، وبغية الرواد ليحي بن خلدون وروضة النسرين لابن احمد ، والنجم الثاقب لابـن صـعد ، والتقييد فـي مناقب الأربعـة المتـأخرين لمحمد السنوسـي والكوكب الوقـاد لمؤلـف مجهول وعن الإحاطة لابن الخطيب والعبر الابن خلدون والوفيات لابن قنفد القسنطيني والمعيـار للونشريسي والديباج لابن فرحون، ورحلة القلصادي والمواهب الفرسية للملالي .

3- موقف الأتراك العثمانيين:

لم يجد الأتراك بدا من التعامل مع الصوفية والطرقية ، ولم يجدوا صعوبة في ذلك، إذ لم تكن الحركة الصوفية غريبة عنهم[209]، وبالتالي لم يتأخروا في توظيف السلطة الدينية لتثبيت سلطتهم في الجزائر.

إنَّ الطرق الصوفية لم تكن تركز في بداية أمرها إلاَّ على قواعد الإسلام الخمس في تعليمها وترسيخها ، مما أدى إلى فتح المجال على مصراعيه للمعتقدات الخاطئة

[209] صالح عباد،**المرجع السابق**، ص24.

والأساطير التي اختلطت بالدين ، وكأنها أصبحت جزء منه أو ما يستحسنه الدين. ومن أبرز المعتقدات التي انتشرت نجد الشجرة المرابطة ، والينابيع المرابطة ، وأضرحة المرابطين ، فأضحت مزارات للأهالي تعلق عليها أطراف من الأقمشة وتحرق الشموع ، وأحيانا قد تجد حتى قطعا نقدية قام برميها الزائرون ، إضافة إلى الأدعية والبكاء بجانبها طلبا للصحة والعفو والرزق وكل ما يجلب السعادة للفرد.

ولا تجد من السلطة العثمانية من يشجبها ، أو يحاربها أو يمنعها ، أو يصحح مسارات وسلوكات المجتمع. وتدريجيا تحولت هذه المزارات إلى زوايا ، وبهذا النمط تشكلت الطرق الصوفية بمختلف توجهاتها التي منحت الغذاء الروحي للأهالي حسب ما يخدم السلطة العثمانية وأصحاب الطرق الصوفية ، التي تنوعت ، فمنها الطرق المتشددة ومنها المعتدلة ، وأبرزها : الشاذلية والتيجانية والرحمانية والقادرية والعلوية والعيساوية.

يستعرض "أ. كور" المستشرق الفرنسي ، دور كل من الشيخ والمقدم، والمزارات الرئيسية والزوايا، حيث تقام الولائم، دارسا كل منطقة على حده، ومركزا على تأثير المرابط على نفسية الأهالي[210].

إن النظام الاجتماعي هو مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحدث بصورة منتظمة داخل المجتمع ويرمي كل نمط من تلك الأنماط إلى تحقيق هدف محدد بذاته، وبموجب هذا

[210] A.COUR**,op.cit,** p-p 85-89.

الاطراد من السلوك النمطي تحدث حالة من التقنين الاجتماعي بما يتفق ويتواءم مع حاجة الفرد والمجتمع[211] .

إن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، عرف انضباطا اجتماعيا في السلوك والمعاملة نتيجة التعاطي مع الأساطير والخرافات ، فأصبحت القواعد والنظم العرفية هي المهيمنة في جل المعاملات دون معرفة أصولها وأهدافها ، فتوسعت وانتشرت. لأنه لم توجد رقابة لمعرفة مدى تماشي ذلك العرف مع العقيدة الإسلامية التي يدين ويؤمن بها ، ولأن السلطة العثمانية تساهلت في محاربة البدع والخرافات والعادات والتقاليد البالية والأساطير. وذلك لأسباب قد أرجعها بعض المفكرين والمؤرخين إلى طبيعة الحكام العثمانيين ، الذين كانوا على نفس النسق مع الطرق الصوفية والزوايا ، التي كانت تشجع على ممارسة الطقوس ، ما دامت أنها قد أكسبتها مودة الأهالي ، ومكنتها من الاحتفاظ بمركزها السياسي بالنسبة للعثمانيين ، وبمركزها الاجتماعي بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية.

4- موقف الأهالي/ المجتمع:

يقال أن الوعي يولد مع ولادة الإنسان ، وينمو ويتطور حسب البيئة التي يعيش فيها ، وعلى هذا الأساس يؤكد العلماء على المحيط الضيق والمقصود به الأسرة ، والمحيط الواسع والمقصود به الدولة التي يعيش فيها أو الدول المتعامل معها ، أو الظرف العام

[211] -جمال سلامة علي، **المرجع السابق** ،ص 53.

الدولي. فالبيئة هي المحور الأساسي والرئيسي الذي يتحكم في سلوك الفرد وفي تكوين شخصيته. وبما أننا بصدد الحديث عن الأسطورة والخرافة في الجزائر العثمانية ، فقد اكتسب الجزائريون مجموعة من العادات والتقاليد وجدها الفرد داخل الأسرة ، خاصة في الأرياف. حيث يقول شو " أما بالنسبة لأعراف وعادات البدو، فلا بأس من القول إنهم احتفظوا بعدد كبير من استخدامات أجدادهم ، فكانت العرف المتعامل به ، ولا يمكن أن ينسلخ عنه ، فهو مقيد ، مجبر أن يساير ويتعايش ويعيش هذه العادات ، ويعمل على الحفاظ عليها وحمايتها ونقلها ، لأن تجاهلها أو إنكارها يعني تجاهل الأصول ، وإهمال للعرف وعدم الانقياد للأوامر ألأسرية. ومنه يكون الانضباط الأسري أساس التضامن والتماسك والألفة والقوة ، فيمثل العصبية ويحدد بها انتمائه" [212].

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فالفرد يكتسب من محيطه الأوسع أي مجتمعه عادات وتقاليد تدفعه على أن يتجاوب معها ، حتى يكون مقبولا من الغير أو الآخر، وهنا أيضا يجد نفسه مجبرا على التقيد بها ، حتى يتمكن من الانخراط فيه بسلاسة ، بعيدا عن الشبهات أو العزل. ولم يكن من السهل أن تتمكن من إقناع الجزائريين بمفسدة الأسطورة والخرافة خلال العهد العثماني ، كونهم ولدوا وعاشوا بها ، فتداولها بينهم من كان يمثل الجزء الأكبر في حياتهم اليومية.

[212] Dr. Shaw,**Voyage dans la régence d'Alger**, Marlin Éditeur,Paris, 1830, p 129.

لقد آمنوا بصحة الأسطورة إيمانا مطلقا ، وكل ما روته الأساطير كان بالنسبة إليهم حقيقة مطلقة حدثت عبر الأزمنة ، ولم يأت إيمانهم هذا لكونهم معزولين عن العوالم المتطورة ، بل لأن الأساطير كانت ترسم لهم السبيل الذي يجب عليهم أن يهتدوا إليه ، واكتشفوا هذا من خلال ممارسة الطقوس. فالتطبيب ونزول الأمطار، ومعرفة الغيب لن تتأتى إلا عن طريق الشعوذة أو ممارسة الطقوس المناسبة لها ، وهكذا يتشكل النظام ، أو البناء ، أو النمط الاجتماعي الذي هو أساس البقاء والديمومة.

لقد وُصِفت بالصلاح في الجزائر العثمانية الأشجار والجبال ، والحيوانات والينابيع والأضرحة ، والمقامات والقبب ، ووُجِد أشخاص على قيد الحياة صالحين ، كلهم أصبحوا مزارات يهدون إليهم ما يمكن إهداءه. وتتحول هذه المزارات أحيانا إلى أماكن للحج ، وتقام الزردة " الوعدة "، وكل ذلك من أجل طلب المطر أو رفع الأوبئة ، أو غيرها من الأمور التي تساهم في رفع الشدة عن الإنسان[213] وفي اعتقادهم ، أن ذلك من صميم الدين الإسلامي ، ولأنه من ميراث الإباء والأجداد ، والظاهرة لم تقتصر على الجزائر فحسب ، بل طالت كامل العالم العربي والإسلامي ، ولم تكن حديثة العهد بل تعود إلى أزمنة غابرة في التاريخ ، شهدتها عدة حضارات ، ومنها حضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية القديمة وحتى الحضارة الإسلامية وتميزت كل منها بأساطيرها الخاصة.

[213] A.COUR**,op.cit,** p-p 85-139.

وهذا لم يمنع عملية التأثير والتأثر واختلاط الأساطير المحلية بالأساطير الوافدة.إلا أن ما تميزت به الجزائر خلال العهد التركي وهو موقف السلطة العثمانية من جهة والجمعيات الدينية الصوفية من جهة ثانية اللذان كانا أبرز العوامل المساهمة وبقسط أوفر في تنامي ظاهرة الأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري، ومن هنا بدأ التلاعب بالقيم الصحيحة واستبدالها بقيم في معظمها خاطئة ، دون وعي من طرف الأهالي ، فانجر عنها تخلف وتراجع في الأنماط السلوكية المتحضرة ، التي امتاز بها عالم الغرب في نفس الحقبة الزمنية ، لأن رواد الفكر سلموا أنفسهم للقدر دون الأخذ بالأسباب.

خلاصة:

إن النظام الاجتماعي هو مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحدث بصورة منتظمة داخل المجتمع ، ويرمي كل نمط من تلك الأنماط إلى تحقيق هدف محدد بذاته. وبموجب هذا الاطراد من السلوك النمطي ، تحدث حالة من التقنين الاجتماعي بما يتفق ويتواءم مع حاجة الفرد والمجتمع[214] .

إن النخبة الجزائرية خلال العهد العثماني ، لم تتوان عن محاولة إصلاح المجتمع وسلوكياته ، إلا أن جذور الداء عميقة وقديمة قدم التاريخ ، وتوسع وانتشار الآفة كان كبيرا ، ووسائل الإصلاح والدعاية له كانت ضعيفة. وأن مفتاح الدواء كان بيد السلطة

214 جمال سلامة علي،**المرجع السابق** ، ص 53.

العثمانية التي لم تكترث بالوضع العام ، ولم تعمل على إصلاح المجتمع وما علق من شوائب على الدين الإسلامي.

بتواتر الأزمنة ،استطاع السكان الجزائريون أن يكتسبوا كما هائلا من التراكمات، ساهمت في تطوره الفكري ،كونه عاش تلك الحالات والوضعيات المختلفة ، مما فيها من أمور ايجابية وسلبية ،دون أن تحقق له شخصيته بين الأمم، فكانت تلك العصور والأزمنة بمثابة مدرسة تحصل خلالها على ثقافة بناءة ، ساعدته في مستقبله لبناء نفسه ، محتفظا بأدوات البناء الاجتماعي من دين ولغة وتاريخ ،وعرف وأساطير وخرافات ،التي سايرته طوال حياته ، فأصبح رصيده الاجتماعي والسياسي كاف لينتقل إلى مرحلة جديدة ، ومما تعلم .وإذا كان للأسطورة والخرافة وجهها السلبي المتمثل في تعطيل العقل؛ والذي يعتبر أكبر نعمة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، فإن هناك الوجه الآخر الإيجابي للأسطورة والخرافة ، حيث مكنته من رصد الصف الوحدوي ، عن طريق احترام العرف ، وبالتالي الانضباط الاجتماعي ، الذي جعله مميزا عن غيره، فراح باحثا عن هويته.

ثانيا: التأثيرات المختلفة للأسطورة والخرافة على المجتمع الجزائري:

1- التأثير العقائدي والروحي:

يقوم الأهالي بزيارة الأضرحة والتبرك بها أملا في أن يكون ذلك خيرا ينالون به بركة هذا الشيخ أو ذاك الولي، كما أنهم ينذرون النذر بأسمائهم ويذبحون الذبائح عند

قبورهم وأضرحتهم، اعتقادا منهم بأن ذلك سبب من أسباب قبولها وحلول البركة، فأصبحت مقامات الأضرحة مقدسة في الوعي الفردي والجمعي.

كما نلاحظ المكانة التي كان يوليها الناس في ذلك العصر لقبور وأضرحة الأولياء ، فكان العالم أو حتى الحاكم إذا مات يدفنه أهله قرب ضريح أحد الأولياء مثل الحاج أحمد داي الذي قتل سنة 1109هـ / 1657م ، ودفن يمين الداخل لقبة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، وابراهيم باي الدولاتلي 1122هـ / 1710م الذي دفن قرب سيدي الكتاني في الجزء الذي هو بجانب سيدي يعقوب ، ودفن البولكباشي محمد جد المؤلف بالجبانة التي هي قرب الفراخ خارج باب الواد بين ضريح الولي الصالح نبع البركة سيدي عبد الرحمان الثعالبي وضريح سيدي محمد السعدي ، كما دفن المفتي المالكي أحمد زروق بن عمار قرب قبر الولي الصالح عبد الله الجزائري[215].

- الأولياء يتوسطون بين الإنسان والرب فيحملون الرسائل ويأتون بالرد الإيجابي في الغالب.

- طاقتهم أقوى من طاقة البشر العاديون

- قادرون على إنزال البطش والعقاب واللعنة

- يسمون عند البعض برجال البلاد أو حاميي البلاد والعباد.

[215] - حسين بن رجب شاوش(-ابن المفتي)،**تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها**،تح:فارس كعوان، ط1،بيت الحكمة، 2009،ص 32.

- من أجل استلطافهم، تشعل الشموع، وتحرق الأبخرة، ويتمسحون بترابها وجدرانها، ويدورون حول مقاماتهم، تراهم سجدا ركعا داخل أو بالقرب من الضريح.

- يعتقد الأهالي أن بعض الأولياء يزارون لكل الحاجات، وهناك أولياء لهم تخصصات مثل الولي الذي يزار من أجل الإنجاب، وآخر مختص في الكشف عن الحاسدين والإضرار بهم ، وآخر يكشف عن السارق ، وآخر لفك الرباط ، وآخر لإخراج الجن من المتلبسين...

الوظائف النفسية والبيولوجية التي تتمثل في تلبية الحاجيات النفسية والبيولوجية للفرد ، وتنمية سيكولوجيته ، والتنفيس عن مكبوتاته الجنسية ، وتحقيق رغباته التي لا يمكن من ممارستها في الواقع نظرا لكونها تتعارض مع قيم مجتمعه ، أو أنها تخرج عن نطاق حدود قدرته الذاتية المحدودة بطبيعته البشرية ، وبالزمان والمكان وكذلك تحقيقا لميوله ونزعاته في تحقيق الخير المطلق ، وخلق عالم مثالي ، تزول منه كل العوائق التي تحد من تحقيق ذات الفرد[216].

- التقرب إلى الله عن طريق تقديس الولي وطاعته، فهو مجلبة للخير والسعادة ، والإحتماء به من أساسيات الدين في نظرهم.

[216] عبد الحميد بورايو،**المرجع السابق**،ص55

- التمسك بتعاليم الدين ، لاسيما ما تعلق بمبادئ وأركان الدين الإسلامي ، وهذا ما لمسه كافة الكتاب والمؤرخين للحقبة العثمانية.

- الإستقرار الروحي في الدارين ، الدنيا والآخرة.

- اخراج الجن ، حيث ساد الإعتقاد أن الإنسان يتلبسه الجن ، ويجري في جسده مجرى الدم.

2- **التأثير النفسي والصحي:** الأمراض النفسية كثيرة جدا ، والأكثر انتشارا نذكر منها ، القلق ، الخوف ، الجبن ، البخل ، الغضب وغيرها.

والغضب عند العالم الإيراني ابن سكوية هو في الحقيقة حركة للتنفس يحدث لها غليان دم القلب وتمتلأ الشرايين والدماغ دخانا مظلما ، بذلك يعمى الإنسان عن الرشد ويصم عن الموعظة. أما الغضب عند الغزالي هو شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

ويقول العالم النفساني " د. كاميلا أندرسن " أن التجارب الخاصة التي قمت بها في تشخيص الأمراض النفسية ، أقنعتني بصحة قاعدة وهي : أن لجميع الاضطرابات التي تحدث في الوظائف الجسدية سواء منها ما كان شعوريا وما كان غير شعوري له علاقة وثيقة باضطرابات جسمانية خاصة.

فهو يرى أن كل عضو من أعضاء الجسم يصحب مرضه النفسي ، إذ أن هناك علاقة بين مرض القلب والاضطرابات الوجدانية وبين مرض الطحال والكسل والمعدة والكآبة وضيق الصدر وبين مرض الكلية أو عجز الأمعاء عن القيام بوظائفها والتراخي في السلوك وعقم التفكير وبين مرض الكبد وسوء الظن والخشونة في معاملة الناس وبين وجع الركب والتردد وبين وجع القدم أو الساق وعدم القدرة على الإبداع ، وبين الروماتزم والعناء والتراخي في تحديد الغرض من العمل والسعي إليه[217].

إذا سلمنا بما سبق ، وأن كل الأمراض النفسية مصدرها عضوي ، أي أن الإنسان يعاني من مرض جسدي ، وأصبحت عنده تخيلات وهمية ، فأصبح يشكو من أمراض نفسية ، وعلاجها ليس عند الطبيب والأدوية ، بل الولي أو المشعوذ أو الكاهن هو الملجأ ، وأهم الأمراض التي كان يرجى التخلص منها ، وهي ظاهرة عامة عند معظم الجزائريين خلال العهد العثماني هي:

- الترفيه عن النفس

- علاج ضد الكآبة .

- مجابهة الوسواس

[217] -علي عمار،**ظاهرة التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية في منطقة غرابة**،رسالة ماجستير، إشراف د. بن باجي مشرفا ود. سعيدي محمد مشرفا مساعدا ، تلمسان، 2001، ص- ص 60-63.

- الراحة والهدوء

- اتقاء الشرور

- محاربة العين والحسد

- الحصول على البركات والخير...

- التخلص من السحر والعين الحاسدة...

أما الأمراض الجسمانية كثيرة هي أيضا ، وعلاجها لا يكون إلا بالقرآن الكريم ، فهو يشفي الأمراض الروحانية وأيضا الجسمانية.

فالأمراض الجسمانية يتم تطبيبها عن طريق التبرك بقراءة القرآن الكريم

وأما الأمراض الروحانية ، فهي أيضا بفضل القرآن الكريم الذي يقضي على الاعتقادات الباطلة ويرشد إلى الأخلاق الفاضلة ، والأعمال المحمودة ، وقد نجد عند فئة من المجتمع الجزائري التي كانت تنظر إلى بعض الفئات سواء أحياء أو موتى من أنها أقدر لتوفير الشفاء من غيرها ، فكانت ترى في :

-المرابط: دور ومنصب المرابط في وظيفته العتيقة محددين بالضبط ، فهي تتلخص في الدين والثقافة وأعمال الخير التي تهدف إلى السلم الاجتماعي ، فالمرابط هو قبل كل شيء من أولياء الله قبل أن ينتمي إلى أي طرف ، وحياده تجاه الطوائف يجعل منه حكما

لا ينكره أحد وينظر إليه عادة على أن الرجل الذي يقف مجرد اليدين من السلاح بين الصفين المتحاربين[218]

-الشريف: هو كل من أصله من المغرب ، واستقر بالبلاد ، وقام بعملية التدريس في القبيلة ، وحظي باحترام السكان لعلمه ومقامه ، وفي فك النزاعات وتدريس الشريعة الإسلامية سمي بالشريف.

-الصالح: إِذا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ "، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : مَا اسْتَعْمَلَهُ ؟ قَالَ : " يَهْدِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْعَمَلِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَى ذَلِكَ[219].

قال رسول الله (ص): من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله[220].

- انتظار الشفاء

- الحفاظ على الصحة وسلامة البدن

- محاربة الكسل والخمول

- مجابهة داء الكلب

- مرض الصرع

---

[218] محفوظ سماتي، **مرجع سابق** ، ص 65.

[219] حديث قدسي، **صحيح البخاري المصدر السابق الرقم 6502.**

[220] ابن قيم الجوزية، **الطب النبوي**، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،بيروت، 1982،ص 29.

- مرض الليل عند الأطفال.

وكانت هذه الأمراض تعالج عن طريق اللمسة المبروكة ، أو الكي ،أو الأعشاب ، أو التمائم، أو طريقة الرشم ، أو طريقة الخيط والعقد السبع.

3- التأثير الاجتماعي والتربوي:

- الإمتثال إلى عرف المجتمع ، وتلك هي قاعدة أساسية لايجوز تجاهلها أو إنكارها أو عدم صيانتها والحفاظ عليها.

- التآزر والتعاون ، في مختلف مجالات الحياة في السراء والضراء.

- الحماية والأمن ، من مفزعات الدنيا وما يختلجه الإنسان في داخله من خوف.

للخرافة حسب ما سبق علاقة وطيدة بالمجتمع ، حيث تنسج له حلول آلامه وآماله ، وبالتالي تساهم في إعادة توجيه نظرة المجتمع إلى ظاهرة معينة أو إلى التكاتف والتعاطف والتآزر بين من تتشابه وتتقارب بينهم الأغراض المرجوة ، وبالتالي تزيد الثمار الإجتماعية خاصة إذا لجأ راويها إلى مزجها برصيد ديني، فتؤدي أغراضها بصورة كبيرة.

الخرافة ليست تسلية أو تلهية ، أو وسيلة لملء الفراغ والإنتقال من وضع إلى آخر، بل لها أغراض تربوية وأخلاقية ، فمن بين ما تحمله في طياتها ، الدعوة إلى الخير والإحسان ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجنب الشر، وهي مبادىء قديمة قدم

الزمان ، فتلك القيم موجهة للرجل والمرأة والطفل ، للكبير والصغير، فهي تدعو إلى تغليب الخير على الشر، الدفع بالفضيلة ضد الرذيلة ، ذلك الصراع الذي ظهر منذ ظهور الإنسانية ، أوامر إلاهية تدعو للحسنى ، وأفكار شيطانية ابليسية تدعوا لمعارضة قول الله عز وجل ، تلك المبادىء التي جاءت بها كافة الكتب والصحف السماوية ، إذا هي مدرسة في الفضاء العام ببرنامج محدد المعالم ، من اهدافة حماية الأخلاق الإنسانية النبيلة.

ونلمس غالبا ، بل دائما في الخرافة أن من يقدم وينشر الطاقة السلبية هو الخاسر في النهاية ، وأن صاحب الطاقة الإيجابية هو الرابح والفائز، وبالتالي فهي الوسيلة الرئيسية في التبليغ عن المظالم ، وإبراز عواقب المفسدين والظالمين ، ومساندة الضعيف والفقير، وهذا الأمر لا يقتصر على بني البشر بل تشمل حتى الحيوانات وكل الكائنات.

بهذا تطهر الخرافة السلوك الأخلاقي للناس ، حيث تقوم بدور التربية والتهذيب عن طريق التحذير والتخويف من سوء العاقبة. وتعيد الإحساس الإيجابي للإنسان.

إلى جانب ما سبق ذكره من انعكاسات ، يسعى الراوي للخرافة ،إلى تفعيم الخرافة بأسلوب خاص ، يجعل التشويق فيه أحد الأعمدة الرئيسية حتى يتمكن من تلقين والتوصل إلى الأغراض المنشودة ، في النهاية تكون الخرافة حاملة من جهة رسالة انسانية ، ومن جهة ثانية تنشر الترفيه والمتعة والترويح على النفس عند المتلقي.

إن عامل التشويق والإثارة عاملان رئيسيان في الخرافة ، يسمحان بحمله وبمرونة إلى القبول والإيمان بما يسرد له. لأن بداخله تساؤلات عجزت التفسيرات العلمية شرحها ، وبهذا تكون للخرافة وظيفة تفسيرية تعليلية للظواهر الغامضة ، تبعث الشعور بالآمان والإطمئنان ، وهكذا يعيش الإنسان المتدين في نوعين من الزمن حيث أن أكثرهما أهمية هو الزمن المقدس[221] .

في النهاية ، للخرافة دافع نفسي هدفه التسلية والمتعة وخصوصا التخفيف والترويح عن الأنفس من الواقع ، والإفصاح عن المكبوتات. والحفاظ على التوازن النفسي والإجتماعي.

ثالثا: دورها في تقارب وتماسك وانسجام الأهالي:

أ- دورها في تقارب وتماسك الأهالي:

إن النظام الإجتماعي هو مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحدث بصورة منتظمة داخل المجتمع ويرمي كل نمط من تلك الأنماط إلى تحقيق هدف محدد بذاته ، وبموجب هذا الأطراد من السلوك النمطي تحدث حالة من التقنين الإجتماعي بما يتفق ويتواءم مع حاجة الفرد والمجتمع[222].

[221] شهيرة بوخنوف ، **أساطير وطقوس الإستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة**،رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو،الجزائر، 2012م، ص 59.
[222] جمال سلامة علي، ،**المرجع السابق**، ص 53.

يقال أن الوعي يولد مع ولادة الإنسان ، وينمو ويتطور حسب البيئة التي يعيش فيها ، وعلى هذا الأساس يؤكد العلماء على المحيط الضيق والمقصود به الأسرة والمحيط الواسع والمقصود به الدولة التي يعيش فيها أو الدول المتعامل معها ، أو الظرف العام الدولي ، فالبيئة هي المحور الأساسي والرئيسي الذي يتحكم في سلوك الفرد وفي تكوين شخصيته ، قال جون جاك روسو في كتابه العقد الإجتماعي " يولد الإنسان حر وهو في كل مكان مقيد بالإصفاد" الأغلال". وعن ترجمة عادل زعيتر فيقول يولد الإنسان حرا ، ويوجد الإنسان مقيدا في كل مكان ، وهو يظن أنه سيد الآخرين وهو يظل عبدا أكثر منهم[223] .

وبما أننا بصدد الحديث عن الأسطورة والخرافة في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد اكتسب المجتمع الجزائري وبأصح التعبير الأهالي مجموعة من العادات والتقاليد وجدها الفرد داخل الأسرة ، فكانت العرف المتعامل به، ولا يمكن أن ينسلخ عنه ، فهو مقيد ، مجبر أي يساير ويتعايش ويعيش هذه العادات ، ويعمل على الحفاظ عليها هو بدوره كذلك ، لأن تجاهلها أو إنكارها يعني تجاهل الأصول ، وعدم الإنقياد للأوامر الأسرية ، ومنه يكون الإنضباط الأسري أساس التضامن والتماسك والألفة والقوة ، فيمثل العصبية ويحدد بها إنتماءه .

[223] جون جاك روسو،**العقد الإجتماعي**،تر:عادل زعيتر،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،مصر،2012،ص 23.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فالفرد يكتسب من محيطه الأوسع أي مجتمعه عادات وتقاليد تدفعه على أن يتجاوب معها ، حتى يكون مقبولا من الغير أو الآخر، وهنا أيضا يجد نفسه مجبرا على التقيد بها ، حتى يتمكن من الإنخراط فيه بسلاسة ، بعيدا عن الشبهات أوالعزل. فوجد في الجزائر العثمانية الأشجار الصالحة، والجبال الصالحة والحيوانات الصالحة ، والينابيع االصالحة ، والأضرحة الصالحة ، والمقامات الصالحة ، والقبب الصالحة ، وأشخاص على قيد الحياة صالحون ، كلهم أصبحوا مزارات يهدون إليهم ما يمكن إهداءه ، وتتحول هذه المزارات أحيانا إلى أماكن للحج وتقام الزردة " الوعدة " وكل ذلك من أجل طلب المطر أو رفع الأوبئة أو غبرها من الأمور التي تساهم في رفع الشدة عن الإنسان [224].

لا يمكننا أن نتصور أنه تبادر إلى ذهن الجزائريين خلال العهد العثماني أنهم إختلفوا حول حقيقة الأساطير المتداولة بينهم ، ومنه:

فالمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، عرف إنضباط إجتماعي في السلوك والمعاملة نتيجة التعاطي مع الأساطير والخرافات ، فأصبحت القواعد والنظم العرفية هي المهيمنة في جل المعاملات دون معرفة أصولها وأهدافها ،وهذا في ظل ما تكون اللغة قد أنشأته في ضمير أعماق الفرد من إحساس بوحدة الرابطة العقلية والنفسية والوجدانية والتي تشد أفراد الجماعة إلى بعضهم بعض ، عبر الإتصال الدائم الفردي

[224] أ.كور،**بحث في الزوايا الدينية الإسلامية**،المجلة الإفريقية، المج: 62، 1921 ،ص- ص 85-139.

والجمعي في وسط ونظام معين من العمل والأفكار ، والعلاقات الإجتماعية والإنتاجية ، وعبر النظام اللغوي والدلالات المعبرة عن هذا الإتصال ومن خلال علاقة اللغة بالفكر وعلاقة هذا الأخير بالواقع ، تصبح اللغة أحد عناصر التأسيس اللازمة والأهم في تحديد الهوية ، ليصبح القول أن الأمة في تكوينها النفسي والوجداني والعقلاني هي نتاج اللغة والثقافة المشتركة[225] ومنها الأسطورة والخرافة التي توسعت وانتشرت ، لأنه لم توجد رقابة لمعرفة مدى تماشي ذلك العرف مع العقيدة الإسلامية التي يدين ويؤمن بها ، ولأن الدولة العثمانية تساهلت في محاربة البدع والخرافات والعادات والتقاليد البالية والأساطير،لأسباب قد أرجعها بعض المفكرين إلى طبيعة الحكام العثمانيين ، الذين كانوا على نفس النسق مع الطرق الصوفية والزوايا، التي كانت تشجع على ممارسة الطقوس ، ما دامت أنها قد إكتسبتها مودة الأهالي ، ومكنتها من الإحتفاظ بمركزها السياسي بالنسبة للعثمانيين، وبمركزها الإجتماعي بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية.

من هنا ، نستخلص أن انعدام الضبط الرسمي أي من طرف الدولة العثمانية من جهة، ووجود الضبط الإجتماعي المتمثل في الزوايا والطرق الصوفية ، قد ساهما بقسط أوفر في تنامي ظاهرة الأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري ، ومن هنا أيضا بدأ التلاعب بالقيم الصحيحة واستبدالها بقيم في معظمها خاطئة ، دون وعي من طرف الأهالي ، فانجر عنها تخلف وتراجع في الأنماط السلوكية المتحضرة ، التي امتاز بها

[225] جمال الدين الخضور،**عودة التاريخ: الأ نتروبولوجية المعرفية العربية** ،ج1،،منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997،ص 98.

عالم الغرب في نفس الحقبة الزمنية ، لأن رواد الفكر سلموا أنفسهم للقدر دون الأخذ بالأسباب.

الوظائف النفسية والبيولوجية التي تتمثل في تلبية الحاجيات النفسية والبيولوجية للفرد ، وتنمية سيكولوجيته ، والتنفيس عن مكبوتاته الداخلية ، وتحقيق رغباته التي لا يمكن من ممارستها في الواقع نظرا لكونها تتعارض مع قيم مجتمعه ، أو أنها تخرج عن نطاق حدود قدرته الذاتية المحدودة بطبيعته البشرية ، وبالزمان والمكان وكذلك تحقيقا لميوله ونزعاته في تحقيق الخير المطلق ، **وخلق عالم مثالي** ، تزول منه كل العوائق التي تحد من تحقيق ذات الفرد[226].

رسخت الأسطورة والخرافة في أذهان الأهالي من خلال الممارسات لبعض الأفكار كانت سببا في **تكوين النسيج الإجتماعي** وأصبحوا على يقين أن **التراث والتاريخ قادران على الحفاظ على شخصية وهوية الإنسان عن طريق:**

- **النظـــــــام:** يقصد به السيرة والهداية ، كما يقصد به الترتيب والتنسيق والطريقة والعادة.

- **البناء الإجتماعي:** وهو الأداة التي يتحقق بها انضمام الأفراد إلى بعضهم بعض وتآلفهم.كما يقصد به وفي نفس السياق ، هو النسق الذي يربط أفراد المجتمع أو الضوابط

[226] عبد الحميد بورايو، **المرجع السابق** ،ص55.

الإجتماعية التي تقوم بترتيب الأفعال وانتظام العلاقات من أجل أهداف اجتماعية ، وفي الختام فالنظام الإجتماعي هو الذي يشير إلى الإختيارات والقرارات الإجتماعية الواقعية ، وفي نفس الوقت فالبناء الإجتماعي يشير إلى العلاقات الإجتماعية الجوهرية التي تعطي للمجتمع صورته الأساسية والتي تحدد الفعل الإجتماعي[227].

- **النظام الإجتماعي:** هو مجموعة من الأنماط السلوكية التي تحدث بصورة منتظمة داخل المجتمع ويرمي كل نمط من تلك الأنماط إلى تحقيق هدف محدد بذاته ، وبموجب هذه الأطراد من السلوك النمطي تحدث حالة من التقنين الإجتماعي بما يتفق مع حاجة الفرد والمجتمع[228] .

لعبت الخرافة دورا كبيرا في حياة أفراد المجتمع الجزائري ، ليس فقط باعتبارها جزءا من الموروث الثقافي الشعبي ، وإنما **لتحكمها وسيطرتها** أيضا على نمط تفكيرهم وتعاملهم مع البيئة والظواهر المحيطة بهم.

ب - أثار التطور الفكري عند الأهالي خلال العهد العثماني:

بتواتر الأزمنة ، استطاع المجتمع الجزائري أن يكتسب كما هائلا من التراكمات ، ساهمت في تطوره الفكري ، كونه عاش تلك الحالات والوضعيات المختلفة ، مما فيها

[227] محمد عاطف غيث، **قاموس علم الإجتماع**، دار المعرفة الجامعية،2008، ص 430.

[228] جمال سلامة علي،**المرجع السابق** ، ص 53 .

من أمور ايجابية وسلبية ، دون أن تحقق له شخصيته بين الأمم. فكانت تلك العصور والأزمنة بمثابة مدرسة تحصل خلالها على ثقافة[229] بناءة ، ساعدته في مستقبله لبناء نفسه ، محتفظا بأدوات البناء الإجتماعي من دين ولغة وتاريخ وعرف وأساطير وخرافات التي سايرته طوال حياته ، فأصبح رصيده الإجتماعي والسياسي كاف لينتقل إلى مرحلة جديدة ، ومما تعلم وعاش ،في ظلها ، الخلافة ، العصبية ، الأمة ، الدولة.

الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها،إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة ، العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء ، واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي[230].وبهذا المنظور كانت السلطة العثمانية تمثل الخلافة الإسلامية وإن كانت لم تحضى بالقاييس المذكورة سالفا أحيانا ورغم ذلك فقد اكتسبت بيعة الأهالي لمدة طويلة من الزمن. وعن ذلك يقول العلامة ابن خلدون " أن البيعة هي العهد على الطاعة ، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر

[229] حسب مالك بن نبي العالم الجزائري، فالثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى ، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة ، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الإجتماعي...
وبخاصة إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية.
وعلى هدي هذه القاعدة تشتمل الثقافة في معناها العام على إطار حياة واحدة... ولذلك فإن الثقافة تتدخل في شؤون الفرد وفي بناء المجتمع ص 53

[230] مقدمة ابن خلدون،**المقدمة**، المصدر السابق ، ص 189

نفسه ، لا ينازعه في شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر...وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيدا للعهد[231].

وفي ظل الحكم العثماني ، بقي الإنضباط الإجتماعي الميزة الرائدة ، ولم تتمكن السلطة الحاكمة من دمج الأهالي وذوبات الهوية المحلية في الهوية العثمانية بالرغم من وحدة الدين ، فكانت العصبية للثقافة الشعبية وعصبية الدم هي المصدر، ويقصد بها:

لغة، مصدر كلمة التعصب ، كما تطلق على ذوي القربى ، وهي بصلة اشتقاق إلى كلمة العصب ، بمعنى الشد والربط ، والعصابة معنى الرابطة.

اصطلاحا ، عرفا ابن خلدون أنها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة.

ومن بين أسباب فساد العصبة حسب ابن خلدون:

- لا عصبية بين الترف والنعيم

- لا عصبية مع الخضوع والإنقياد.

وأما عن شروط العصبية وفعالياتها فيقول:

- القرابة والملازمة

[231] - **نفسه** ، ص 205

- المصلحة المشتركة

- العدوان والتهديد

- نقاء النسل والفضيلة

- وجود عصبية عامة جامعة لعصبيات متفرقة

- وقوع الدولة في مرحلة الهرم.

إذا كان العهد العثماني بالجزائر قد دشن بالتأييد والمبايعة للعثمانيين قصد الحصول على دعمهم في مواجهة التحرشات الأجنبية ، فإن أواخر هذا العهد اختتم بتمرد كبير من قبل الطرق الصوفية التي تمردت على السلطة العثمانية ، لما جاءت به من مراسيم ضريبية أثقلت كاهل السكان ولا سيما سكان الأرياف والذين كانوا يمثلون السكان المحليين كما رأينا سابقا ، فانطلقت المقاومات في جل أنحاء الجزائر، ولعل أبرز نموذج يمكن متابعته ، هي مقاومة الحاج محمد بلحرش ، يقول عنه بربروقر أدريان في المجلة الإفريقية تحت عنوان:

مرابط قبائلي سنة 1804 الحاج محمد بلحرش[232]:

كانت ومازالت ثورته في منطقة القبائل أحد الرموز الراسخة في أذهان سكان منطقة القبائل، الثورة التي راح ضحيتها أحد بايات قسنطينة وعدد كبير من أفراد جيشه

[232] Berbrugger Adrien,**Un cherif kabyle en 1804**,R.A, T : 3 , 1858,P209.

كانت أولوية الحاج محمد بلحرش هي حماية الفقراء وتوفير العيش لهم، سرعان ما تحول إلى قائد ثورة على إثر صوت انبعث من تحت الأرض يقول:

"الوقت قد حان ، الله سيخلصكم من المستعمرين للبلاد، محمد بلحرش قائدكم، إنه صاحب الوقت، انهضوا جميعا، إن الله سيمنحكم عنابة وقسنطينة وحتى مدينة الجزائر."

فكانت هذه العبارات بداية لثورة 1804م، ويقول الفرنسيون إنَّ بعد غزوهم اكتشفوا في المكان الذي خرجت منه العبارات ووجدوا الكوثر لبلحلرش مخزون في قبره ويعتقد أن منه صدرت تلك العبارات .

لابد من الإشارة إلى البعد الذي تبناه بلحرش ألا وهو تحرير البلاد وتكوين كيانا مستقلا وقويا برجاله وممتلكاته فالهدف وإن كان محليا في البداية أصبح فيما بعد يعد بداية التفكير واللبنة الأولى في تشكيل الدولة.

يطلق مصطلح دولة على كل إقليم أو رقعة جغرافية ، محددة المعالم ، يخضع سكانها لنظام سياسي ، تتميز بسيادتها ، وتمتلك من القوة ما يسمح لها بحماية وحصانة التراب والشعب ، وعلى هذا الأساس فهي تتكون من ثلاثة عناصر هم الأرض ، الشعب ، السلطة ، وزوالها يكون بزوال أحد عناصرها.

وتبقى الدولة كبقية الكائنات الحية تمر بعدة مراحل ، هي مرحلة الشباب ، مرحلة النضج ، مرحلة الشيخوخة فالإنهيار، كما حددها ابن خلدون عندما عرف

الحضارة.حيث قال،اعلم أن العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمنجمون مئة وعشرون سنة...ويختلف العمر في كل جيل بحسب الفرانات، فيزيد عن هذا أو ينقص منه...ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون سنة إلا في الصور النادرة كما وقع في شأن نوح عيه السلام وقليل من قوم عاد وثمود ، وأما أعمار الدول أيضا وإن كانت تختلف بحسب الفرانات ، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال ، الجيل ألأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها ، وأما في الجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة، وأما في الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن[233].هذا الذي يمر به الشخص في عمره الطبيعي ينطبق تماما على الدول.

وأما أركان الدولة في العصر القديم وبالضبط خلال العصر الوسيط كانت تعتمد على:

- السلالة الأسرية المسترسلة في الزمن

- الحاضرة الميكنة المستقطبة للجماعات والعصبيات، بما هي مهد الكرسي والسدة ، وعاصمة للسلطان[234].

---

[233] - ابن خلدون،**المقدمة**،المصدر السابق،ص،ص 170،171.

[234] عشراتي سليمان، **الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 21.

رابعا: تفاعلات المجتمع الجزائري:

إن التقارب والتعاون والتضامن بين شعب من الشعوب هي التي تصنع المخيال الإجتماعي والديني والثقافي لذلك الشعب ، وتلعب دورا مهما في الأفعال السلوكية ، والتفاعلات الإجتماعية فيما بينهم وبين الآخرين. كما أن اللاشعور الجمعي يساهم بشكل كبير في تكوين اعتقادات أسطورية تلازمه في سيرورته.

إن الاعتقاد الأسطوري حسب هذا التصور لا يتصل بدرجة التعلم والتثقف ، بقدر ما يتصل بالمخيال الشعبي، والاعتقاد بالأسطورة ، والخرافات ، والسحر ، والعرافين ، وكشف الفأل ، والعين الشريرة ، وغيرها ما زالت معشعشة في أذهان الكثير من الشعوب[235] ، ومنها الشعب الجزائري.

1- التفاعل الديني :

حين عجز العلم عن تفسير بعض الظواهر استغل المتصوفة الفرصة لربط ذلك بأمور خيالية غير عقلانية ولعب الدراويش الدور الحاسم فيها، فامتزجت الأساطير والخرافات بالشريعة الإسلامية إلى درجة أنك لا تتمكن من التمييز بينهما خصوصا مع قوة الإقناع التي إكتسبها رجال الطرق الصوفية، فأضحت هيمنة المتصوفة والمشعوذين والكهنة على نفوس وعقول

[235] محمد مصطفوي،**الدين والأسطورة:دراسة مقارنة في الفكر الغربي والإسلامي**،ط1، دار الإنتشار العربي، بيروت، 2014 ،ص 276.

الأهالي أمرا بارزا. فالمجتمع الجزائري بطبعه مجتمعا مسلما فقد حافظ على الشريعة الإسلامية وبقي على مذهبه المالكي ، واندرج في مخياله أن البقاء للأقوى ، ولن تتأتى القوة إلا بالتلاحم والتعاون والتآزر وهو الأمر الذي ركز عليه الدين الإسلامي وفي نفس الوقت الأساطير والخرافات.

2- التفاعل الإقتصادي :

كانت معظم الصنائع والحرف وأشغال الفلاحة ، والبناء لا تتم إلا في إطار تعاوني كما كان يعرف ولا زال بالتويزة ، وتندرج أثناء هذه الأنشطة أغاني وأناشيد دينية للتخفيف من المعاناة ، والإطعام هو واجب وصدقة في نفس الوقت. أيضا من أبرز التفاعلات في هذا المجال الإعتماد على الإنتاج المحلي ، أي ما تنتجه القبيلة أو العشيرة ، على عكس أن المدينة التي كانت تعتمد في غذائها على ما ينتجه الريف وينقل إليها .ونفس ذلك يتم في حفلات الزفاف والمناسبات الأليمة حيث يتجند الجميع لمؤازرة بعضهم البعض.

3- التفاعل الإجتماعي :

تجلت مظاهر الوحدة وتجسدت في عدة طقوس احتفالية دينية أو موسمية ، في مقدمتها **"** الوعدة **"** ، الحديث عن هذه الظاهرة هو حديث عن الطقس باعتباره اللغوي إشارة إلى الطريقة الدينية ، أو هو

بمعنى النظام والترتيب وإقامة الشعائر...يقول فراس السواح بقوله مجموعة من الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية ، وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية.أي شكل من أشكال العبادة الدينية أو مظهرا يضفي على الحياة الإجتماعية طابعا من التقييد التنظيمي والتعبير الإحتفالي[236]، أي أن الفرد أصبح ملزما للقيام به.

فكلمة الوعدة مشتقة من الفعل وعد بمعنى تعهد وإلتزم، وفي العرف الشعبي هي عبارة عن احتفال ديني يقوم به أبناء أو أحفاد أو سلالة ولي من الأولياء أو التابعين لطريقته قصد التبرك ، فهي فرصة للإلتقاء من أجل التكافل الإجتماعي ، وبهذا شكلت الوعدة تراثا شعبيا يطبع سلوك الناس وأفعالهم ولا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عنها وفي حالة حدوث ذلك يصبح الإنسان منبوذا وليس له مكانة في الأسرة أو العشيرة أو القبيلة.

كما تندرج ضمن الأساطير والخرافات قصص الأولياء، فيتناول أولياء محليين لا تتجاوز شهرتهم حدود القرية الواحدة أو الناحية التي يوجد بها ضريح الولي ، وهي عبارة عن روايات قصيرة تتناول معجزات هؤلاء الأولياء ، وهذه المعجزات يحفظها أهل القرية

[236] كريم خيرة، **ظاهرة الوعدة في الجزائر بين الإعتقاد والممارسة**، مجلة آفاق، مج:3، ع:2، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس ،2015م، ص 183.

ويروينها للوافدين من الغرباء، وتمثل جزءا **من معالم موطنهم** وتراثهم الذي يفتخرون به[237].

كما تجسدت وحدتهم في الإقامة بالريف في غالبيتهم مقتنعين أن مصدر الثراء والحضارة الريف لا المدينة ، معتمدين على العمل التعاوني في الفلاحة والنسيج وغيرها من الأعمال ، كما المصاهرة كانت في معظمها بين الأقارب ، أو من نفس المنطقة ، وأما طبيا ، فالإعتماد على الأعشاب هي الميزة الخاصة بهم.

4- التفاعل الثقافي :

حين غابت السلطة العثمانية عن واجبها الثقافي والتعليمي ، لم يبخل الأهالي وقاموا بدورهم وحسب امكانياتهم لتطوير وتوفير هياكل هذا القطاع ، فكانوا وراء بناء المساجد والمدارس القرآنية والزوايا وحتى القبب حتى ينال هم وأبناؤهم نصيبهم من العلوم وخاصة العلوم النقلية التي كانت علوم العصر آنذاك. وتحسين مستواهم في اللغة العربية ، ومجالسة العلماء ورجال الدين الذين وجدوا ترحيبا وتبجيلا.كل هذا لم يكن مسجلا في دستورا أو صحفا ، بل بمجرد الإعلان يتجند الجميع ويسهم كل واحد بما ألزمته به الجماعة سواء كان ماديا أو معنويا أو جهدا عضليا.

[237] عبد الحميد بورايو، **المرجع السابق** ، ص 110

5- التفاعل القضائي :

أن السلطة القضائية التي تمثل السلطة الثانية بعد السلطة السياسية، كانت تشمل محكمتين متساويتين الإختصاص، مكونة من مفتيين وقاضيين ، أحدهما مالكي والآخر حنفي ، تحتكم بين الناس على أساس الشريعة الإسلامية ، فالأول إعتمادا على المذهب المالكي ، والثاني إعتمادا على المذهب الحنفي ، ضف إلى ذلك المناطق المعزولة في الأرياف كانت تخضع في تحكيمها لعلماء المنطقة والمرابطين المحليين، وهذا ما يجسد التفاعل بين الأهالي ، مفضلين فك الخصومات والنزاعات أمام العالم أو شيخ الزاوية بدلا من نقلها إلى المحاكم وبالتالي تتعكر العلاقات .وفي حالة ما إذا نقلت القضايا إلى المحاكم ، فيقول فيرو المستشرق الفرنسي " القاضي يحكم والجماعة بإمكانها إلغاء الحكم.

خلاصة :

وجدت الأسطورة في المجتمع حاملة لتاريخه ومنظومته الفكرية ، وتعكس ثقافة المجتمع الذي صنعها سلبا أم ايجابيا ، إذ لا يمكن أن نحكم مسبقا بالسلبية على هذه

الأسطورة أو تلك لأنه من المحتمل أن تكون هذه الأخيرة إيجابية تساهم في ازدهار المجتمع ونهضته[238].

على العموم، الأسطورة هي قصة أو مأثورة أو حكاية تحمل سمات العصور القديمة البعيدة أو القريبة ، وتفسير معتقداتهم في آلهتهم وأبطالهم وخوارقهم ومعتقداتهم الدينية، إلا أن مع مرور العصور تحول البطل من إله إلى إنسانا بشريا، وبهذا اتسع نطاقها وشغلت بال الشعوب وأصبح لكل شعب أساطيره الخاصة به، وباتت تراث الجماعة المشتركة لترسيخ سيطرة عشيرة أو أسرة أو نظام اجتماعي.

القدرة التي يمتاز بها **كل مجتمع على إنتاج ذاته باستمرار**، وذلك عبر إنتاج وتحديد حقله الاجتماعي والثقافي ووسطه التاريخي الذي يميزه تاريخيا وسوسيولوجيا[239] .

[238] عبد الرحمن بوزيدة،**قاموس الأساطير الجزائرية** ،منشورات مركز البحث الأنثروبولوجية الإجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005، ص79.

[239] محمد أزرازي، **الأبعاد السوسيولوجية والرمزية للممارسات الصوفية في الجزائر**، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،ع:خاص، مصطفى اسطمبولي،جامعة معسكر، الجزائر،عام 2008،ص 72

خاتمـــــــــة

خاتمــة :

إن العرب والمسلمين مثلهم مثل باقي شعوب العالم ، استحوذت عليهم العادات المشتركة ، ولعبت الفرق المتصوفة دورا كبيرا في خلق أساطير وقصص لم ينزل الله بها من سلطان.

إن الأسطورة كانت تشكل العمود الفقري للثقافة الدارجة قبل الإسلام ... إن الحرف ، والصناعات ، وغزل الصوف ، ودبغ الجلود ، وعجن الدقيق وغيرها اتصفت منذ القديم بطابعها الأسطوري[240] .

إذا أخذنا بمبدأ أن الأسطورة في أصولها الأولى ظاهرة اجتماعية تعبر عن مجمل تأملات الجماعة وحكمتها[241] في بعدها الإجتماعي، وهي الحلم الذي يداعب النفس على الرغم من قسوة الواقع وهو الأمل في حياة أفضل، وتكون لغة الحلم والأسطورة واحدة فهم تستعملان نظاما إشاريا محملا بالدلالات والرموز[242]، وأن التحليل النفسي مرتبط دوما بين الأدب والأسطورة في البعد النفساني حيث كان الإنسان في بادئ الأمر لا يستطيع تحليل الظواهر، فوصفها كلها في رموز تعكس طريقته في الحياة على شكل رواية خرافية أو بالأحرى أسطورة تطورت عبر الزمن وأخذت أشكالا من أجل تفسير

---

[240] محمد مصطفوي،المرجع السابق، ص281

[241] محمد موساوي، **الأدب والمجتمع**، د.ط، دار الأمل للنشر والتوزيع، 2009م، ص 49

[242] عزالدين جلاوجي،**سلطان النص: دراسة في الروايات**، د.ط ، دار المعرفة، وزارة الثقافة، 2008م،ص446

طبيعة الكون ومصير الإنسان .فكانت بذلك الأسطورة وسيلة للتأمل في الطبيعة وفهمها . ولطالما احتلت الأساطير جزءا كبيرا من التراث الشعبي الذي هو منبعها باعتبارها ظاهرة إنسانية ارتبطت بالوجود الإنساني ذاته. إذ يمثل التراث الشعبي ثروة كبيرة من العادات والتقاليد والقيم والفنون والمأثورات الشعبية، ويعبر عن ذاكرة الأمة وهويتها لإرتباطه بثقافات الغير ويحمل في طياته التقاليد والعادات والقوانين السائدة، ويكشف عن مكنونات حياة شعب من الشعوب.

الأسطورة هي في غالبها خيال ، وأساسه الخرافة ، سميت كذلك لأنها تعتمد على مظاهر خارقة للعادة ، حين عجز الإنسان في تحقيق السعادة ، راح به الخيال إلى تصور ما يمكن أن يسعده وهذا ما نتج عنه الإبداع والإختراع والإبتكار.

فإذا كانت الأسطورة ترمز إلى التاريخ المشترك ومرجعية لمجموعة من الأفراد يتقاسمون فكرا ، فهي إذا **آداة محورية** في فاعلية انتقال الذاكرة الجماعية من ناحية والدفع **بظهور فضاءات انتاج جماعية جديدة**.

قال المؤرخ الفرنسي" أوغستين تيري " إنَّ المجتمعات الإنسانية لا تحيا فقط في الحاضر وإنَّما يهمها معرفة من أين انحدرت لتستطيع أن تبيّن وجهتها في المستقبل، ذاك ما يؤكد أهمية التراث في بناء الأمم.

فعلا، هذا ما يمكن ملاحظته في تاريخ الجزائر ، حيث أن العنصر المحلي خلال الوجود العثماني وما قبله كان قد اكتسب مجموعة من القيم الإجتماعية والفكر الديني جعلتهم متمسكين ومنظبطين أسريا وعشائريا وجهويا واقليميا حولها وبها، محافظين على تراثهم المادي وألا مادي، فكان للترابط والتآزر والتعاون ما يفسره، سواء ما أحدثته الأسطورة والخرافة والدين الإسلامي في طبيعة العلاقة بينهم، كما كان لسياسة التهميش[243] المنتهجة من قبل السلطة العثمانية ضد الأهالي ، الأثر البارز في وحدتهم ما دامت أنها الفئة المهضومة الحقوق ، والمتميزة اجتماعيا بثقافتها المحلية وتراثها وبخاصة ما أفرزته الأسطورة والخرافة بأن جعلت منهم أمة تختلف كل الإختلاف عن الأتراك العثمانيين، هذا ما أدى إلى قيام مجموعة من الثورات الشعبية التي قادها زعماء الطرق الصوفية والزوايا ولعل أبرزها:

- ثورات الكراغلة سنة 1629م و 1633م

- ثورات منطقة جرجرة خلال أعوام 1804م و1810م و1823م.

- ثورة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني سنة 1804م

- ثورة درقاوة في الغرب الجزائري ما بين 1805م و1816م

- الثورة التيجانية بعين ماضي سنة 1816م

[243] حنيفي هلايلي، **الثورات الشعبية في الجزائر في أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش**، مجلة جامعة الأمير عبد القادرللعلوم الإسلامية، ،ع:20، قسنطينة، 2006،ص-ص 189-204

- ثورة النمامشة والأوراس ما بين 1818م و1823م.

شملت هذه المقاومات تقريبا جل أراضي الجزائر ، وفي اطار زمني متقارب، هذا ما يؤكد الوعي الذي اكتسبه الأهالي أو ما يعرف بالعنصر المحلي ، متجها نحو تحقيق سيادته، أو بالأحرى الحفاظ على تراثه ووجدانه.

فالأهالي الذين كانوا يؤمنون بخوارق العادات وبالأولياء، وبالطقوس التي كانوا يمارسونها والتي كانت في نظرهم مقدسة، وايمانهم بالجن وبالشعوذة والمشعوذين ، وبالخرافات والأساطير ، كل هذا جعلهم يتكتلون ويدافعون عن تلك القيم الإجتماعية التي تميزوا بها عن العثمانيين، محاولين المحافظة على استمرار النمط الحضاري.

إن المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني ، عرف انضباطا اجتماعيا في السلوك والمعاملة نتيجة التعاطي مع الأساطير والخرافات ، فأصبحت القواعد والنظم العرفية هي المهيمنة في جل المعاملات دون معرفة أصولها وأهدافها ، فتوسعت وانتشرت. لأنه لم توجد رقابة لمعرفة مدى تماشي ذلك العرف مع العقيدة الإسلامية التي يدين ويؤمن بها.

بتواتر الأزمنة ، استطاع السكان الجزائريون أن يكتسبوا كما هائلا من التراكمات ، ساهمت في تطوره الفكري ، كونه عاش تلك الحالات والوضعيات المختلفة ، مما فيها من أمور ايجابية وسلبية ، دون أن تحقق له شخصيته بين الأمم. فكانت تلك العصور والأزمنة بمثابة مدرسة تحصل خلالها على ثقافة بناءة ، ساعدته في مستقبله لبناء نفسه ،

محتفظا بأدوات البناء الاجتماعي من دين ولغة وتاريخ ، وعرف وأساطير وخرافات ، التي سايرته طوال حياته ، فأصبح رصيده الاجتماعي والسياسي كاف لينتقل إلى مرحلة جديدة .

فـإذا كان للأسطورة والخرافة وجهها السلبي المتمثل في تعطيل العقل ؛ و الذي يعتبر أكبر نعمة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، فإن هناك الوجه الآخر الإيجابي للأسطورة والخرافة ، حيث مكنته من رصد الصف الوحدوي ، عن طريق احترام العرف ، وبالتالي الانضباط الاجتماعي ، الذي جعله مميزا عن غيره، فراح باحثا عن هويته.

1- جدول بأهم الأساطير المشهورة في الجزائر خلال العهد العثماني ولازالت إلى يومنا هذا

المصدر: قاموس الأساطير الجزائرية

- لالا مهاية ' تاغيت '
- الرجل والشاة
- المرأة التي تسكن القمر
- عش الغولة
- لالاة الغالية
- لالاة تلمسان
- ملك الخير والشر
- حمام ريغة
- ملوكة والثعبان
- حفل أنزار
- أول يناير
- الإحتفال بعاشوراء
- النخلة المباركة
- العنزة والسارق
-تين هينان
- اللبان والطيب
- لالا تركية
- الحجرة الكبيرة والعرسان السبع
- لالا عائشة
- الزهرة التي ماتت من العين

- الجازية
- خيرة والكاف لخضر
- عليسة
- الكاهنة
- سيدي علي بن محمد وحاكم الأتراك
- كرامات سيدي عامر
- نجمة خضار.

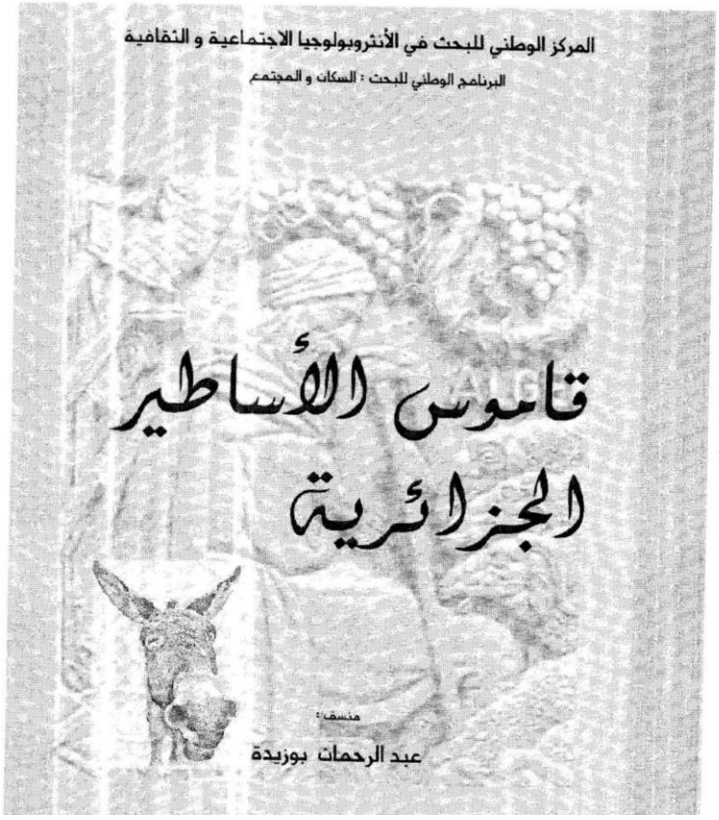

2- جدول بأهم المصطلحات والمفردات المتداولة في الأساطير خلال العهد العثماني

- كان يا ما كان في قديم الزمان
- الكهف
- الشجرة
- الغولة
- الجني
- الغابة
- الجبال
- الظلام ، القمر
- الإنسان، الشيخ ، العجوزة...

أغاني العروسة: المصدر المجلة الإفريقية

— 432 —

CHANT A L'OCCASION D'UNE NOCE.

Texte :

غنا، العروسة

اما مشيت يا رجلي وخلفت من غبار
جابوها جنابي د الميزان د عطار
سلامنا على مسولي الدار حباب لا يلبطوا بالنار
سلامنا على الوشول حباب لالا الكحل فحول
سلامنا على باب العسوس حباب لا راديين الكبوس
شعلوا الصبح والزيت من البطة حباب لالا بسيس الفضة
شعلوا الصبح نشوف الحالة حباب لا دالذهب شعالة
لا لا العروسة بنت الدوادي خلينا ابوها يبكي وينادي
يالالا العروسة ياحيشت الطريق ام العيون الكحل والحواجب رقيق
فول لام العريس تجيد ما خبات تجيد الخلاخل للعروسة الي جات
فول لام العريس تجيد ما خبات تجيد البزايم للعروسة الي جات
فول لام العريس تجيد ما خبات تجيد المحارم للعروسة الي جات

خديت من قسم نلقى مسعودة تمسلا
بالفد والحزمة كيف التركي يغرم ع الباطل
بزازل مسعودة فرابة دالبشاطل
يا بنت بو زرد السويلمي مزعورا
يا اختي نبيل صند صباح المجبري

— 433 —

لوكان تقبلني نسبع سبحي ع الدنيا
شوف هديك السالف تقول د الريش النعام
قلبي طار على مسعودة منبا راسي شاب

Traduction :

Combien vous avez marché, ô mes pieds, et combien de poussière vous avez laissé derrière vous !
Mes amis l'ont apportée (la fiancée) comme l'auraient fait les faucons de la montagne d'Agar.
Que notre salut soit sur le maître de la maison ; les amis de la mariée frappent avec le feu.
Que notre salut soit sur le flameau ; les amis de la mariée sont tous des hommes courageux.
Que notre salut soit sur la porte de l'enclos ; les amis de la mariée coiffent fièrement le kabous (1).
Allumez la lampe (garnie) avec l'huile de la jarre ; les amis de la mariée ont des vêtements argentés.
Allumez la lampe, que nous voyions l'intérieur de l'habitation ; les amis de la mariée brillent comme l'or.
Madame la fiancée, fille du noble, nous avons laissé son père pleurant et poussant des cris lamentables.
O madame la fiancée, petit serpent du sentier, aux yeux noirs et aux minces sourcils,
Dis à ta belle-mère de sortir les anneaux de pied pour la fiancée qui est venue ;
Dis à ta belle-mère de sortir ce qu'elle a caché, de sortir les agraffes pour la fiancée, qui est venue ;
Dis à la belle-mère de sortir ce qu'elle a caché, de sortir les foulards pour la fiancée, qui est venue.
En passant par là, j'ai rencontré M'çaouda allant chercher de l'eau ;
Par sa taille bien prise, et avec la ceinture qui l'entoure, elle ressemble au turc qui prélève injustement un impôt.
Les seins de M'çaouda sont comme le pommeau arrondi des pistolets.

(1) Kabous, plusieurs calottes en laine blanche, emboîtées les unes dans les autres, dont se coiffent les Kabiles.

Revue afric., 6e année, n° 36

يا هذيك النهار ڤ الفصر والبارود يفيل يضرب
يا خوتي لاباوا يبقروا فيها شيانت الشبان
ثم تخلطت العساكر دي محمد وبو رنان
هذيك اليوم على الصبعة يا خوتي غير ڤ اربعة
يا خوتي غير ڤ اربعة مقروفين ڤ الفريان
عبد الله د الصيد مربي ومحمد د بلهوان
هذيك اليوم على بوالعفد رايت النار ثم توفد
لابراكت لا من يقعد ورتوبها اولاد سلطان
اولاد الهيزة يضربوا كيف العفبان
زيغود والى معه هما ڤ الشعبة فعدوا
اولاد حناش ازعموا باش تبرد الطياح
هذيك اليوم على بولبنة يا خوتي ما حلا الغناء
باي باي

Traduction.

Les Beni Toufout et les Soukia ont envoyé de nombreux émissaires;
Ont envoyé de nombreux émissaires, et ont dit: levez-vous contre le pays (révoltez-vous).
Frappez avec les balles, mes seigneurs, le jour de la guerre sainte est arrivé.
Les Mechat et les Soukia, de Sinat (1), sont venus m'attaquer;
De Sinat, sont venus m'attaquer et m'ont réduit à la famine.
Venez, livrons en pâture (2) aux aigles les chevaux des Beni Toufout.

(1) Sinat, quartier situé entre les tribus des Beni Toufout et des Mechat.
(2) Le texte porte le mot zerda.—J'ai donné l'explication de la zerda dans la première partie de cette notice, page 277 de ce tome 6e de la *Revue*.

O fille de Bou Zarrou, les tresses de tes cheveux sont blondes.
O ma belle, je deviens fou dès le matin au point du jour.
Si tu voulais m'accueillir, je vendrais pour toi ce que je possède en ce monde.
Admirez ses cheveux, ne dirait-t-on pas le plumage d'une autruche ?
Mon cœur s'est envolé vers M'çaouda; à cause d'elle, ma tête a blanchi.

CHANT DE GUERRE.

Texte.

بنى توفوت والسوفية فواوا بالپراسلية
فواوا بالپراسلية فالوا فوموا على البلاد
اضربوا البولدون يا سيادي اليوم وصل الجهاد
مشاط وسوفية من سينات غارت لسي
من سينات غارت لي وانايا فطعت الفوت
اياوا نزردوا للنصورة بالخيل دي بنى توفوت
نغنى على الحناشي كيف التركي ڤ العجلة ماشي
هو دالجمل على العراش به نعمر حبارة
كيف يوصل يا خوتي ثم تبرد الطياح
هذيك اليوم يا خوتي ڤ دمامة وحدة
عمر ڤ دمامة وحدة يتكلم كيف الصيد
المكحلة بيضة عندة ويمنع من التبريد
هذيك اليوم على مرجاجة والبارود د العجاجة
البارود د العجاجة والطياح كيف الريش
الي خواب يا رجالة من الدار ما يجيش

قصيدة نداب على الميت: المصدر المجلة الإفريقية

— 436 —

Je chante le Hannachi (1) qui marche en expédition comme le ture;
Il est le plus brave des tribus, avec lui j'habiterais Abara (2).
Lorsqu'il arrive, ô mes frères, là refroidit (3) celui qui est tombé.
Ce jour là Amer était seul à Demama,
Amer était seul à Demama, il rugissait comme un lion.
Il avait son fusil blanc (aux montures d'argent) et il ne laissait pas refroidir ceux qui étaient tombés.
Ce jour là, à Merdjadja, la fumée de la poudre était épaisse comme un brouillard,
La fumée était épaisse comme un brouillard, les guerriers tombaient comme la feuille des arbres.
O homme! que le poltron ne sorte pas de sa maison.
Et ce jour là, à el-K'çar, la poudre parla toute la journée.
O mes amis, ils ne voulaient point fuir, les jeunes guerriers étaient brisés de fatigue.
Les troupes de Mohammed et de Bou Renan se confondirent dans la mêlée.
Ce jour là, à Soumaâ, ô mes frères, ils n'étaient que quatre, postés, çà et là, sur des pitons;
Abd Allah, le lion dressé, et Mohammed, le lutteur.
Ce jour là, à Bou el-Aked, j'ai vu le feu, c'est là qu'il éclata.
Aucun des habitants de Beraket ne survécut, les Oulad Soultan héritèrent de leur pays.
Les enfants de Maïza se battaient comme des vautours.
Zir'oud et les siens restèrent (morts) dans le ravin;
Les Oulad Hannache poussèrent une charge pour laisser refroidir ceux des leurs qui étaient tombés.
Et ce jour, à Bou Lebna, ô mes amis!
Combien le chant est agréable!
Bal, bal, bal!

(1) Les Oulad Hannache, fraction des Oulad Aïdoun, dans la vallée de l'oued el-Kebir.
(2) Abara, point où se trouve la limite entre les Meclat et les Oulad Aïdoun, jadis en guerre.
(3) Lorsqu'un Kabile tombe mort ou blessé dans un combat, ses frères font tous leurs efforts pour ne pas laisser son corps entre les mains de l'ennemi. Ils entendent par un tué qui *refroidit*, celui qui est resté sur place, sans être inutilé, ou protégé par les siens contre les attaques de l'ennemi; en un mot, celui que ses compagnons d'armes abandonnent, avant que le froid de la mort en ait fait un véritable cadavre.

— 437 —

LAMENTATIONS FUNÈBRES.

Tezir.

نداب على الميت

يا ويليا يا ويليا يا ويليا
يا د بلان بو العجوج الخياليا
يا ويليا يا ويليا يا ويليا
ولين د بلان ولين اخوكم يا البنات
السرية المعدية تفوعوا الى د مازالوا
تفرعوا يلحجب د بلان البارود تندالم
حلب د الرجي ما يوعى والبغرة ماترعى شي الدردار
يا د بلان الباي خرج الدوار
انا قلبي د الطوبة
ينذب على بلان خلا المراة مخطوبة
انا قلبي يبتلى كهب البرنة وردالة
الى مليح دخل للقبر والمليح صاب الدالة
يا ويليا يا ويليا يا ويليا
يا د بلان جراح الباز خلا بيته
قوم قوم لباس اداك العباس
انتكلم كلمة شرعية باش تروح هذا الناس
قوم قوم لباس اداك النوم
انتكلم كلمة شرعية باش يروح هذا النوم

بلان ڤ الزنفة يبرق عينه د الصباح
القطوشة ڤ راسه تدفق بالطيب والريح
القمر يا عين الشمس صحبت اليوم مريضة
اندبوا على بلان من يحضر ڤ العيطة
القمر يا عين الشمس فى السماء يترافص
بلان وصاحبه فى القبر يتوانس
انا قلبى يتملى من الطيب وعود الحلو
اندبوا على بلان الشيخ قاعد وحده
انا قلبى يتملى من الطيب واسكنجبير
اندبوا على بلان الشيخ قاعد محير
اسمعوا النمرة ترهز وتكسر فى عوادها
اندبوا على بلان ما جايشى صيادها
حلب الرعى ما يرعى شى والبقرة ما ترعى سلة
اندبوا على بلان الباي حط على النزلة
ويليا ويليا ويليا
يا ويليا

Traduction.

O mon malheur ! mon malheur ! malheur à moi !
O un tel, l'homme des passages dangereux.
O mon malheur ! mon malheur ! malheur à moi !
Où est un tel ? Où est votre amoureux, ô jeunes filles ?
O, la troupe qui s'éloigne, attendez ceux qui restent.

Attendez qu'un tel vous rejoigne, sa poudre s'est mouillée (pour : il a succombé) (1).
Le berger a juré de ne plus mener paître ses bestiaux et la vache de ne plus manger la feuille du frêne.
O, un tel, le Bey marche sur le village.
Mon cœur est comme une brique et se lamente sur un tel qui a laissé (sans l'épouser) une femme demandée en mariage.
Mon cœur se remplit comme une mauvaise marmite.
Le bon descend au tombeau, tandis que le méchant en profite (ou lui survit).
O mon malheur ! mon malheur ! malheur à moi !
Le jeune faucon a abandonné son aire.
Lève-toi, lève-toi, pourquoi t'es-tu laissé gagner par le sommeil ?
Prononce une parole valable pour que ces gens s'en aillent.
Lève-toi, lève-toi, pourquoi t'es-tu assoupi ?
Prononce une parole valable pour que tout ce monde se disperse.
Lorsque un tel était dans la rue, ses yeux brillaient comme une lampe;
Sa touffe de cheveux (2) exhale un doux parfum.
La lune, ô soleil, s'est levée malade ce matin.
Pleurez un tel, qui assistera aux lamentations ?
La lune, ô soleil, tressaille dans le ciel à cause d'un tel, et les amis s'accompagnent dans la tombe.
Mon cœur se remplit de parfums et de bois doux.
Pleurez un tel, le cheikh reste seul maintenant.
Mon cœur se remplit de parfums et de gingembre.
Pleurez un tel, le cheikh a perdu la tête et ne sait plus que faire.
Entendez-vous la panthère se réjouir et briser les branches des arbres dans les bois ;
Pleurez un tel, car celui qui la chassait n'est point venu.
Le berger a juré de ne plus faire paître les bestiaux, et la vache de ne plus brouter le sainfoin.

---

(1) A la lettre : la poudre s'est humectée en lui ; c'est-à-dire, il est mort, il a succombé. Cette expression locale est analogue à certaines tournures triviales de notre langue employées pour exprimer la même pensée. Ainsi, les troupiers disent, quelquefois, *casser sa pipe*, comme les matelots *avaler sa gaffe*.

Il y a, du reste, dans ces chants plusieurs termes qu'il m'eût été difficile de comprendre, si leur valeur ne m'avait été expliquée par les Kabiles eux-mêmes.

(2) La guettoucha est la touffe de cheveux que beaucoup de musulmans laissent croître au sommet de la tête.

-المصادر والمراجع:

1- المصادر باللغة العربية:

1- القرآن الكريم ، **ورش**

2- ابن قيم الجوزية،**الطب النبوي**،مؤسسة الرسالة،مكتبة المنار الإسلامية،بيروت 1982.

3- ابن خلدون عبد الرحمان،**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،نسخة محققة لونان بإخراج جديد،ط1،دار الفكر،بيروت، 2003.

4- ابن صعد محمد بن سعيد التلمساني،**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**،مرا وتقد:يحي بوعزيز،دار البصائر للنشروالتوزيع،الجزائر، 2009 .

5- ابن منظور جمال الدين،**لسان العرب**،مج 7، ط4،دارالصادرة بيروت، 2004.

6- ابن منظورجمال الدين،**لسان العرب**،مج:3،ط1،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008م.

7- حسين بن رجب شاوش(ابن المفتي)،**تقييدات ابن المفتي في تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها،** جمع واعتناء: فارس كعوان،ط1، بيت الحكمة، 2009.

8- أحمد بن يحي الونشريسي،**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب،**ج1، إخراج:محمد حجي وآخرون،وزارة الأوقاف المغربية ودار الغرب الإسلامي،1981م.

9- أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي-البرزلي-، **فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام،** تقد وتح: محمد الحبيب الهيلة،ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي ، 2002.

10- أبو راس الناصري، **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته**،تح وضبط وتع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986.

11- أحمد بن سحنون الراشدي،**الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**،تح: المهدي البوعبدلي،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر، 1973.

12- الحاج الشريف الزهار،،**مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار،** تح:أحمد توفيق المدني، ط2، ش و ن ت، الجزائر،1980.

13- أحمد بابا التنبكتي،**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**،ضبط:عبدالله الكنرري،ط1، ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، 2002م.

14- حمدان خوجة،**المرآة**،تعر وتح: العربي الزبيري،ط2،ش.و.ن.ت،الجزائر، 1982م

15- الزمخشري بن حنبل، **أساس البلاغة**،دار الفكر،بيروت،لبنان، 2004.

16- الشاطبي ابراهيم ابن موسى،**الاعتصام**،تح: أبو عبيدة مشهور ابن حسن، ج2،مكتبة التوحيد،د.ت.

17- عبد الرزاق بن حمدوش،**كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب**،ط 1، مكتبة باريس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996.

18- عبد الله بن محمد العياشي،**الرحلة العياشية للبقاع الحجازية-ماء الموائد-**، تح وتخر وتع: أحمد فريد المزيري، ج2، دار الكتب العلمية، 1971.

19- عبد الواحد المراكشي،**المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،تح: محمد سعيد العريان،ج3، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، 1963م.

20- العياشي أبو سالم،**الرحلة العياشية:1661-1663م**،تح وتقد:سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،ط1،أبو ظبي، الإمارات، 2006

21- عياض،**إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة**،فتح المتعال في أوصاف النعال النبوية ونفخ الطيب وغيرها.

22- الفكون عبد الكريم،**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**، تقد وتح: أبو القاسم سعد الله،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

23- حسن الوزان،**وصف إفريقيا**،تر:عبد الرحمن حميدة،ج1،مكتبة الأسرة، 2005.

24- محمد بن سعيد العقباني ،**تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تح: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967.

25- المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**،تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1968.

26- يوسف بن إسماعيل النبهاني،**جامع كرامات الأولياء**،تح:إبراهيم عطوة عوض، ج1،ط1، مركز أهل سنة بركات رضا، الهند،2001م.

<u>المراجع:</u> باللغة العربية:

27- إبراهيم القادري بودشيش،**المغرب والأندلس في عصر المرابطين**،ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1993م.

28- أبو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري(16-20م)**،ج2، ش.و.ن.ت،الجزائر،1981م.

29- أبو القاسم سعد الله ،**محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**،ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982م.

30- أبو القاسم سعد الله ، **رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي**، ط2، دار الغرب الاسلامي، 1990.

31- أحمد توفيق المدني ،**هذه هي الجزائر**، ط1،عالم المعرفة الجزائر، 2010

32- الكعبي ضياء ،**السرد العربي القديم**،ط1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، 2005.

33- أحمد كمال زكي ،**الأساطير** ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة ، مصر، 1967م.

34- أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،د.ت، بيروت .

35- الحفناوي أبو القاسم محمد ،**تعريف الخلف برجال السلف**،ط2،مؤسسة الرسالة المكتبة العتيقة، 1985م.

36- السواح فراس ،**الأسطورة والمعنى**،ط1،دار علاء الدين للنشر والتوزيع، 1997.

37- الغتيل فوزي ،**الفلكلور ما هو**، دار النهضة العربية للنشر ،القاهرة ،د،ت.

38- أوغستين بارك،**كتابات حول الجزائر**،جمع وتقد:جاك بارك،دارالجنوب، 1986م.

39- قسم الدراسات والبحوث،جمعية التجديد الثقافية،**الأسطورة:توثيق حضاري**، ط1،دار كيوان، دمشق،سوريا ، 2005م.

40- جاك ريسلر،**الحضارة العربية**،تر:خليل أحمد خليل،ط1،منشورات عويدات بيروت، لبنان، 1993م

41- جبور جبوري ، **المعجم الأدبي** ،ط1، دار الملايين ، بيروت ، 1979م

42- جمال الدين الخضور،**عودة التاريخ:الأنتروبولوجية المعرفية العربية**،ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997.

43- جمال سلامة علي،**النظام السياسي والبناء الإجتماعي**:النموذج الواقعي لتحليل النظام السياسي، دار النهضة العربية، 2006.

44- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين ، بيروت، 1980

45- سعيد بن ناصر الغامدي،**حقيقة البدعة وأحكامها**،ج1،ط3،مكتبة الرشد الرياض،السعودية، 1999م.

46- سعيدوني ناصر الدين،**من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**-تراجم مؤرخين وجغرافيين-ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1999.

47- سيد القمني،**الأسطورة والتراث**،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة ، 2020

48- صالح عباد،**الجزائر خلال العهد التركي 1541-1830**،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2012.

49- عبد الحميد بورايو،**القصص الشعبي في منطقة بسكرة**-دراسة ميدانية-، الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر، 2007.

50- عبد الكريم بوعمامة،**بنو يعلي لمحات من التراث اليعلاوي**-عادات وتقاليد-، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2006

51- عبد المومن حسين،**التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،مصر،1997م.

52- عبيد بوداود، **ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين"13-15م"-**دراسة في التاريخ السوسيو ثقافي- ،دار العرب للنشر والتوزيع.

53- عزالدين جلاوجي ،**سلطان النص-دراسة في الروايات-**،د.ط ، دار المعرفة، وزارة الثقافة، 2008م.

54- عشراتي سليمان ،**الشخصية الجزائرية الأرضية التاريخية والمحددات الحضارية** ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007

55- علاوة عمارة،**دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2008م.

56- غالي شكري،**التراث والثورة**،دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت،لبنان، 1973م.

57- فاروق خورشيد،**الموروث الشعبي**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.

58- فريديرتش فون ديرلاين،**الحكاية الخرافية**:نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها، تر:نبيلة ابراهيم ومرا:عز الدين اسماعيل،ط1،دارالقلم، بيروت، 1973م.

59- كارين أمسترونغ،**تاريخ الأسطورة**،تر:وجيه قانصو،ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، 2008.

60- كاملي بلحاج، **أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة**: قراءة في المكونات والأصول،ط1، اتحاد الكتاب العرب ، 2004.

61- لطف الله خوجة،**موضوع التصوف**: سلسلة البحوث المحكمة، مكة المكرمة

62- ليلى روزلين،**القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي**،ط1،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1998.

63- مالك بن نابي ،**مشكلات الحضارة:شروط النهضة**،ط9،دار الفكر،دمشق، سوريا، 2009.

64- مبارك الميلي،**الشرك ومظاهره**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

65- محفوظ سماتي، **الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها**، منشورات دحلب،2007

66- محمد الهادي العامري،**تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول من ق 7هـ إلى ختام القرن 13ه**ـ،الشركة التونسية للتوزيع،تونس، 1974

67- محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ط2، دار القلم الكويت،1987م.

68- محمد مصطفوي ،**الدين والأسطورة**:،دراسة مقارنة في الفكر الغربي والإسلامي، ط1،دار الإنتشار العربي،لبنان،2014.

69- محمد موساوي، **الأدب والمجتمع**،د.ط،دار الأمل للنشر والتوزيع، 2009م.

70- محمد ناصر الدين الألباني،**صحيح معجزات النبي صلى الله عليه وسلم**، جمع وتع: أحمد ناجي، ط1، دار ابن حزم، القاهرة ، مصر، 2010.

71- مصطفى خياطي،**الطب والأطباء في الجزائر العثمانية**، منشورات ANEP ، الجزائر، د،ت.

72- نبيلة ابراهيم،**الأسطورة:الموسوعة الصغيرة**،منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1979م.

73- -**تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، المركز الوطني والبحث ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة 2007، وزارة المجاهدين.

مصادر و**مراجع باللغة الأجنبية:**

73-De Paradis Venture**, Tunis et Alger au 18eme siècle**, éditions Sindbad, Paris, 1983

74-Gaid Mouloud, **Chronique des beys de Constantine**, office des publications universitaires.

75- Kaddache Mahfoud,**L'Algérie durant la période ottoman**,office des publications universitaires, 2002.

76-Rinn Louis, **Marabouts et Khouans**, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger,1884.

77-Shaw Dr ,**Voyage dans la régence d'Alger**,**Ou description géographique,physique, philologique**, Editeur:Marlin, Paris,1830.

-الأطروحات والرسائل الجامعية:

78-أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م**، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجزائر، 2005-2006م.

79-إبراهيم عبد الصدوق، **الموروث الشعبي في التصور الجزائري** ، أطروحة دكتوراه ، اشراف أ.د طرشاوي بلحاج ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018.

80-بن سهلة ثاني سيدي محمد، **المؤثرات الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر**-تلمسان نموذجا-أطروحة دكتوراه، اشراف أ.د طالب أحمد ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان، 2013-2014.

81-بن معمر بوخضرة ،**الولي في المخيال الشعبي: الطريقة القادرية في الغرب الجزائري نموذجا**،أطروحة دكتوراه،اشراف د.محمد سعيدي ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2011-2012م.

82-مصطفى قناو،**الولائم والمواسم الإحتفالية في منطقة تلمسان**،أطروحة دكتوراه ،اشراف د. بلخضر مزوار ،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011

83-مصطفى أوشاطر،**الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري**،أطروحة دكتوراه ، اشراف أ.د عكاشة شايف ،2002-2003.

84-عبد القادر فيطس، **الشعر الملحون الديني الجزائري 1830-1954**، أطروحة دكتوراه ،اشراف د أحمد الأمين ،جامعة الجزائر، 2009.

85-حرحيرة مداني،**الرمزية الصوفية في الأزمات الإجتماعية:الكرامات وتماثلاتها في المغرب الأوسط (ق:10هـ - 14هـ)**،رسالة ماجستير، اشراف أ.د بوزيد بومدين ،جامعة وهران، 2012-2013.

86-سحاية خيرة، **ترجمة الأسطورة في قصص الأطفال**،رسالة ماجستير، جامعة وهران ، 2011-2012.

87-شهيرة بوخنوف،**أساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطة**، رسالة ماجستير، جامعة مولود قاسم ، تيزي وزو، 2012م.

88-عائشة بوشقيف ، **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي**، رسالة ماجستير، اشراف د. مبخوت بودواية ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2010-2011.

89-علي عمار، **ظاهرة التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية في منطقة عين غرابة**، رسالة ماجستير،إشراف د. بن باجي مشرفا ود. سعيدي محمد مشرفا مساعدا ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001م.

90-فضيلة لكبير،**دورالأسطورة الدينية في بناء النظام الإجتماعي**،رسالة ماجستير،اشراف د. العربي بن شيخ ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.

91-محمد فتحي،**الطقوس والممارسات السحرية في ألف ليلة وليلة**،رسالة ماجستير،اشراف د. أحمد يوسف، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000-2001.

92-فضيلة بن عامر وفتيحة شابو،**المساجد ودورها التعليمي والثقافي في الجزائر الحديثة 1519-1830م:دارالسلطان نموذجا**،مذكرة ماستر، اشراف أ. عبدالقادر فلوح ،2018-2019.

93-بن زين قمر،**الأحوال الصحية في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1779-1830م/1518-1549هـ)** مذكرة ماستير،اشراف د. ابراهيم مرزقلال ،جامعة محمد بوضياف،المسيلة، 2018-2019.

-المجلات والدوريات:

94-المهدي البوعبدلي،**مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر**،مجلة الأصالة، ع: 11، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1972، ص-ص 85-107.

97 أنيسة بركات،**الحياة الأدبية في الجزائر على عهد الحماديين**،محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، ش و ن ت ، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر.

98-فاطمة لواتي،**تجليات الأسطورة في التراث الشعبي الجزائري**،مجلة اللغة والثقافة والمجتمع،مج:5،ع:2،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان،2019.

99-فوزية لزغم،**الأطباء الأوربيون بالجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830**،**مجلة عصور**،مج: 12،ع:2، جامعة وهران1، 2013م،ص-ص233-254.

100 -تقديم عدد **مجلة المعرفة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي سورية،ع: 197، أوت 1978.

101 -تومي عبد الرزاق،**حماية التراث وإشكالية الدخول في مجتمع العولمة**، مجلة الثقافة، ع: 12، وزارة الثقافة، جوان 2007

102 -حسناء سعيدة، **التداخلات اللغوية في الأساطير وتأثيرها على ترجمة المصطلح واستخداماته** ،مجلة العربية ،ع: 2،مج: 6، 2019،ص-ص 97-113.

103 -عبد القادر خليفي، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر، 2007 .

104 -عائشة غطاس،**الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني** ،مجلة الثقافة، ع36،الجزائر،1993، ص- ص 122- 130.

105-كريم خيرة، **ظاهرة الوعدة الشعبية في الجزائر بين الإعتقاد والممارسة،** مجلة آفاق، قسم الفنون، كلية الآداب واللغات والفنون، مجلة آفاق، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، العدد 03 أكتوبر 2015، ص ص 182-186

106-محمد أزرازي ،**الأبعاد السوسيولوجية والرمزية للممارسات الصوفية في الجزائر** ، مجلة المواقف، عدد خاص، جامعة معسكر، ،عام 2008. ص ص 71-81.

107-مولود قاسم نايت بلقاسم، **لمحة عن مجد الجزائر وديمومة شخصيتها البارزة المتميزة عبر العصور والأعاصير**،مجلة الثقافة، العدد 85، 1985م

108-حنيفي هلايلي، تحت عنوان **الثورات الشعبية في الجزائر في أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش**، مجلة جامعة الأمير عبدالقادرللعلوم الإسلامية، قسنطينة، ع: 20، 2006، ص ص 189-204.

-القواميس:

109- محمد عاطف غيث،**قاموس علم الإجتماع**،دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع ،2000م.

110-قاموس الأساطير الجزائرية، منشورات مركز البحث الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2005

-**Revus** :

-111-**Berbrugger Adrien**, Un chérif kabyle en 1804 ; R.A; T : 3 ; 1858.

112**- Ben choaib-boubekr abdessalem :**Les marabouts guerisseurs ;R .A , T : 51 ; 1907 .

113**- CAUVET.S,**les Marabouts petits monuments funeraires et votif du nord Africain ,R.A ;T : 64 ; pp 274-329 et pp 448-522,1923.

114**- Cicard A**., Pratiques médicales superstitions et Légendes des Habitants de la commune de Takitount; R.A : T : 55 ; 1911.

-115**Cour A**., Recherches sur l'état des confréries religieuses musulmanes; R.A, T : 62, 1921

-116**Destaing Edmond** :fetes et coutumes saisonnieres chez les BENI-SNOUS :R.A, T : 49:1ere partie,1905, pp362-385 .

-117**Destaing Edmond** :fetes et coutumes saisonnieres chez les BENI-SNOUS :R.A, T : 50:1906 , 2eme partie,pp 244-260 .

-118**Destaing Edmond** :l'ennayer chez les BENI-SNOUS :R.A : T :49 :annee1906 : pp 51-70,

-119 **Dremenghem Emile :**le mythe de psyche dans le folhlore nord africain ;R.A ; T : 89 ; 1954 ;pp 41-81 .

120**- Dremenghem Emile :** Essai sur la HADHRA des aissaoua ;R.A, T:95 ; 1951 ;pp 289-314.

121**- Dremenghem Emile :** les confreries noires en Algerie (DIWAN DE DIDI BLAL)R.A ;T : 97 ; 1953 ;pp 314-367.

122- **Dermenghem Emile et Leo Barbes**: essai sur la HADHRA des aissaoua d'Algerie,R.A :T: 95 ,1951, pp 289-314.

123**- Herber.j ;**La polarite religieuse :sociale et magique dans l'afrique du nord,R.A :T : 82 , 1938 :pp 158-176.

الملخص :

من أهم ما ميز العهد العثماني في الجزائر 1516-1830 م، انتشار الخرافة والأسطورة وبشكل واسع مما جعلها نمط عيش عادي إلى درجة اعتقاد أنها من العقيدة الإسلامية، وذلك لارتباطهما بالمتصوفة، وغذاها النظام التركي عن طريق عدم محاربتها، وأحيانا أخرى دعمها، ما دامت لا تمس بكيانه ووجوده، أو لكونها كانت أداة ترسيخ بقائه في الجزائر.

وعند الغوص في عمق الموضوع، نستشف حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة، ومبرراتها ونتائجها من خلال مواقف العلماء المتباينة منها، ودورها في تقارب وتماسك وانسجام السكان الجزائريين في التفكير والتخيل إلى درجة الإيمان بالأمة الموحدة، والدولة المتحدة فكرا وتراثا وترابا، ما دامت الأسطورة والخرافة تجمعهم وتحقق أغراضهم وأهواءهم ونزواتهم وهذا حسب الفئة التي ترى فيها ذلك من العامة أو من علمائها.

فإذا كان بعض الباحثين يركزون ويرون في الخرافة والأسطورة جانبها ووجهها السلبي المتمثل في تحجير العقل الإنساني وتعطيله ، إلا أن وجهها الثاني يحمل ما هو إيجابي، فهي حافظة لتاريخ الأمم وعامل أساسي من بين العوامل التي أسهمت في وحدة القبائل والعشائر والأرياف في الجزائر خلال العهد العثماني وكل ذلك بدعم من المرابطين والطرق الصوفية التي كان لها الدور البارز في تغذيتها وجعلت شطرا كبيرا

من الجزائريين آنذاك يؤمنون ايمانا مطلقا بها، وبهذا أضحت الخرافة والأسطورة أداة للانضباط الاجتماعي. وعليه تبقى مواقف النخبة ومدى تأثيراتها لها الدور الحاسم في توجيه العامة نحو سواء السبيل والدين القيم والأخلاق الفاضلة بعيدا عن كل تأويل أو شوائب.

الكلمات المفتاحية: التصوف؛ الخرافة؛الأسطورة؛ العهد العثماني؛ الجزائر.

الملخص

Abstract: One of the most remarkable features of Ottoman era in Algeria 1516-1830, is the widely spread of Myth and legend which made it as normal life style of the extend that's believed to be an Islamic faith as it is related to the mystic, this have been fuelled by the Turkish system by not being fought and sometimes provided a support. As long as it doesn't affect its identity and their existence, or it was considered as tool to ensure its survival.

When we try to go deeply into the theme, we spot light on the real truth in myth and legend, its justification and consequences and the vital role on Algerian's people harmony and tenacity in thought and imagination so they believe in a united nation, and a united state on heritage and earth. As long as myth and legend collect them and satisfied their needs, desires and fantasies according to a public or class of scholars.

Although some the researchers focusing on the negative aspects of myths and legend which feeding human mind, the latter holds positive aspects too,

It seems as a crucial preservation of the nation's history and basic reason which led to the united of tribe, clans and countryside in Algeria during the Ottoman era with the requirements, the support of Mourabiten and Sufi approach that made the Algerian people believed on it, that's why the Myth and legend become as means for social discipline. Moreover, the attitudes of elites and their impact continue to play a crucial role in guiding the public to be in the right track, religion and ethical values instead of the entire pretext.

Keywords: Sufism ; Superstition; myth; ottoman era; Algeria

فهـــــــــرس المحتويـــات

الفصل الأول

الأسطورة والخرافة في الجزائر قبل العهد العثماني

مقدمـــــــــة 02

أولا: * تعريف التراث 02

* أقسام التراث 04

* الأسطورة والخرافة في المغرب الأوسط..... 06

* تاريخ نشأة الأساطير وأنواعها 06

* هل الطقوس مستمدة من الأساطير أم العكس ؟ 29

ثانيا: مظاهر الطقوس في المغرب الأوسط..... 30

* تعريف التصوف ومظاهره الطقسية 30

* نماذج من الطقوس الصوفية..... 31

* نشأة التصوف في المغرب الأوسط..... 32

ثالثا: الطقوس الصوفية خلال العصر الوسيط..... 34

1- خوارق العادات وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية 34

2- تعريف المعجزة وعلاقتها بالمعتقدات الشعبية..... 36

3- تعريف الكرامة..... 37

4- مظاهر المعتقدات الشعبية..... 38

خاتمـــــة 52

الفصل الثاني

الحركات الإصلاحية وامتداداتها خلال العهد العثماني

مقدمـــــة..... 54

أولا:الحركات الإصلاحية في المغرب الأوسط ومبرراتها 55

فهـــرس المحتويـــات

استنكار البدع 55
محاربة السحر والشعوذة..... 59
اصلاح سلوك المنحرفين 65
ثانيا: الوضع العام في الجزائر خلال العهد العثماني..... 71
الحياة الاجتماعية..... 71
العلم والعلماء ..... 73.
أثر الهجرة الأندلسية على الجزائر 85
ثالثا: حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة ومبرراتها ونتائجها..... 87
1- حدود الحقيقة في الأسطورة والخرافة..... 88
2 - مبرراتها ونتائجها ..... 89.
خاتمـــــــــة 97

الفصل الثالث

الخرافة والأسطورة في الجزائر خلال العهد العثماني: الخصوصية الإجتماعية

مقدمـــــــة..... 100
أولا:الميثولوجيا..... 100
1- مفهوم الميثولوجيا..... 100
2- خصائص الميثولوجيا..... 103
3- أنواع الميثولوجيا..... 104
ثانيا: الواقع التاريخي للأسطورة والخرافة في المجتمع الجزائري 106
1- المدارس الحديثة لتفسير الأسطورة: 106
2- مصادر الأسطورة والخرافة في الجزائر 107
3- **الأسطورة والخرافة المرتبطة بالمناسبات الدينية والإجتماعية: 111**
العادات والتقاليد والأعياد: 111
*** في الشرق الجزائري 111**
*** في الجنوب الجزائري 114**
*** في الغرب الجزائري 118**

فهـــرس المحتويـــات

ثالثا: الأسطورة والخرافة المرتبطة بالحياة اليومية: 125
1- نماذج، أشكال 125
2- الأساطير والخرافات عن الأشخاص والكرامات 134
- الولي الصالح أو المرابط أو الشريف ..... 138.
- الشواف أو العراف أو الكاهن..... 142
- الطرق الصوفية 143
الخاتمـــــــــة 152

الفصـــــل الرابع

موقف السلطة والمجتمع وانعكاسات الأسطورة والخرافة

مقدمـــــة..... 154
اولا: موقف السلطة والمجتمع من تطور المعتقدات الشعبية..... 154
1- المشهد الثقافي في الجزائر خلال العهد العثماني..... 156
2- موقف العلماء 157
3- موقف الأتراك العثمانيين..... 166
4- موقف الأهالي/المجتمع..... 168
ثانيا: التأثيرات المختلفة للأسطورة والخرافة على المجتمع الجزائري..... 173
1- التأثير العقائدي والروحي..... 173
2- التأثير النفسي والصحي..... 175
3- التأثير الإجتماعي والتربوي..... 179
ثالثا: دورها في تقارب وتماسك وانسجام الأهالي..... 182
- أ - دورها في تقارب وتماسك الأهالي..... 182
- ب - أثار التطور الفكري عند الأهالي خلال العهد العثماني..... 187
رابعا : تفاعلات المجتمع الجزائري 192
1- التفاعل الديني..... 193

فهـــرس المحتويـــات

2- التفاعل الإقتصادي 193
3- التفاعل الإجتماعي 194
4- التفاعل الثقافي 195
5- التفاعل القضائي..... 196
خاتمـــــة 199
الملاحـــــــق..... 202
المصادر والمراجع باللغة العربية..... 219
المراجع باللغة الفرنسية..... 228
المجلات والدوريـــــات 233
الملخص..... 228
فهـــرس المحتويـــات 232